

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية
تخصص: اللسانيات واللغة العربية

المترجم الأستاذ الدكتور:
محمد سماح

إعداد الطالب:
محمد منصور جوي

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
01	د/عمار ربيع	بسكرة	رئيساً
02	أد/محمد خان	بسكرة	مشارفاً
03	د/أحمد محاس	بسكرة	مناقشاً
04	أد/السعيد هادون	باتنة	مناقشاً
05	أد/عز الدين صراوي	باتنة	مناقشاً
06	د/محمد بن صالح	المسيلة	مناقشاً

1436 هـ - 1437 هـ

2015 م - 2016 م

اللغة وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات، ومن خلالها يسعى المتكلم إلى نقل تصوراتهِ ومدرَكَاتهِ إلى المتلقي، معتمداً في ذلك على جملة من الإمكانيات التي توفرها هذه اللغة، وبما تمتاز به من خصائص وظيفية تسهل عملية التبليغ في محيط وسيقا معين. لذا فلا عجب أن تهتم الدراسات اللغوية القديمة والحديثة ببنية هذه اللغة، وما تفرزه من مقتضيات تسهم بشكل كبير في تدعيم هذه الدراسة اللغوية.

ويعدّ الخطاب أو النص من أهم مجالات الدراسات اللغوية الحديثة، والهدف من ذلك هو الكشف عن الآليات المعتمدة من المتكلم لإنجاز خطاب، بما في ذلك اعتماد السياق والظروف المحيطة بعملية إنتاجهما، وكذا مراعاة دور المتلقي في فهمهما، وتحديد مقاصد المتكلم.

هذه المعطيات مجتمعة ومتضافرة أدت إلى تنوع أجناس النصوص والخطابات، وهو ما جعلها تتشعب وتتفرّع حين دراستها وتحليلها، ويرجع ذلك إلى اختلاف المصطلحات والمدارس، تبعاً لمنطلقات وتوجهات وأهداف الباحثين والدارسين لها. فكانت نتيجة هذا كله ثراء وثروة لسانية لغوية، اتّسمت بالتداخل والتشابك، وحتى الغموض أحياناً. وقد كانت عملية تحديد بنية الخطاب من أهم المسائل التي شغلت الكثير من الباحثين والدارسين، غايتهم في هذا الصدد إيجاد الآليات والاعتبارات التي ينتهجها المتكلم للتبليغ عن مقاصده؛ إذ لكل مقام مقال، ولكل سياق جنس خاص به من الخطاب.

ويعدّ الخطاب الحجاجي من أهم مجالات البحث والدراسة، من أجل الكشف عن مكوناته وآليات اشتغاله، والاستراتيجية الخطابية التي ينشأ وفقها هذا الجنس من أجناس الخطاب، إلى جانب دور اللغة فيه وما تؤديه من وظيفة إقناعية، تسهم بقدر كبير في تحقيق مقاصد المتكلم، والتأثير في المتلقي واستمالته لإنجاز

فعل معين. فالحجاج آلية لغوية تنبني من مقتضيات السياق المحيط، وهدفها هو إقناع المتلقي لتغيير سلوك أو معتقد، من خلال توظيف اللغة بوصفها أداة التواصل.

واعتمادا على ما سبق، يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى الكشف عن حقيقة الخطاب الحجاجي، وتحديد بنيته في كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، وكذا الاستراتيجية التي يتبناها المتكلم لإقناع المتلقي، مع إبراز دور اللغة الحجاجية في عملية الربط المنطقي والدلالي لمقتضيات الحجاج. وتحقيقا لهذا المسعى يضع الباحث جملة من التساؤلات التي تساعد على الإحاطة بجوانب هذه الدراسة، ومنها:

- ما هو الخطاب الحجاجي؟.
- وهل للحجاج استراتيجية محدّدة خاصة به، دون بقية أجناس الخطاب الأخرى؟.
- وكيف تتشكّل بنية الحجاج في كتاب (كليلة ودمنة)؟.
- وما هي القواعد البنائية المساهمة في هذا التشكّل؟.
- وما الآليات التي يركز دارس الحجاج على كشفها لمعرفة الطبيعة الحجاجية في كتاب (كليلة ودمنة)؟.
- وهل يتحقق المبدأ الحجاجي في الخطاب دون توظيف لوسائل الإقناع؟.
- وكيف تُستثمر وسائل الإقناع في كتاب (كليلة ودمنة) للتأثير في المتلقي واستمالته إلى المقاصد؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات، وأخرى تنشأ أثناء البحث والدراسة، يختار الباحث موضوعا موسوما بـ :

" بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع "

ويعود سبب اختيار هذا الموضوع وهذه المدونة بالتحديد إلى أسباب، يدرج الباحث في هذا الشأن أهمها:

- 1) الدور البارز للخطاب الحجاجي في استمالة العقول والمشاعر، أكثر من بقية الأجناس الخطابية الأخرى.
- 2) مقتضيات الحوار الإنساني باعتماد الإقناع، دون اللجوء إلى الفرض والإجبار.
- 3) الرغبة في إيجاد منهج تطبيقي شامل لتحليل الخطاب الحجاجي.
- 4) الصبغة الحجاجية الغالبة في كتاب (كليلة ودمنة)، بالرغم من حضور عنصر السرد الذي نُسجَ الكتاب على منواله.

5) الأثر الباقي في الأذهان بعد قراءة كتاب (كليلة ودمنة)، وما يثيره هذا الكتاب من محاولات إسقاط معانيه وحكمه ومواعظه على الواقع الإنساني، على اعتبار أن الكتاب وارد على ألسنة الحيوان.

ومن أجل أن يجسد الباحث هذه الدراسة، وفق الاعتبارات السابقة، يختار الباحث خطة عمل تتألف من فصلين نظريين وثلاثة فصول تطبيقية ثم خاتمة، وفق التفصيل الآتي:

✓ **الفصل الأول:** موسوم بـ " استراتيجيات الخطاب " ويسعى الباحث من خلاله إلى تحديد مفهوم الخطاب، ورفع اللبس عن هذا المفهوم، على اعتبار أنه محصلة الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، مروراً بالتلفظ والملفوظ. ثم يبرز الباحث دور السياق في تحليل الخطاب، ليصل بعد ذلك كله إلى تحديد مفهوم الاستراتيجية الخطابية، وتبيان أنواعها وأهم الوسائل المعتمدة لتجسيدها في الخطاب.

✓ **الفصل الثاني:** معقود على حقيقة " الحجاج والإقناع " وهو امتداد لسابقه، فبعد أن يحدد الباحث نوع الاستراتيجية التي يعتمدها الحجاج، يأتي الدور في هذا الفصل للكشف عن مفهوم وتعريف الحجاج، وارتباطه بالإقناع، وتبيان الوسائل الإقناعية المعتمدة أثناء الحجاج، للتأثير في المتلقي واستمالاته إلى المقاصد

الحجاجية، علما أن الباحث يعرض هذه الوسائل في صورتها النظرية، لأن الجانب التطبيقي من هذه الدراسة كفيل بإبراز ما يوظف منها فعليا دون بقية الوسائل الأخرى.

✓ **الفصل الثالث:** خاص بـ " السلام الحجاجية في كليلة ودمنة " من جانب تطبيقي يهدف إلى إظهار

شكل السلم الحجاجي العام الذي بُنيَ عليه كتاب (كليلة ودمنة)، ثم تحديد السلام الحجاجية الفرعية والجزئية التي تساهم في بناء السلم الحجاجي العام لذلك الكتاب. ويرى الباحث ضرورة هذا الأمر، لأن بنية الحجاج تنطلق في بدايتها من اتجاه السلم الحجاجي.

✓ **الفصل الرابع:** مرتبط بـ " أنواع الحجج في كليلة ودمنة "، وفي هذا الفصل يسعى الباحث إلى تحديد

أنواع الحجج المستعملة في كتاب (كليلة ودمنة)، وتبيان دورها ووظيفتها التأثيرية في المتلقي، مع تضافر هذه الأنواع مجتمعة لتأدية تلك الوظيفة أثناء الحجاج.

✓ **الفصل الخامس:** يتعلق بـ: " الوسائل الإقناعية في كليلة ودمنة " وهدفه تبيان دور اللغة ووظيفتها

التأثيرية، من خلال تحديد أنواع الوسائل الإقناعية المعتمدة أثناء الحجاج في كتاب (كليلة ودمنة)، مع التركيز على إظهار أثرها في المتلقي، والكيفية التي تتجسد بها هذه الوسائل داخل بنية الخطاب الحجاجي.

✓ **خاتمة:** يسجل فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسة بنية الخطاب الحجاجي عموما، وفي كتاب (كليلة ودمنة) على وجه التخصيص.

وتسهيلا لهذه الدراسة النظرية والتطبيقية، يعتمد الباحث على المنهج الوصفي وعلى آليات التحليل،

لما يقدمانه من معطيات وتقنيات تساعد الباحث على كشف حقيقة بنية الحجاج. مع العلم أن طبيعة

الدراسة التطبيقية في هذا المقام تتخذ من الأشكال والرسوم والمخططات التوضيحية وسائل لتبيان المقاصد والغايات المرجوة من هذه الدراسة.

كما يستعين الباحث في هذه الدراسة بجملة من المصادر والمراجع التي تذلل عقبات الكشف

والتنقيب عن حقيقة بنية الحجاج، والاستراتيجية التي يتأسس وفقها الخطاب الحجاجي، وأهم الوسائل

الإقناعية في هذا الصدد. ويسوق الباحث أهم تلك المصادر والمراجع فيما يأتي:

- " استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) "، لـ: عبد الهادي بن ظافر الشهري.
- " ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة "، لـ: عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني.
- " الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة (بنيته وأساليبه) "، لـ: أ/د سامية الدريدي.

■ " التّحاجح طبيعته ومجالاته ووظائفه "، لـ: حمو النقاري.

■ " في أصول الحوار وتحديد علم الكلام "، لـ: طه عبد الرحمان.

■ " الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية "، لـ: عبد الله صولة.

■ " في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية "، لـ: محمد العمري.

■ " Traité de L'Argumentation " Chaim Perelman et O. Tyteca

■ " l'Argumentation dans la Langue " J. C. Anscombe et O. Ducrot

ومن أهم الصعوبات التي تواجه سير هذه الدراسة، تتمثل بدرجة كبيرة في كثرة المصطلحات

وتشعب المفاهيم والتصورات لدى الدارسين والباحثين، وهذا طبعاً راجع لاختلاف المدارس والمناهج

والمنطلقات فيما بينهم. ولهذا سيسعى الباحث في هذه الدراسة إلى تقريب هذه المفاهيم، والأخذ بالأكثر استعمالاً منها، مع إدراج بعضها بصيغته المختلفة، ثم جمعها في آخر المطاف ضمن معجم للمصطلحات باللغتين العربية والفرنسية.

وفي الختام، يأمل الباحث أن يلمّ بجوانب هذه الدراسة، وأن يقدم إسهاماً في مجال البحث اللساني، وأن يضيف إضافة علمية في حقل الحجاج؛ ولو يجمع ما هو مشتت بين دفتّات وطيات المصادر والمراجع. كما يأمل أن يسهل على الباحثين في مجال الحجاج شكل الدراسة التطبيقية، التي تساعد على الفهم والاستنباط. وأن يقدم قراءة جديدة لكتاب (كليلة ودمنة) من منظور حجاجي، يبرز حقيقة ومقاصد هذا الكتاب، وما كان سائداً في عصر ترجمته من عبد الله بن المقفع.

ويتقدّم الباحث بأخلص الشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور: محمد خان ، الموجه والمعلم والمشرف على إنجاز هذا العمل، وعلى كلّ مجهود بذله من أجل أن يقدم سراجاً يتمسك به الباحث في ظلمات المفاهيم وإشكاليات البحث.

والله المعين والموفق وهو من وراء القصد .

الفصل الأول

استراتيجية الخطاب:

1- الخطاب بين المصطلح والمفهوم

2- السياق

3- استراتيجية الخطاب

4- أنواع استراتيجيات الخطاب

1 - الخطاب بين المصطلح والمفهوم:

اللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " ¹، وهي تعدُّ أداة التبليغ بين الأفراد في مختلف المواقف التواصلية، قصد التعبير عن حاجاتهم ومقاصدهم، وبذلك أضحت اللغة موضوع بحث ودراسة، تشترك فيه الكثير من العلوم لإبراز حقائقه وقوانينه الضابطة له. وهذا الاشتراك كان سببا في تنوع مجالات الدراسة، وتعدّد اتجاهاتها ومدارسها، وتفرّع مناهجها ونتائجها بين رؤية لسانية ورؤية اجتماعية وأخرى نفسية، فكان نتاج هذا كله كثرةً في المصطلحات والمفاهيم، واختلافٌ واضحٌ بين المدارس والاتجاهات اللغوية. وقد ظهر الإشكال جليا فيما يعرف بـ (نحو النص Grammaire de texte) أو (لسانيات النص linguistique de texte)، إذ " استقى أكثر أسسه ومعارفه من علوم أخرى تتداخل معه تداخلا شديدا، بحيث يمكن أن يشكّل أدواته في حرية تامة، ثم تصبّ نتائج تحليلاته في هذه العلوم " ²، كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس.

وهذا الارتباط المعرفي أدى بالباحث إلى محاولة إيجاد منظومة مفاهيمية متقاربة ومشاركة بين المدارس والاتجاهات اللسانية، سواء على مستوى المصطلح والمفهوم أو على مستوى المنهج المعتمد " فاختيار مفهوم من بين عشرات المفاهيم غاية في الصعوبة، وليت الأمر ينتهي عند هذا الحدّ؛ فقد امتدّت الصعوبة كذلك إلى المعايير التي تتحقق بها النصّية " ³.

وسعى لتحديد مفهوم الخطاب Discours ووجب الإشارة إلى مفاهيم سابقة له، وفق تراتبية زمنية، ساعدت على تكوين هذا المفهوم وإيجاده، وهذه المفاهيم هي:

- 1- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1952، ج02، ص33.
- 2- سعيد حسين بجري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط01، 1997، ص02.
- 3- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2000، ج01، ص26.

- الجملة Phrase

- التلفظ Enonciation والملفوظ Enoncé

- النص Texte

1-1- مفهوم الجملة Phrase:

1-1-1- عند العرب:

اعتمد الأوائل من النحاة العرب مصطلح الكلام بديلا عن مصطلح الجملة في أعمالهم، لأن "الجملة مصطلح نحوي ظهر متأخرا في مؤلفات النحاة، إذا قارناه بمصطلحات أخرى، أما مفهومها فكان بديلا عنها مصطلح الكلام الذي شاع في جميع العصور"⁴، وقد أورد سيبويه (ت 180 هـ) مصطلح الكلام في مؤلفه (الكتاب) دون أن يورد مصطلح الجملة، و"هذا أمر غريب آخر، ألا يوجد أي أثر للكلمة "جملة" في كتاب سيبويه، وكذلك العبارة "جملة مفيدة" لا أثر لها في الكتاب"⁵، لأن سيبويه يرى أن الكلام ما يستقل بلفظه ومعناه، ويحسن السكوت عنه، وكأنه بذلك يسوّي بين الكلام والجملة دون أن يغفل فارقا جوهريا يميّز ذلك المفهوم باعتباره بنية نحوية مستقلة عن بقية البنى النحوية الأخرى، واعتباره حدثا تواصليا في سياق ما، مما يجعله أقرب إلى مفهوم الخطاب في اللسانيات الحديثة.

ويعدّ المبرد (ت 285 هـ) "أول نحوي تحدث عن الجملة بصراحة في كتابه"⁶، رغم أنه يسوّي

بينها وبين الكلام. وقد تبعه بعد ذلك ابن السراج (ت 316 هـ) الذي يرى "أن الاسم الذي يرتفع

4- محمد خان، لغة القرآن الكريم دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين أمليّة، الجزائر، 2004، ص18.

5- عبد الرحمان الحاج صالح، "الجملة في كتاب سيبويه"، مجلة المرز، الجزائر، 1993، عدد 02، ص08.

6- محمد خان، لغة القرآن الكريم، ص19.

بأنه فاعل هو والفعل جملة يستغني عليها السكوت، وتمت بها الفائدة للمخاطب⁷، وبهذا يعدّ الجملة أساسا في تركيب الكلام الذي تحصل به فائدة عند التبليغ. وقد سار على هذا المنوال بعد ذلك كل من عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) والزمخشري (ت 538 هـ) وابن يعيش (ت 643 هـ)؛ فالزمخشري مثلا يري أن الكلام هو " المركب من كلمتين أسندت إحدهما إلى الأخرى، وهذا لا يتأتى إلا في اسمين أو فعل واسم، ويسمى الجملة "⁸، فمهما كانت البنية النحوية للجملة فهي - عنده - كلام تحدث به فائدة في موقف تواصلية.

غير أن النحويين المتأخرين من العرب بعد ذلك قد ميّزوا بين الجملة والكلام، فالرضي الأسترابادي (ت 538 هـ) يري أن " الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ "⁹، وأما الكلام - عنده - فهو " ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة، ولا ينعكس "¹⁰، وبهذا فالكلام أخصّ من الجملة، لأنّه مقيد بشرط الإفادة. أما الإسناد الأصلي فهو اشتراك بين الكلام والجملة.

وعموما يمكن للباحث القول إن نظرة النحاة العرب للجملة كانت نظرة نحوية، تركز على بنيتها وإسنادها في مدرج الكلام، وبمعزل عما تؤدبه هذه البنية النحوية من وظيفة أثناء التبليغ في مواقف تواصلية مختلفة، حجّتهم في ذلك أن هذه الوظيفة التبليغية هي من صميم الدرس البلاغي الذي يربط البنية النحوية للجملة مع ما يتجاوز معها من بنى نحوية أخرى تشكّل كلاما تحدث به فائدة في مواقف تواصلية مختلفة.

7- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي)، الأصول في النحو، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 04، 1999، ج 01، ص 74.

8- ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلية)، شرح المفصل، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2001، ج 01، ص 21.

9- الرضي الأسترابادي (محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي نجم الدين)، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1998، ج 01، ص 31.

10- المرجع نفسه، ص 32.

1-1-2- عند الغرب:

لقد كان كتاب (دروس في اللسانيات العامة / cours de linguistique Générale) للساني فرديناند دي سوسير F. De. Saussure (1857 – 1913) فتحاً جديداً لظهور ما يعرف باللسانيات البنوية *linguistique Structurale*، إذ عرض فيه قواعد وضوابط الدرس اللساني الحديث وأوجد مصطلحات ومفاهيم أوضحت أساسيات في البحث اللساني، فقد اعتبر سوسير اللغة *langage* نظاماً *Systeme* من الرموز، تبرز في شكل ثنائية الدال *Signifiant* والمدلول *Signifie*، وتنشأ بينها علاقة عند نقل الأفكار على مستوى اللسان *langue* المشترك بين الأفراد، أما الكلام *Parole* فيمثل التجسيد الفعلي والتأدية الواقعية لذلك اللسان، وقد وضّح سوسير أن دراسة اللغة تعتمد على جانبين، اتجاه *Diachronique* أي يهتم بالتغيرات التي تحدث للغة عبر الأزمنة. إلا أنه ركّز على الاتجاه الأول (الآني)، وأبعد الكلام عن الدراسة، واعتبره خارجاً عن القوانين الداخلة في تركيب اللغة، لأنه مرتبط بتأدية الفرد له وهو المتحكم فيه¹¹، و"لم يلتفت سوسير ولا البنيويون الذين جاؤوا بعده إلى هذا المظهر الهام، والذي منعهم من ذلك هو اعتقادهم بأن كل ما خرج عن بنية الألفاظ المفردة ونظامها فهو راجع إلى الفرد، فالجملة مثلاً بما أنها تركيب لوحات اللغة يقوم به الفرد، فليس عندهم "لسانية" أي وصفية، بل "كلامية" أي من جنس الأفعال الفردية لا من جنس المقدرات اللغوية"¹².

11- ينظر: صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص62 إلى ص66.

و ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، السعودية، ط2، 2000، ص211 إلى ص220.

12- عبد الرحمان الحاج صالح، "مدخل إلى علم اللسان الحديث"، مجلة اللسانيات، الجزائر، 1972، مجلد 02، عدد 01، ص53، هامش 104.

ثم جاءت بعد البنوية اللسانية الوظيفية *linguistique Fonctionnelle* التي ركزت في دراستها للغة على الوظيفة التي تؤديها بوصفها أداة تبليغ تظهر فيها آثار الوسائل التعبيرية لاختيارات المتكلم أثناء التواصل، وامتدت هذه الدراسة لتشمل "الدراسات النحوية لينشأ عندئذ النحو الوظيفي"¹³. وقد رأى أندري مارتيني *A. Martinet* أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، وعدّها "مؤسسة إنسانية يرتد كيانها إلى المجتمع الذي يتكلمها"¹⁴. كما رأى أيضا أن الجملة تتألف من نواة *Nayau* وفضلة *Expansion*، فأما النواة فتشكّل التركيب الإسنادي *Syntagme prédicatif* الذي يتألف بدوره من مسند *Prédicat* ومن مسند إليه *Sujet* وهما "وحدتان متلازمتان أبدا"¹⁵ داخل الجملة، وحذفهما يؤدي إلى خلل في معنى هذه الجملة. وأما الفضلة في الجملة فيمكن الاستغناء عنها إذا حدثت الفائدة عند المخاطب أثناء التبليغ. وعلى هذا الأساس فإن النحو الوظيفي *Grammaire fonctionnelle* ينظر إلى الجملة من حيث تركيبها ودلالة مكوناتها، وإلى الوظيفة التي تؤديها هذه المكونات انطلاقا من مستويات التحليل اللغوي.

هذا عن الجملة من المنظور الأوربي، أما بالنظر إلى الرؤية الأمريكية فقد ظهر اتجاه لساني سنة 1930 يتعلق بعلم النفس السلوكي *Behaviorisme* عرف باللسانية التوزيعية *linguistique*

Distributionnelle حاول أصحابه توظيفه في الدراسات اللغوية، ورأوا أن "الفروق بين البشر محكومة بالبيئة التي يعيشون فيها، وأن كل سلوك هو ردّ فعل"¹⁶، والكلام سلوك فردي؛ فالمتكلم يصدر أصواتا تحت تأثير ظرف معين يدعى منبّه *Stimulus* يتطلب استجابة *Réponse* من المتلقي تعدّ ردّ فعل

13- منذر عياشي، اللسانيات و الدلالة "الكلمة"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 01، 1996، ص131.

14- ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 01، 1983، ص252.

15- سليم بابا عمر و باني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، أنوار، الجزائر، 1990، ص87.

16- ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص278.

Réaction لذلك، لهذا فالبحث اللساني التوزيحي ينظر إلى قاعدة (الأصوات + منبه = استجابة) عند التحليل اللغوي بإبراز " العلاقة الموجودة بين المجموعة الصوتية المتعاقبة " ¹⁷، ثم تحديد المنبه الذي يتطلب استجابة من المتلقي، ويتم ذلك يجمع مدونة كلامية Corpus تمثل جمل اللغة المتحققة أثناء التبليغ، ثم تقطيعها إلى وحدات تخضع للوصف والإحصاء، دون التركيز على المعنى وعلى المعطيات الدلالية والسياقية. وهذا ما دعا إليه كل من بلومفيلد Blomfield وهاريس Harres أثناء التحليل التوزيحي لمدونة الكلام " بإبعاد كل اعتبار معنوي عن الوصف لساني " ¹⁸، مما جعل اللسانيات التوزيحية لا تتعدى حدود الشكل اللغوي للجملة.

ثم ردف التوزيحية اتجاه لساني أمريكي آخر، أسسه نوام تشومسكي n.chomsky وهو ما يعرف باللسانيات التوليدية التحويلية linguistique Générative et Transformationnelle فقد "أقامها على أساس نقدي" ¹⁹ للنظريات البنوية، ورأى أن البنوية " لا تميز بين المناهج التحليلية وبين موضوع تحليلها " ²⁰، فلم تخرج بذلك عن دائرة الوصف وتحليل الوحدات المكوّنة للغة إلى تحديد المركب التركيبي Composante Syntaxique الذي يساعد على صياغة التحليل في شكل قواعد علمية مرتبة، لتوليد عدد لا متناه من الجمل دون الرجوع إلى لغة ما، لأن الفرد في نظر تشومسكي يملك قدرة على إيجاد جمل لا متناهية العدد، لم يسمعها ولم ينطق بها من قبل في سياقات كلامية مختلفة. وبهذه النظرة تحوّل مجال البحث اللغوي من الوصف والإحصاء إلى الاستنتاج والتجريب، بالرغم من أنه لم يتعد دراسة مستويات الجملة (الصوتي، الصرفي، المعجمي، الدلالي، التركيبي) بمعزل عن سياقها اللغوي وعن ظروف التبليغ.

17- سليم بابا عمر و باني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، ص35.

18- المرجع نفسه، ص36.

19- المرجع نفسه، ص53.

20- المرجع نفسه، ص53.

إن فصل الجملة عن سياقها اللغوي وعن ظروف إنتاجها أثناء التواصل هو ما جعل اللسانيات الغربية بمختلف مدارسها ومناهجها محصورة داخل بنية الجملة ذاتها، فلم تتجاوز حدود الوصف وأضحت أكبر وحدة قابلة للتحليل، مفصولة عن العوامل الاجتماعية والتبليغية (اللغة، الثقافة، الشخصية)²¹ التي تسهم في تحديد مقاصد المتخاطبين في مختلف المواقف والسياقات التواصلية.

1-2- التلفظ والملفوظ / Enonciation / Enoncé:

لقد عجزت لسانيات الجملة عن حل الكثير من الإشكالات في الدرس اللغوي الحديث، وهذا ما تطلب رؤية جديدة تتعدى حدود الجملة، وتربط عملية التواصل بسياقها اللغوي والاجتماعي والثقافي وبعناصر التواصل وأطرافه. وقد دعا بيرس Berce إلى " تناول الدليل اللغوي في أبعاده الثلاثة"²²، المتمثلة في البعد التركيبي والبعد الدلالي والبعد التداولي الذي يربط من خلاله بين الدليل اللغوي ومستعمله ومؤوله في موقف تواصل محدد، ثم تبعه هاريس Harres في هذا المسعى داعيا إلى " توزيع العناصر اللغوية في النصوص والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي"²³، فظهر عنده مفهوم جديد تمثل في الملفوظ Enoncé وهو " كل جزء من الكلام يقوم به المتكلم وقبل هذا الجزء وبعده يوجد صمت من قبل المتكلم"²⁴، إلا أن ما يلاحظه الباحث في هذا التعريف هو تداخله مع مفهوم الجملة، لأنها أيضا جزء من الكلام تتم به فائدة معينة وهي مستقلة عن التراكيب السابقة واللاحقة بها.

²¹- Voir : E. Benveniste, Problèmes de linguistique Général, Edition Gallimard, 1966, P16.

²²- حولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص159.

²³- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 01، ص23.

²⁴- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1989، ص17.

أما إميل بنفينيست E. Benveniste فيرى أن التلفظ Enonciation هو " وضع اللغة في حركة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال"²⁵، وهذه الحركة تمثل التجسيد الفعلي والعملي للغة، على اعتبار أنها مجموع الأفكار والتصورات الموجودة في ذهن المتكلم التي تتحوّل بعد فعل التلفظ إلى ملفوظ، وبهذا يصبح الملفوظ مجموع الوقائع الكلامية أو اللغوية التي يقوم بها المتكلم من أجل التمثيل الجزئي للتلفظ المرتبط بعملية إحداث الكلام، فهو على هذا الأساس " فعل حيوي " ²⁶ يحدثه المتلفظ لإنتاج نص أو خطاب، له بداية ونهاية، ويفصل عن ذات المتلفظ (المتكلم) بعد ما يتم إنجازها، مما يجعل التلفظ مرتبطا باللغة المنطوقة، أما الملفوظ فيتعلق باللغة المكتوبة وهو يقابل النص المنجز.

وقد فرّق بنفينيست بين الجملة والملفوظ فعّد الجملة " لا تشكّل في صلب ملفوظ أكبر، سوى وحدة صغرى للخطاب، ومع الجملة نبرح ميدان اللغة بوصفها نظاما من الأدلة، ونلج عالما آخر هو اللغة بوصفها أداة للتخاطب التي تتحلّى في الخطاب " ²⁷، فتصبح الجملة وحدة صغرى تتجاور مع وحدات صغرى لتشكّل صورة الخطاب Discours عند إميل بنفينيست، وحدد مفهوم الخطاب على أنه " الملفوظ المنظور إليه من جهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل " ²⁸، كما أنه " كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما " ²⁹، فالخطاب ملفوظ مرتبط باللغة المكتوبة انطلاقا من آليات التواصل وما تقتضيه من استعمال للدليل اللغوي المتواضع عليه، فهو نص بوصفه ملفوظا. كما يعدّ الخطاب تلفظا مرتبطا باللغة المنطوقة، ويتطلب طرفين هما المتكلم والمستمع locuteur/Auditeur، كما يتطلب هدفا تأثيريا أثناء التخاطب يتم بآلية وكيفية محددة، وهذا ما جعل بنفينيست يركّز في موضوع

25- كاترين فوك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب النصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص134.

26- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص19.

27- محمد بيجاتن، "مفهوم الأصالة من وجهة نظر تحليل الخطاب"، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ديسمبر 1999، عدد14، ص336.

28- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص19.

29- المرجع نفسه، ص19.

الدراسة اللغوية على التلفظ أكثر من الملفوظ، لأن التلفظ يبرز أحوال المتكلم والمستمع، وأحوال السياق المصاحب لعملية المشافهة.

وهذه الحقيقة قد أشار إليها علماء العربية منذ القدم في دروس البلاغة العربية عند تحديد " دور المتكلم وتصرفاته بحسب أغراضه وبمقتضى الحال وأحوال السامع"³⁰، إلا أن تركيزهم على دراسة الجملة بوصفها بنية نحوية مستقلة عما يجاورها من بني نحوية أخرى هو ما أبعد هذه الحقيقة.

وبالنظر إلى ما طرحه إميل بنفنيست حول مفهوم التلفظ والملفوظ وكذا النص والخطاب، واعتبار الخطاب ملفوظا وتلفظا في آن واحد، وارتباطه باللغة المكتوبة ولغة المشافهة فإن هذا الأمر قد طرح إشكالا تتمثل في التداخل المفاهيمي بين الخطاب والنص وآليات اشتغال كل منهما.

1-3-3-1 النص :Texte

1-3-3-1 أ- لغة:

النص " رفعك الشيء، ونصّ الحديث رفعه، وكل ما أظهر فقد نصّ وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند[..] ونصت الطبيبة جيدها: رفعته[..] ووضّع على المنصّة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور[..] والمنصّة: ما تظهر عليه العروس لثرى[..] ونصّ المتاع نصّا: جعل بعضه على بعض، ونصصت ناقتي: رفعتها في السير[..] وأصل النصّ: أقصى الشيء وغايته[..] ونصّ كل شيء منتهاه "³¹، والنصّ " الإسناد إلى الرئيس الأكبر ونصص غريمه وناصه استقصى عليه

30- عبد الرحمان الحاج صالح، " التحليل العلمي للنصوص بين علم الدلالة وعلم الأسلوب والبلاغة العربية "، مجلة المبرز، الجزائر، 1996، ص 06، ص 28.

31- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 03، 1994، مجلد 07، ص 97 و98، مادة (ن ص ص).

وناقشه " ³². لهذا فالمعاني المعجمية للنص تنصب في مفاهيم هي: الرفع والإظهار والاستقصاء وبلوغ نهاية الشيء وأقصاه والإسناد.

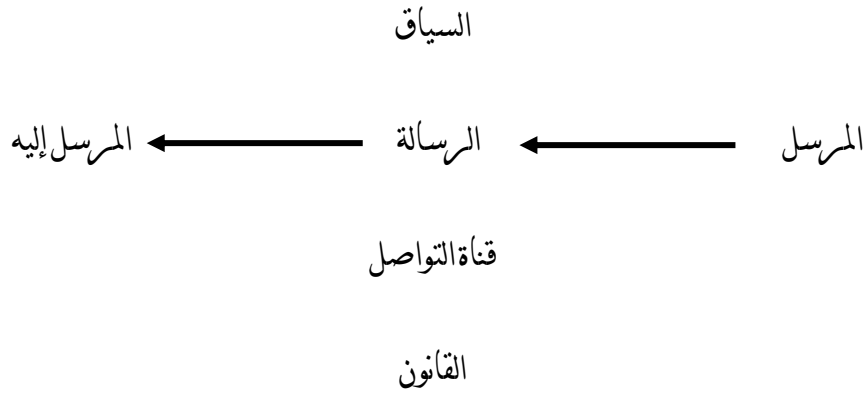
1-3-ب- اصطلاحا:

تعددت تعريفات النص وتباينت بين العلماء، وهذا راجع إلى خلفياتهم المعرفية ومناهجهم العلمية وبخاصة اللسانيين الغربيين، فقد رأى بول ريكور P. Ricoeur أن النص " خطاب تمّ تشبيته بواسطة الكتابة " ³³، أما شلوميت Shlomete فتري أن النص يحمل معنى " الخطاب الشفوي أو الكتابي، أو بمعنى آخر هو ما نقرأ " ³⁴، لأن القراءة لا تكون إلا لما هو مكتوب. وبالنظر إلى هذين التعريفين فإن مفهوم النص مرتبط باللغة المكتوبة، في حين يرتبط الخطاب بلغة المشافهة. أما جوليا كريستيفا J. kristeva فتعدّ النص " جهازا شبه لساني يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق ربطه بالكلام التواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أماط الملفوظات السابقة والمعاصر " ³⁵، وهذا التعريف مردّه إلى طبيعة إنتاجية النص Productivités، لأنه يوضح العلاقة الموجودة بين اللسان والكلام في موقف تواصلي ما، عن طريق استعمال ملفوظات مأخوذة من نصوص لا تمثل النص الأصلي وهو ما يعرف بعملية التناص Intertextualité، بمعنى أن النص يمثل " عملية استبدال من نصوص أخرى " ³⁶

32- الفيروز آبادي (أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي)، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط08، 2005، جزء02، ص320، مادة (ن ص ص).
 33- عز الدين المناصرة، "شهادة في شعرية الأمكنة"، مجلة التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1990، عدد01، ص40.
 34- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1989، ص11.
 35- المرجع نفسه، ص19.
 36- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج01، ص33.

في حين شبه رولان بارث R. Barthes النص بنسيج العنكبوت ويرى أنه " نشاط وإنتاج، يتكوّن من نقول منتظمة وإشارات وأصداء لغات وثقافات عديدة"³⁷، هذا الإنتاج يتطلب مشاركة القارئ التي "تتضمن القطيعة بين البنية والقراءة[...]"، فممارسة القراءة إسهام في التأليف"³⁸، وبالتالي فإن نشاط القارئ لا يتمثل في قراءة النص بل يتجاوزه إلى مجال تركيب نص من عدة نصوص سابقة له، ممهدا الأمر لإنتاج نصوص لاحقة.

ويشير الباحث في هذا السياق إلى أن الدكتور محمد مفتاح قد سعى إلى بناء تعريف جامع للنص انطلاقا من مجموع تعريفات مختلفة من حيث المنطلقات العلمية، فهو يرى أن النص "مدوّنة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"³⁹، لأنه مرتبط بالكتابة وبالسياقات الاجتماعية والنفسية والتاريخية واللسانية التي ساعدت على إنتاجه لتأدية مجموعة من الوظائف أثناء التواصل. وهذه الوظائف هي التي حددها رومان جاكسون R. Jakobson انطلاقا من مخطط التواصل⁴⁰، على النحو الآتي :



37- سعيد حسين بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص113.

38- المرجع نفسه، ص113.

39- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1985، ص120.

40- كاترين فوك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص138.

وقد رأى جاكسون أن وظائف الكلام أو اللغة Fonctions de la Langue تتمثل في الآتي⁴¹:

1 - الوظيفة المرجعية (السياقية) Fonction Référentielle: وتعلق بالسياق Contexte الذي تتم فيه عملية التواصل.

2 - الوظيفة التعبيرية (الانفعالية) Fonction Expressive: تحدد أثر المرسل وتعبيره المباشر أثناء التواصل.

3 - الوظيفة الانتباهية Fonction Phatique: تمثل الآليات المعتمدة لشدّ انتباه المرسل إليه أثناء التخاطب.

4 - الوظيفة الإفهامية Fonction Conative: وتعلق بالمرسل إليه وقدرته على تحديد فحوى رسالة التخاطب.

5 - الوظيفة ما وراء لغوية Fonction Meta -Linguistique: تبرز وعي المرسل إليه في استعمال قانون الخطاب.

6 - الوظيفة الشعرية (الإنشائية) Fonction Poétique: تمثل الملفوظ في بنيته المادية وهي أهم وظيفة في التواصل، وقد اعتبرها جاكسون نص الخطاب.

وقد أكد ديفيد كريستال D. Crystal على "الامتداد في النصوص، وكونه منطوقاً أو مكتوباً، ثم على الوظيفة الاتصالية"⁴² التي يؤديها النص؛ لأنه سواء كان كلمة أو جملة أو متوالية من جمل كثيرة تجمع بينها روابط شكلية أو دلالية لا بدّ من توفر السياق الذي يوضح دلالة هذا النص.

أما هاليداي Halliday و رقية حسن R. Hassan فإنهما يريان أن كلمة النص "تستخدم في علم

اللغة للإشارة إلى أي فقرة، منطوقة أو مكتوبة، مهما طالت أو امتدت [...] والنص هو وحده اللغة

41- نقلا عن: كاترين فوك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 138 و 139.

و ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1985، ص 85 و 86.

42- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 01، ص 32.

المستعملة، وليس محمدا بحجمه، والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة " ⁴³، لأن المغزى هو معرفة دلالة النص بغض النظر عن حجمه وطوله، وهذا بتحديد الوظيفة الدلالية التي يؤديها في سياق اجتماعي وثقافي معين، علما أن هذه الوظيفة الدلالية تتمثل في اللغة. فالنص هو " اللغة التي تخدم غرضا وظيفيا؛ أي هو اللغة التي تخدم غرضا في إطار سياق ما، وقد يكون النص منطوقا أو مكتوبا ⁴⁴.

وبالنظر إلى جملة هذه التعريفات فإن النص يرتبط باللغة المكتوبة كما يرتبط باللغة المنطوقة، وهذا من شأنه أن يحدث تداخلا بينه وبين الخطاب، لهذا دعا فان دايك Vandjik إلى ضرورة إعادة بناء الأقوال انطلاقا من نظرية أدبية محددة تكون " على شكل وحدة أكبر من الجمل وهي النص، ويعني به البناء النظري التحتي المجرد لما يسمى عادة خطابا " ⁴⁵، وميِّز فان دايك بين النص والخطاب، فقد رأى أن الخطاب " هو في آن واحد فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية، بينما النص هو مجموعة البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه " ⁴⁶، بمعنى آخر " الخطاب هو الموضوع المحسّد أمامنا كفعل، أما النص فهو الموضوع المجرد والمفترض " ⁴⁷. ولهذا رأى فان دايك أن النص يتضمن الخطاب، وإذا تمّ تجسيد النص في موقف وسياق تواصلية محدد يعدّ خطابا، لأنه سيقترن بالتلفظ الآني الذي يحمل دلالة معينة، تتفاعل معها أطراف الخطاب داخل سياق اجتماعي وثقافي يحيط بهذه الأطراف.

43- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 01، ص 29.

44- يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة، مصر، ط 01، 1994، ص 84.

45- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1991، ص 29.

46- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص 16.

47- المرجع نفسه، ص 16.

1-4 - الخطاب Discours:

1-4-أ- لغة: جاء في المعجم "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد مخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً [...]، وخطب الخاطب على المنبر [...] واسم الكلام الخطبة (وهي الكلام المنثور المسحج ونحوه [...] والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر"⁴⁸، فهي لا تخرج عن دلالة الكلام ومفهومه.

1-4-ب- اصطلاحاً:

لقد ورد استعمال لفظ الخطاب عند العرب - بالنظر إلى تراثهم القديم - في القرآن الكريم وعند أهل النحو وعند الأصوليين؛ ففي القرآن الكريم ورد لفظ الخطاب في أكثر من موضع، سواء بصيغة الفعل أو بصيغة المصدر، نحو قوله تعالى:

أ/ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁴⁹.

ب/ ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾⁵⁰.

ج/ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾⁵¹.

د/ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾⁵².

ففي هذه الآيات البيّنات قرّن مفهوم الخطاب بالكلام، على اعتبار أنه تأدية فردية ونشاط ذي فعالية أدائية ذاتية من المتكلم الذي له مقاصد محددة أثناء التبليغ.

48- ابن منظور، لسان العرب، مجلد 01، ص 361، مادة (خ ط ب).

49- سورة الفرقان، الآية 63.

50- سورة المؤمنون، الآية 27.

51- سورة ص، الآية 23.

52- سورة النبأ، الآية 37.

أما عند النحويين العرب فقد اهتموا بصيغة اسم المفعول (المخاطب) وهذا " للدلالة على طرف الخطاب الآخر الذي يوجّه المرسل كلامه إليه "53. كما ورد عند الأصوليين بصيغة اسم الفاعل (المخاطب) واسم المفعول (المخاطب) وهذا قصد الدلالة على طرف الخطاب، وقد عرفه الآمدي بأنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو مُتَهَيِّءٌ لفهمه"54، بمعنى أنه يقرن مفهوم الخطاب ببنية الألفاظ المتواضع عليها دون النظر إلى ما يحيط بهذه البنية من أحوال ومقتضيات.

هذا عند العرب قديماً، أما بالنظر إلى علماء الغرب فإن لفظ الخطاب قد ظهر عندهم في الدراسات اللسانية الحديثة، وقد اختلفوا حول مفهومه وتعريفه تبعاً لمنطلقاتهم العلمية واتجاهاتهم اللسانية، كما تباينوا أيضاً في التفريق بينه وبين النص؛ فمنهم من يرى تطابقاً مفاهيمياً بينهما، ومنهم من يرى عكس ذلك، فإميل بنفينيست يعرف الخطاب على أنه " الملفوظ المنظور إليه من جهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل "55. لهذا ارتبط الخطاب عنده باللغة المكتوبة وعده نصاً، له دلالة معينة بين مستعملي الدليل اللغوي المتواضع عليه، كما رأى - في الوقت ذاته - أن الخطاب " تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما "56، مما يستدعي ارتباط الخطاب باللغة المنطوقة قياساً بطرفي التواصل (المتكلم والمستمع).

53- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2004، ص35.

54- علي بن محمد الآمدي (أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1986، ج01، ص136.

55- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص19.

56- المرجع نفسه، ص19.

أما رومان جاكسون فيرى أن الخطاب "نص تغلّبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، وهو ما يفضي حتما إلى تحديد ماهية الأسلوب لكونه الوظيفة المركزية المنظمة" ⁵⁷، ودراسة الأسلوب ترتبط غالبا بالنص وبشكله وبنيتيه، فالخطاب عند جاكسون هو نص. ونجد الأمر ذاته عند رولان بارت الذي يرى تطابقا بين الخطاب والنص، فالنص عنده "يظل على كل الأحوال متلاحما مع الخطاب، وليس النص إلا خطابا، ولا يستطيع أن يتواجد إلا عبر خطاب آخر" ⁵⁸. وقد رأت جوليا كريستيفا أن "النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والايديولوجيا والسياسة" ⁵⁹.

ومن الذين حاولوا الفصل بين الخطاب والنص عند الغرب روجر فاوولر R. Fawler إذ يعتقد أن الطبيعة الوظيفية لكل منهما من شأنها أن تميّز الخطاب عن النص، وأن "معالجة الأدب بوصفه خطابا معناها النظر إلى النص بوصفه علامات بين مستخدمي اللغة، ليس فحسب علاقات الكلام، بل أيضا علاقات الوعي والايديولوجيا والمساهمة والطبقة، إذ لا يعود النص شيئا، بل يغدو فعلا أو عملية" ⁶⁰ تتطلب نشاطا بين طرفيه، في موقف تواصلية ما؛ أي أن النص داخل هذا الموقف يتحوّل إلى خطاب بوصفه فعلا تبليغيا.

ويشير الباحث في هذا الإطار إلى أن العرب المحدثين قد حاولوا التفريق بين مفهومي الخطاب والنص، ومنهم سعد مصلوح الذي يركّز على أن الخطاب "رسالة موجّهة من المنشئ إلى المتلقي، تستخدم فيها الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكوّن نظام اللغة (الشفرة) المشتركة، وهذا النظام يلي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، وتشكّل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي

57- نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، 1997، ص11.

58- المرجع نفسه، ص31.

59- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي ومراجعة عبد الجليل ناظم، دار طوبقال للنشر، المغرب، ط02، 1997، ص13.

60- ك.م نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي الكاعوب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط01، 1996، ص132.

والاجتماعي في حياتهم " 61، فالخطاب رسالة تربط طرفين بينهما علاقة ودليل لغوي مشترك، وهي من مقتضيات التواصل. أما النص فينحصر داخل المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تؤلف نظام اللغة، وبهذا يرتبط الخطاب قياسا بطرفيه (المنشئ والمتلقي). بما هو منطوق من هذه اللغة. وهذا ما ذهب إليه طه عبد الرحمان في هذا الصدد، إذ عدّ الخطاب " كل منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا "62 يسعى من خلاله المتكلم إلى التواصل مع المتلقي، باعتماد اللغة المنطوقة لما تظهره من مقاصد هذا المتكلم تبعا للظروف المحيطة بالخطاب.

بين الخطاب والنص:

إن الفصل بين مفهومي الخطاب والنص راجع إلى طبيعة الثقافة العلمية، وإلى الزاد المعرفي، والتوجّه اللساني الذي يفرض نفسه على الباحث، على الرغم من بقاء الإشكال قائما في هذا الشأن، إلا أن محاولة الباحث التمييز بينهما قد تكمن في مجموعة نقاط تتمثل في :

✓ الخطاب مرتبط باللغة المنطوقة، أما النص فهو نتاج اللغة المكتوبة لأن " اللغة الشفوية تنتج خطابا، بينما الكتابة تنتج نصوصا، وكلاهما يحدّد بالرجوع إلى القناة التي يستعملها "63 الخطاب أو النص.

✓ الخطاب يتطلب متكلما ومستمعا أثناء التواصل، أما النص فيتطلب منتجا (ناصبا) ومتلقيا قد يؤجل إلى حين القراءة.

✓ الخطاب ينقطع بزوال لحظة التواصل، أما النص فمستمر حتى ولو غاب متلقيه.

✓ الخطاب موجّه لمستمع معين ولا يتجاوزه إلى غير أثناء التواصل، أما النص فقد يتعدى إلى مجموعة من المتلقين لديومته واستمرارية الكتابة في كل زمان ومكان.

61- نور الدين السدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص74.

62- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1998، ص215.

63- R. Escarpit, L'écrit et la Communication , Paris ; Puf (coll que sais- je ?), 1978, P29.

- ✓ الخطاب مقترن بالتلفظ الآني الذي يحمل دلالة معينة، تتفاعل معها الأطراف المجسّدة له أثناء التواصل، في سياق محدّد، يبرز نفسية وثقافة هذه الأطراف، أما النص فمتعلق بالملفوظ والكتابة، وهو يحتوي تلك الدلالة المعيّنة للخطاب، ولهذا رأى فان دايك أن النص يتضمن الخطاب، وإذا تمّ تجسيد هذا النص في موقف وسياق تواصلية يعدّ خطاباً.
- ✓ النص مفهوم يترع إلى النمط الخبري، فيكون أقرب إلى إقامة الحجة والدليل. أما الخطاب فهو مفهوم يترع إلى الإنشائية، لذا يكون أقرب إلى الإبداع.

2- السياق Contexte:

2-1- مفهومه: شاع عند العرب منذ القديم مصطلح المقال والمقام بدل مصطلح السياق، فقد استعملوا المقام بكثرة في الدراسات البلاغية " وعدّوه مناسبة القول وملاساته، ودعوا إلى ضرورة مراعاته وموافقة خصائصه "64 في المواقف التبليغية لتحديد مقاصد المتكلمين. يقول أبو هلال العسكري (ت 395 هـ): "واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال، فإذا كُنْتَ متكلماً أو احتجتَ إلى عمل خطبة لبعض ما تصلح له الخطب أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد فتخط أفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فإن ذلك هُجْنَةٌ "65. وهذا الكلام دليل على أن العرب كانت تربط المقام بطبيعة وجنس الخطاب ومقاصد المتكلمين؛ فتغيّر جنس الخطاب ومقصد المتكلم يؤدي بالضرورة إلى تغيّر المقام، لأن هنالك تجانسا تاما بين المقام وطبيعة الرسالة التي ينتجها المتكلم قياسا بمقاصده وغاياته، وهذا ما يعرف بمقتضى الحال في الدرس البلاغي العربي.

وقد رأى الدكتور محمد العمري ضرورة مراعاة المقام ومقتضى الحال في البلاغة العربية بوصفها "عنوانا للعلاقة بين الخطيب والمستمع، فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين "66؛ بمعنى أن المقام عند العرب كان مقتصرا على المتكلم في

64- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة (بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 01، 2008، ص89.

65- أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري)، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق على محمد البحايوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 01، 1952، ص135.

66- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، لبنان، ط 02، 2002، ص18.

مراعاة أحوال السامع، دون الإشارة إلى طبيعة هذا المتكلم وإلى ثقافته وإلى بيئته، وإنما ينصب الأمر كله على السامع، لأنه هو من يحدد مقاصد المتكلم من خلال فهمه لنص الخطاب.

كما حاول صلاح فضل الربط بين مفهوم التداولية حديثاً وبين مفهوم مقتضى الحال عند العرب في الدراسات البلاغية، على اعتبار أن التداولية هي " العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منظم، مما يطلق عليه سياق النص " ⁶⁷؛ أي ربط الوحدات اللغوية المكوّنة للنص بظروف إنتاجه، بينما " يأتي مفهوم التداولية هنا ليغطي بطريقة منهجية منظّمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة " مقتضى الحال "، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية " لكل مقام مقال " ⁶⁸.

ويمكن للباحث القول إن العرب بنظرتهم البلاغية إلى طبيعة المقام أو مقتضى الحال قد ركزوا على ضرورة مراعاة المتكلم لأحوال السامعين، بعيداً عن ظروف الكلام، وعن العالم الاجتماعي والنفسي الذي يؤثر في مستعمل اللغة، وارتباطاته الزمنية والمكانية، وجعلوا السامع المحور الأساس في تحديد مقاصد المتكلم. أما في الدراسات اللغوية الحديثة وبخاصة عند الغرب، فمصطلح السياق Contexte هو الشائع في الاستعمال، وعُرفَ عندهم على أنه مجموعة الظروف التي تحيط بعملية حدوث فعل التلفظ أثناء التواصل، وغالباً ما تعرف هذه الظروف بسياق الكلام. فاللغة أداة تواصل بين أفراد المجتمع، ومن خلالها يُبلغ الأفراد مقاصدهم لبعضهم البعض، فينشأ نشاط وتفاعل بينهم داخل البيئة المحيطة بهم، وهذا ما يؤثر على إنتاج هذه اللغة وعلى تحديد دلالة معانيها، فهي " نشاط اجتماعي للإنسان " ⁶⁹ ينتجها ويتلقاها محمداً

67- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ع164، ص26.

68- المرجع نفسه، ص26.

69- محمد سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة (نصوص ودراسات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1991، ص236.

دلالاتها انطلاقاً مما يحيط به ماديا وثقافيا، فاللغة " وليدة الاحتكاك في المجتمع " ⁷⁰ ، والمعرفة التصريحية أو الضمنية لطبيعة هذا الاحتكاك تساعد على تحديد التفاعل الخطابي بين أطراف التواصل، كما تبرز مقاصد المتكلم، وتبرر فهم المستمع. وعلى هذا الأساس رأى علماء اللغة أن "السياق الاجتماعي مُتمم للمعنى، ولا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة" ⁷¹ ودراسة ظواهرها و دلالاتها داخل المجتمع، والنظر إلى استعمالها في سياقات تواصلية مختلفة. وقد اعتبر فيرث Firth أن تحديد المعنى " لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية " ⁷² ، لأنها تتجاور مع وحدات لغوية أخرى، وهذا التجاور من شأنه أن يكشف معاني هذه الوحدات اللغوية مجتمعة في موقف تواصلية ما.

كما أكد هاليداي ورقية حسن هذا التوجه " فكل نص له سياق [..] وأي نقطة أو جملة بعد بداية النص ترتبط بما قبلها وبما بعدها، وبالبيئة المحيطة بها " ⁷³ ، فالعنى له علاقة بالسياق من جانبيين اثنين هما:

1 - السياق اللغوي.

2 - سياق التلفظ / الحال / الموقف.

فأما السياق اللغوي فهو مرتبط بتلك الأجزاء من الخطاب التي تحيط بالكلمة في المقطع، وتساعد على الكشف عن معناها ⁷⁴ قياسا بما يجاورها من وحدات لغوية سابقة ولاحقة، فمن المعلوم أن لكل وحدة لغوية معنى معجميا، لكن عند تجاورها مع وحدات لغوية أخرى تنتظم معها في الخطاب، يصبح لها معنى دلاليا يبرز مقاصد المتكلم. وأما سياق التلفظ أو الحال أو الموقف فهو مجموعة الظروف التي تحيط بالخطاب،

70- إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص106.

71- محمد سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، ص237.

72- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط02، 1988، ص68.

73- Halliday M.A.K and Ruqaiya Hassan, Language Context and Text, Aspect of Language in A Semiotic perspective, Oxford university press, Oxford, 1989, P48.

74- Voir : Clark Herbert H, Arenas of Language use, the university of Chicago press, 1992, P60.

وتساهم بشكل كبير في إنتاجه، ويتعلق الأمر بطرفي الخطاب (المتكلم والمستمع)، والعلاقة التي تربطهما، وكذا البيئة التي تحفهما، سواء زمنية أو مكانية أو ثقافية أو اجتماعية أو نفسية.

وعلى العموم فإن الاختلاف بين العرب وبين الغرب في استعمال المصطلح (المقام مقابل السياق)

مرده إلى اختلاف زمان الاستعمال وثقافة البيئة؛ فالعرب استعملوا مصطلح المقام في الدراسات البلاغية القديمة، أما الغربيون فقد استعملوا مصطلح السياق في الدراسات اللسانية الحديثة، وكل منهما مقصود به معرفة الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب، لكن من زاويتين مختلفتين؛ فالعرب يركزون على ضرورة مراعاة المتكلم لأحوال السامع كي يفهم مقاصد الخطاب، بينما عند الغربيين فإن الأمر أوسع من ذلك لاتساع الدراسات اللسانية، ليشمل طرفي الخطاب والظروف المحيطة بهما.

2-2- عناصر السياق:

يمثل السياق مجموع الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب، وتتجسد هذه الظروف في الجو الخارجي الذي يحيط بطرفي الخطاب (المتكلم والمستمع)، والعلاقة التي تربطهما معا، إضافة إلى زمان ومكان الخطاب وجملة العوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية المساعدة على إنتاجه. ولا ترتبط هذه العناصر بلحظة التلفظ، وإنما تمتد إلى ما قبله، لتمثل قاعدة بيانات ينسج على منوالها نص الخطاب وهدفه وغاية المتكلم منه. ويمكن تصنيف هذه العناصر في أمور⁷⁵ هي :

1- العنصر الذاتي: ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده وهدفه من الخطاب، إلى جانب اهتماماته ورغباته تجاه ما يرتبط بالحياة عموما.

75- نقلا عن: إدريس مقبول، الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2006، ص305.

2- العنصر الموضوعي: ويتعلق بالظروف الزمنية والمكانية المحسّدة لحدث الخطاب والتواصل.

3- العنصر الدوائي: ويبرز العلاقة بين طرفي الخطاب المتمثلة في المعرفة المشتركة لاستمرار الخطاب بينهما.

2-2-أ- المتكلم (المخاطب) :Locuteur

يعدّ المتكلم أساسا في عملية التواصل، فهو " الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه " ⁷⁶، كما يوصف المتكلم بالمخرض الأول لعملية التواصل واستمرارها مع الطرف الآخر. لهذا يسعى هذا المتكلم إلى بناء خطابه مسبقا من خلال استعداد نفسي وسياقي ولغوي، اعتمادا على آلية اختيار وانتقاء اللغة المعتمدة في الخطاب، ومراعاة طبيعة المتلقي، لأن اللغة لا يمكن لها أن " تتجسّد و تمارس دورها الحقيقي إلا من خلال المرسل، فتصبح موجودا بالفعل بعد أن كان وجودها بالقوة فقط، ليس هذا فحسب، بل يكون وجودها فعل مناسب للسياق" ⁷⁷؛ بمعنى أن اللغة لا تسيّق ذاتها، وإنما المتكلم هو من يلائم بين اللغة والسياق المناسب للخطاب، وهذا التسيّق تظهر فيه مقاصده وأهدافه من وراء ذلك، وتبقى مستمرة باستمرار هذا الخطاب، فذات المتكلم لا تظهر فقط لحظة التخاطب مع المتلقي، وإنما تبقى ببقاء واستمرار الخطاب ذاته، إذ المتكلم منتج للخطاب وفي نفس الوقت ناتج عنه باستمرار هذا الخطاب " فالفاعل يبني عالمه كشيء، ويبني ذاته أيضا، ولا بدّ من الإشارة إلى أهمية هذا الازدواج في فكرة الفاعل الذي يعتبر منتجا للخطاب وناتجا عنه في الآن ذاته " ⁷⁸. إن تحديد صورة هذا الازدواج في البحث اللغوي وفي تحليل الخطاب من شأنها أن تبرز ملامح المتكلم، وتمدّ الباحث ببعض سمات وخصائص السياق المفترض لعملية التواصل.

76- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص45.

77- المرجع نفسه، ص45.

78- Geoffrey Leech, Principles of Pragmatics, Longman , New York, 1983, P132.

2-2- ب - المتلقي (المخاطب) Récepteur:

يمثل المتلقي الطرف الفعال في عملية التواصل، لأن دوره يكمن في قراءة وتلقي الخطاب، بل إنه يشارك في إنتاجه من المتكلم، و " هذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجهما في عملية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف " ⁷⁹. وهذا ما يدفع المتكلم إلى اختيار الدليل اللغوي المناسب للموقف التواصل، باعتقاداً منه أن ذلك يسهل إيصال الرسالة إلى المتلقي، بالإضافة إلى ردّ فعله المتوقع تجاهها، وما سيصدره من أحكام حول مضمونها قبولاً أو رفضاً.

وقد اهتمت الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً بدور المتلقي ومدى تأثيره على المتكلم في إنتاج خطابه، سواء على المستوى اللغوي أو البلاغي أو التداولي، لأن المتلقي " حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواء أكان حضوراً عينياً، أم استحضاراً ذهنياً " ⁸⁰، أم كان هذا المتلقي خاصاً أم عاماً؛ بمعنى أن المتكلم يخاطب شخصاً بعينه أثناء التواصل، أو يتجاوز هذا الشخص إلى متلقين آخرين محتملين من وراء هذا الخطاب. إن معرفة هذه الاعتبارات المتعلقة بأحوال المتلقي تؤثر حتماً في بناء الخطاب واختيار اللغة الملائمة لذلك، وهذا ما يتجلى أثناء سياق التواصل بين طرفي الخطاب.

2-2- ج - العلاقة بين طرفي الخطاب:

إن العلاقة الموجودة بين المتكلم والمتلقي قبل وأثناء وبعد الخطاب تتحكم فيها الظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية المحيطة بهما، فهي تتدخل في إبراز معطيات لغة التواصل، كاشفة بذلك عن بعض جوانب السياق، وبخاصة عندما تتوفر كفاءة استيعاب الرسالة لدى المتلقي، فالعلاقة هي " التي تحدّد

79- سعيد حسين بحيري، علم لغة النص، ص 111 و 112.

80- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 47.

الاستراتيجية المناسبة لتجسيدها وردّة الفعل المتوقّعة " ⁸¹، فإن كانت هذه العلاقة بين طرفي الخطاب فاقدة لسند سلطة أو معرفة مشتركة بينهما فقد ينقطع الخطاب ولا يستمر، أما إذا كانت هذه العلاقة مستندة إلى سلطة أو معرفة مشتركة قبلية بين المتكلم والمستمع فإن هذا من شأنه أن يدعم استراتيجية المتكلم في خطابه ويبرز مقاصده وأهدافه من ذلك.

إن المعرفة المشتركة تمثل " الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل؛ إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه، كما يعوّل عليها المرسل إليه في تأويله، وذلك حتى يتمكن من الإفهام والفهم أو الإقناع والاقتناع " ⁸². وتشمل هذه المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب جانبين اثنين؛ أولهما المعرفة بنظام اللغة في جميع مستوياتها (الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية والتركييبية)، وثانيهما المعرفة بالعالم المحيط، بما في ذلك معرفة كيفية اتصال الناس بعضهم ببعض، وأنماط تفكيرهم، وطبيعة معتقداتهم، وطرائق تفاعلهم مع ما يحيط بهم ماديا وثقافيا.

81- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 49.

82- المرجع نفسه، ص 49.

3 - استراتيجية الخطاب:

3-1- مفهوم الاستراتيجية:

يسعى المتكلم من خلال استعمال اللغة إلى التواصل مع المتلقي، ليلبغ مقاصده وأهدافه، معتمداً طرائق تحقق ذلك، ويتنوع الخطاب بين طرفيه تبعاً لتنوع الطرائق وتغير السياق المحيط، وهذا ما يعرف بالاستراتيجية في الخطاب. وتعرف الاستراتيجية على وجه العموم بأنها " طرائق محدّدة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكّم بها " ⁸³، وبهذا تعدّ الاستراتيجية خطة مبرمجة مسبقاً لتحقيق أهداف محددة آنفاً، تعتمد في إنشائها على جانبين اثنين؛ أولهما تخطيط ذهني مسبق لما ستكون عليه الخطة المتوقعة، وثانيهما تجسيد فعلي وواقعي لمعطيات ومراحل الخطة المبرمجة، حتى يتمّ التطابق بين ما هو ذهني وما هو مادي واقعي، مع العلم أن صاحب الاستراتيجية هو من يركز عليه الأمر كله، سواء عند التخطيط أو عند التجسيد أو عند استغلال الوسائل والإمكانات المساعدة على بلورة هذا العمل، من أجل تحقيق المقاصد والأهداف. فالاستراتيجية " عمل عقلي، يبنى على افتراضات مسبقة، وتتجسّد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها " ⁸⁴، وتنوع هذه الأدوات وهذه الوسائل هو تعدّد في أوجه الاستراتيجيات المتبّعة، وبما أنّها " محاولة التكيّف مع عناصر السياق المحيط بالفعل، فإنها ستكون فعلاً ضرورياً وشاملاً لجميع ميادين الحياة " ⁸⁵.

83- عبد الرحمان العبدان و راشد الدويش، "استراتيجيات تعلّم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية"، مجلة جامعة أم القرى (اللغة العربية وآدابها)،

السعودية، 1997، السنة 10، عدد 16، ص 324.

84- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 55.

85- المرجع نفسه، ص 55.

وقد أكد ميشال فوكو أن معاني الاستراتيجية متعددة وتناسب مع السياق المحيط، ورأى أنها تنحصر

في ثلاثة معانٍ⁸⁶ هي:

- ✓ المعنى الأول: للدلالة على اختيار الوسائل والإمكانات المساعدة على تحقيق هدف وغاية ما.
- ✓ المعنى الثاني: للدلالة على الطريقة التي يتصرف بها شخص ما للتأثير على غيره.
- ✓ المعنى الثالث: للدلالة على التقنيات المستخدمة في الحروب والمخاصمات من أجل الفوز والانتصار.

وبالنظر إلى مفهوم الاستراتيجية في الخطاب، فإن المتكلم يسعى من خلال تواصله مع المتلقي إلى استغلال الإمكانيات اللغوية وغير اللغوية التي تنتظم وفق مقتضيات السياق المحيط، و" يتحلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب، فيما يسمى باستراتيجية الخطاب، وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطاباً مخططاً له، بصفة مستمرة وشعورية"⁸⁷، خضعت لتفكير ذهني مسبق، يراعي فيه المتكلم طبيعة المتلقي وأحواله، والظروف المحيطة بهما، وطبيعة المحتوى الذي يقصده، والهدف الذي يرمي الوصول إليه من ذلك.

كل تلك الاعتبارات تسهم في بناء خطة قابلة للتجسيد، لمخاطبة المتلقي بطريقة محددة، تختلف كلما اختلف أو تنوع اعتبار من تلك الاعتبارات السابقة، وهو بدوره ما يسهم في تنوع وتعّدّد الاستراتيجيات الخطابية وفق مقتضيات السياق التواصلية.

3-2- عناصر بناء استراتيجية الخطاب:

إن التجسيد الفعلي والواقعي للغة أثناء الخطاب يحدّد ملامح الاستراتيجية الخطابية المتبعة في ذلك، بما فيها مقاصد المتكلم، وفعل التأثير الذي يسعى إلى تحقيقه لدى المتلقي، على اعتبار أن اللغة ذات طبيعة

86- ينظر: أوبيير دريفوس و بول رابينوف، ميشال فوكو (مسيرة فلسفية)، ترجمة جورج أبو صالح ومراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د، ت)، ص200.

87- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص56.

تأثيرية داخل المجتمع وبين أفرادها، لأنها تعكس أفكارهم و مشاعرهم تجاه ما يحيط بهم ماديا ومعنويا. ولغاية تحقيق هذا التأثير يسعى المتكلم إلى بناء استراتيجية خطابية مسبقة، تراعي ظروف السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي، وتبني هذه الاستراتيجية الخطابية على عدة عوامل وعناصر، تتداخل فيما بينها بشكل أو بآخر، وفق علاقات متشابكة ومعقدة. ومن أجل تفصيلها وتحديدتها يعتمد الباحث في هذه الدراسة ما ذهب إليه (عبد الهادي بن ظافر الشهري) في كتابه الموسوم بـ: (استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية)، فقد بين فيه أهم العناصر التي تدخل ضمن إطار بناء الخطة المتبعة عند التواصل، وهي ما تشكل البنية العامة لاستراتيجية الخطاب، مع مراعاة أثر الفروق بين هذه العناصر البنائية، وغلبة عنصر على آخر، لأن هذا كفيلا بأن يغيّر وينوّع استعمال الاستراتيجية الملائمة لسياق تواصل معين. وتتمثل هذه العناصر البنائية في الآتي:

3-2-1- الكفاءة التداولية:

يرى دومنيك مانقونو Dominique Maingueneau أن مصطلح الملكة أو الكفاءة Compétence من المصطلحات التي وضعها وحدّها نوام تشومسكي N. Chomsky فيما يعرف بالنحو التوليدي التحويلي، ويقصد بها " الدلالة على القدرة التي يتمتع بها الناطقون للغة ما التي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل " ⁸⁸، ومفهوم الملكة عند دومنيك مانقونو هو ملكة خطابية تأتي " للدلالة على القدرة التي يجب على الفرد أن يتمتع بها لإنتاج ملفوظات تنتمي إلى تشكيلة خطابية محددة " ⁸⁹. وتنقسم هذه الملكة الخطابية إلى قسمين هما:

88- دومنيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يجياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2008، ص 15.

89- المرجع نفسه، ص 15.

أ/ ملكة لغوية: تمثل مجموع الإمكانيات التي يوفرها المعجم من ألفاظ وكلمات وتراكيب تساعد المتكلم على اختيار استراتيجية خطابية معينة، وتوظيفها في سياق تواصل محدد.

ب/ ملكة تداولية: وتعدّ "مكوّنًا فاعلاً ضمن تكوين الإنسان السويّ، تماما كما هي كفاءته اللغوية، بيد أن الكفاءة التداولية ليست نسقا بسيطا" ⁹⁰، بل هي النسق الذي يتعدى النسق الطبيعي إلى أنساق متعددة ومتألّفة، إذ تتألّف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل وهي ⁹¹:

الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية:

1- الملكة اللغوية: وهي قدرة مستعمل اللغة الطبيعية على الإنتاج والتأويل الصحيحين، باستعمال عبارات لغوية متنوّعة البنيات ومعقّدة جدا في سياقات تواصلية مختلفة ومتنوّعة.

2- الملكة المنطقية: وهي تمثل قدرة المتكلم على اشتقاق وتوليد معارف جديدة من معارف سابقة، تبعا لقواعد استدلال منطقي استنباطي أو اجتماعي.

3- الملكة المعرفية: وهي قدرة المتكلم على تخزين المعارف الجديدة المولّدة من خلال استعمال اللغة، وإمكانية استحضارها في المواقف التواصلية المختلفة.

4- الملكة الإدراكية: وهي قدرة المتكلم على إدراك محيطه وعالمه الخارجي، وتحويل هذا الإدراك إلى معارف تظهر في استعمالته المختلفة للغة أثناء التواصل.

5- الملكة الاجتماعية: وهي قدرة المتكلم على تمييز المتلقي وأحواله، من خلال استعمال عبارات لغوية منتقاة لشخص محدد في موقف تواصل محدد، ولأهداف مسطرّة مسبقا.

إن تضافر هذه الملكات مجتمعة في إنتاج الخطاب هو ما تصنعه الملكة أو الكفاءة التداولية، من

خلال استثمار المتكلم لمجموع تلك الملكات، فالملكة اللغوية لوحدها لا تكفي لعملية التواصل الملائم

90- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص57.

91- نقلا عن: المرجع نفسه، ص57.

للموقف التبليغي، بالرغم من أنها أساسية فيه، إذ " لا يمكن الاكتفاء بهذه الملكة النحوية، ذلك أنه تضاف إليها الملكة التداولية التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى السياق بعينه " ⁹²، وهذه القواعد تعرف بقواعد التخاطب أو قوانين الخطاب *les lois du Discours*. وعليه فإن الكفاءة التداولية تعدّ استثماراً ذكياً للملكة اللغوية عند المتكلم، لأنه لا يكفي أن يمتلك لغة معينة، بل يجب أن يمتلك قدرات في التحكم بها، تمكنه من إخضاعها لمختلف المواقف التواصلية حتى يؤثر في المتلقي ويستطيع تحقيق أهدافه من التواصل.

وقد اعتبر أحمد المتوكّل هذه الملكات بمثابة قوالب، يختصّ كل قالب بما ينتمي إليه من قدرات المتكلم، ورأى أن هذه القوالب تنقسم إلى قسمين " قوالب آلات وقوالب مخازن، تضمّ الفئة الأولى القالبيين النحوي والمنطقي، في حين تضمّ الفئة الثانية القالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي " ⁹³، وهذا التقسيم يقارب إلى حدّ كبير ما ذهب إليه أبو الحسن حازم القرطاجني في تقسيمه لتلك الملكات على اعتبار أنها قوى، وهي عنده " القوة الحافظة والقوة المائزة والقوة الصانعة " ⁹⁴؛ فالقوة الحافظة هي التي تعنى بانتظام خيالات الفكر، وترتيبها في أقدار معينة، وتمييز بعضها من البعض الآخر، لتَهَبَ المتكلم ما يناسب سياق خطابه، وأما القوة المائزة فهي التي يميّز بها المتكلم ما يلائم السياق مما لا يتلاءم معه، وأما القوة الصانعة فهي التي تضمّ أجراء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظمية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض ⁹⁵. واجتماع هذه القوى هو ما تفرزه الكفاءة التداولية لإنتاج خطاب معين، لأنها استثمار لتلك القوالب ولتلك القوى الموجودة في

92- دومنيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص15.

93- أحمد المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1995، ص30.

94- أبو الحسن حازم القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 1981، ص42.

95- نقلا عن : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص58.

ذهن الإنسان، فتتجسد من خلال معطيات لغوية وأخرى سياقية، تخضع لجملة قوانين التخاطب أثناء عملية التواصل فينتج الخطاب.

3-2-2- مستويات اللغة:

تعدّ اللغة الطبيعية في الغالب وسيلة التخاطب بين المتكلم والمتلقي، لتحقيق أهداف محددة، فتمثل بذلك - كما ذكر الباحث سابقاً - الملكة اللغوية الواجب توفرها لدى المتكلم، وهي مجموع الإمكانيات التي يوفرها المعجم من ألفاظ وكلمات وتراكيب لينتج المتكلم خطاباً، ويستطيع المتلقي تأويله تأويلاً صحيحاً. إلا أن هذه الإمكانيات اللغوية يجب أن تنتظم وفق آليات وعلاقات يتدخل السياق في تحديدها، لأن استعمال اللغة في موقف تواصل ما خاضع بالضرورة لمقتضيات السياق المحيط، وهذا الاستعمال " له مرتكزات لا تتفق دائماً مع المعايير الافتراضية؛ فللمتكلم من الأغراض ما لا يتفق مع المحافظة على القواعد، وتلك هي الأغراض التي تدعو إلى الخروج من الحقيقة إلى المجاز، ومن المطابقة إلى الترخيص في معايير الإجراء بوسائل كالنقل والحذف والزيادة ومخالفة القاعدة والتعويل على الدلالات الصوتية والعقلية والتقديم والتأخير والإيماءات الجسمية والتعويل على دلالة الموقف أثناء الاتصال"⁹⁶، بمعنى أن اللغة نوعين من المعايير؛ معايير افتراضية وأخرى استعمالية، وإن جاز القول للباحث هنا؛ ما يجب أن يكون وما هو كائن. فالمعايير الافتراضية هي جملة القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية التي تخضع لها اللغة عموماً، أي ما يجب أن تكون عليه اللغة. وأما المعايير الاستعمالية فتمثل جملة الإمكانيات المتوفرة للمتكلم حين الاستعمال التي تمكنه من الخروج عن المعايير الافتراضية لدواعٍ معينة، يرتبط بالسياق وبمقاصده وبطبيعة المتلقي، فالمتكلم لا يستعمل دائماً لغة تنحصر في دائرة الحقيقة، وإنما يجوز له في أحيان كثيرة التحوّل عن هذه الدائرة، إلى

96- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 1998، ص 04.

استعمال المجاز عن قصد ودراية وإدراك بما تكون عليه الأمور، وهذا ما يجعل اللغة الطبيعية المستعملة في الخطاب خاضعة لباب ما هو كائن تبعاً للاعتبارات السابقة.

إن المتكلم في سعيه أثناء التخاطب إلى ولوج فضاء الاستعمال المجازي للغة من شأنه أن يدفع بهذا المتكلم اعتماد استراتيجية مسبقة في انتقاء الأصوات والكلمات والمعاني والتراكيب المساعدة على بلورة الخطاب واقعا، مما يمكنه من استثمار مستويات اللغة وفق نسق يحقق غاياته. وقد أشار نوام تشومسكي N.chomsky إلى خاصية يتميز بها الفرد وهي ما يعرف بالإبداعية *Créativité*، وتمثل قدرة الفرد على توليد عدد لا متناه من الجمل انطلاقاً من عدد محدود من الأصوات والألفاظ شرط أن تكون " خاضعة للسلامة النحوية والاستحسان " ⁹⁷ بتطبيق القواعد الافتراضية والمعيارية للغة على التركيب، وتوافقها مع مدلولاتها من حيث المعنى المقصود عند الاستعمال، وفي هذا إشارة إلى قدرة المتكلم على بلورة استراتيجية ذهنية لغوية في واقعه التخاطبي، من خلال الانتقاء الإرادي لمكونات اللغة عبر مستوياتها ككل، ويمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:

3-2-2-أ- المستوى الصوتي: اللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " ⁹⁸، وهذه الأصوات في مجموعها تشكّل أبجدية (أو ألبائية) كل لغة، لكن الأمر المقصود هنا هو ما يميّز كل صوت عن الآخر عند الاستعمال، لا بمعزل عن تجاوره مع بقية الأصوات المؤلفة للكلمة أو اللفظ. وقد أشار ابن جني إلى ظاهرة صوتية إلا أنها تختص باللغة العربية، وهي ملائمة الصوت المستعمل في اللفظ لطبيعة المعنى المقصود، أي أن الصوت يحمل دلالة إيجابية مناسبة للمعنى. كما أكد أن في " تقديم ما يضاهاي أول الحدث، وتأخير ما يضاهاي آخره، وتوسيط ما يضاهاي أوسطه، سَوْقًا للحروف على سَمَتِ المعنى المقصود، والغرض

97- سليم بابا عمر و باني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، ص54.

98- ابن جني، الخصائص، ج01، ص64.

المطلوب"⁹⁹، وقد أفاض ابن جني في التمثيل لهذه الظاهرة اللغوية المتعلقة بتناسب الأصوات لمعانيها، وسنذكر مثالا مما ساقه ابن جني لهذه الظاهرة، والغاية من ذلك إبراز ما لدلالة الصوت وإيحائه في بناء الاستراتيجية الخطابية، يقول ابن جني " ازدحام الدال، والتاء، والطاء، والراء، واللام، والتون، إذا مازجتهم الفاء على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما "¹⁰⁰، ومن ذلك الشيء التالف والشيخ الدالف بمعنى الضعيف، والدنف الشخص المريض، والفتور بمعنى الضعف. وإذا ما سلم الباحث بما ذهب إليه ابن جني واعتقده في هذا الأمر، فإن المتكلم يعتمد إلى انتقاء الأصوات المعبرة والدالة على مقصوده، كما يختار مراتبها في تشكيل الدليل اللغوي.

3-2-2-ب- المستوى الصرفي: إن قدرة المتكلم على بناء استراتيجية خطابية في المستوى الصرفي تتمثل في مجموع الإمكانيات التي توفرها اللغة من حيث الصيغ الصرفية وأبنية الكلمات وما تحمله من دلالات ومعاني إضافية، فكل صيغة صرفية تمثل قلبا معينا له دلالة محددة عند الاستعمال، وتغيير صيغة صرفية بأخرى يتغير المعنى والمقصد الذي يترع إليه المتكلم. ففي اللغة العربية مثلا ظاهرتان " ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده وتحييه، وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه "¹⁰¹، وبالتالي تصبح هذه القوالب بمثابة إمكانيات متاحة للمتكلم كي يعبر عن مقصوده بكل دقة، فيختار الأنسب والملائم منها تبعا لمقصوده ولأحوال السياق.

إن اللغة العربية توفر جذرا لغويا انطلاقا من اختيار مادة صوتية بعينها لينتظم بعد ذلك هذا الجذر اللغوي في بنية صرفية مضبوطة لها دلالة معينة، تساعد على إيصال مقاصد المتكلم حين الاستعمال، من ذلك مثلا الصيغ (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) و (تَفَاعَلَ) فهي تعدّ أفعالا تدلّ على الحدث المرتبط بالزمن، إلا أن

99- ابن جني، الخصائص، ج02، ص162.

100- المرجع نفسه، ص166.

101- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط08، 1980، ص328.

(فَعَلَ) تدلّ على الحدث في إطاره العام، أما (أَفْعَلَ) فتدلّ على أن الحدث داخلي وذاتي، وأما (تَفَاعَلَ) فتدلّ على اشتراك بين فاعلين أو أكثر في الحدث. وهذه الفروق الجزئية بين الصيغ الصرفية السابقة من شأنها أن تحمل مقاصد المتكلم أثناء الخطاب، وبالتالي فهو يقصد استعمال صيغة صرفية دون بقية الصيغ الأخرى عند بناء استراتيجيته الخطابية.

3-2-2-ج- المستوى المعجمي: يتعلق الأمر في هذا المستوى بما يوفره المعجم من ألفاظ ومعاني، يعتمد المتكلم إلى اختيارها وانتقائها، سواء ما ارتبط منها بمعنى معجمي عام، أو ما اختلف منها في معاني جزئية خاصة، لأن هذه الألفاظ تنتظم في تراتبية دلالية داخل إطار معنى عام يجمعها، على نحو ظاهرة الترادف في اللغة العربية. فالترادف هو " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد " ¹⁰²، وهو " يتيح لأفراد الجماعة اللغوية الواحدة استخدام ألفاظ المجال الدلالي كمترادفات يحلّ بعضها مكان بعض " ¹⁰³، وإمكانية التعويض هذه من شأنها أن تمكّن المتكلم من اختيار وانتقاء الألفاظ الملائمة للتعبير المقصود والهدف المرغوب فيه أثناء الخطاب، فهو يستحضر ذهنياً مجموعة من الألفاظ الدالة على معنى واحد، ولكن عند الاستعمال التخاطبي يفرض واحداً منها دون البقية قياساً بمقتضيات الخطاب والسياق المحيط.

3-2-2-د- المستوى التركيبي: يرتبط هذا المستوى " بدراسة نظام بناء الجملة، ودور كل جزء في هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية " ¹⁰⁴. فالجملة تتكوّن من وحدات لغوية ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية، تسهم في بناء تركيبة الخطاب، ويعدّ المستوى

102- جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيرى الأسيوطي)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1986، ج1، ص403.
103- محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص188.
104- المرجع نفسه، ص106.

التركيبية " من أنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه لإبراز استراتيجية الخطاب تداولياً" ¹⁰⁵، لأن معرفة تركيب الجملة انطلاقاً من تحديد أجزائها يضمن للمتكلم القدرة على تنظيم هذه الأجزاء، فغالبا ما يتغير مقصود المتكلم تبعاً لتغير أجزاء جمل الكلام، علماً أن هذا التغير لا يرتبط بقواعد اللغة ذاتها، وإنما يتعلق بمراتب الأجزاء المؤلفة للجملة في حد ذاتها. فتقدم جزء أو تأخيره عما يجاوره كفيل بتغيير المعنى أو إضافة معاني جزئية، ولهذا يسعى المتكلم أثناء بناء استراتيجية خطابه إلى التحكم بهذه الآلية التركيبية، ليحملها مقاصده وأهدافه، وقد يتدخل السياق المحيط أحيانا في ترتيب أجزاء ومكونات جمل الخطاب.

3-2-2- هـ- مستوى التنغيم: يقصد بالتنغيم " ارتفاع الصوت وانخفاضه وتلوّنه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، وذلك للدلالة على معان مقصودة، مثل الاستفهام والطلب والأمر والغضب والرضا والفرح والدهشة والتعجب .." ¹⁰⁶، ولهذا يسعى المتكلم أثناء خطابه إلى استعمال هذه الآلية بالتركيز على جزء من الجملة، أو على جملة من بين جمل مجاورة لها، لإبراز مقصوده أو شدّ انتباه المتلقي إلى ما يرمي إليه، أو التفريق بين معلومة سابقة و أخرى لاحقة في الخطاب، " فينقل دلالة الملفوظ مثلا من الخبر إلى الاستفهام، أو إلى التعجب، دون التعويل على دلالة الخطاب التركيبية، مما يبيّن دور التنغيم عند إنتاج الخطاب، واختيار استراتيجيته" ¹⁰⁷، فما يستفاد من التنغيم أثناء الخطاب مرتبط بمراعاة المتكلم للمعاني التي يقصدها وللسياق المحيط. ولذا غالبا ما يجد الباحث أن سياق الفرح والسرور لا يستوي في رفع الصوت أو خفضه مع سياق الحزن والأسى، وما كان دالا على العنف والغضب أرفع صوتا مما يدل على العطف والمودة والرحمة.

105- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص71.

106- محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص133.

107- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص72.

3-2-3- السياق غير اللغوي:

يتطلب الخطاب من المتكلم استثمار العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقاً للسياق الذي يتطلب ذلك، فالخطاب قد يكون "تكويناً من الملفوظ وغير الملفوظ في آن، أو من أحدهما لوحده، كل ذلك حسب السياق الذي يجري فيه" ¹⁰⁸، ويمثل السياق غير اللغوي مجموعة الظروف والملابسات التي يتم فيها التواصل بين طرفي الخطاب، فهو "جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسماع، وتكوينيهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسماع - إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي" ¹⁰⁹. كما تشمل هذه العناصر حركات وإيماءات المتكلم المصاحبة للتغيم في مقاطع محددة أثناء الخطاب، ويضاف لها أيضاً بعض العلامات السيميائية المستقلة عن اللغة الطبيعية مثل الألوان والصور. كل هذا التنوع غير اللغوي للخطاب يدخل في بناء استراتيجية الخطاب لدى المتكلم، لأن هذه العناصر تسهم في إبراز مقاصده لدى المتلقي.

3-2-4- القصد:

يتحدد قصد المتكلم من خلال عناصر السياق اللغوي وغير اللغوي المصاحب للخطاب، فهو "ركيزة في الخطاب لتجسيد معنى المرسل، بدلا من التقيّد بالمعنى اللغوي البحت، رغم أنه قد يتطابق معه في بعض السياقات" ¹¹⁰ التواصلية، لأن الخطاب لا يتجسّد طبقاً للاستعمال الحرفي للغة، وإنما يبنى وفق مقاصد المتكلم، حين يربط الشكل اللغوي للخطاب بمقتضيات السياق التواصلية، وتعدّد هذا السياق من شأنه أن ينوّع مجالات الخطاب، على الرغم من أن قيمته اللغوية قد تكون واحدة.

108- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص73.

109- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربي)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992، ص338.

110- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص78.

إن مفهوم القصد والمقصدية من المفاهيم التي اهتم بها الفقهاء والفلاسفة والمتكلمون وعلماء البلاغة، فالمعتزلة مثلاً يرون أنه لما كانت المعاني سابقة الألفاظ والعبارات، فإن دلالة هذه على تلك تتوقف على المواضع وقصد المتكلم، والكلام قد يحصل بغير قصد فلا يدل، ومع القصد فيدل ويفيد¹¹¹. والمقصود هنا بالمواضع معرفة المتكلم "بالعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك معرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضع التي تنظّم إنتاج الخطاب بها"¹¹² حتى يوصل محتواه للمتلقى ليفهمه. ولا يتوقف الأمر عند حدّ المواضع ومعرفة العلاقة بين الدال والمدلول، بل يتعداها إلى استعمالها أثناء التخاطب، لأنه "بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم به، واستعماله فيما قرره المواضع، ولا يلزم على هذا أن تكون المواضع لا تأثير لها، لأن فائدة المواضع تميز الصيغة التي متى أردنا مثلاً أن نأمر قصدناها، وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور، وتؤثر في كونه أمراً له، فالمواضع تجري مجرى شحذ السكين وتقويم الآلات، والقصد يجري مجرى استعمال الآلات"¹¹³.

ويمكن القول إن اللغة الطبيعية بوصفها دوالاً ومدلولات في مقابل الوضع والاستعمال، تحتاج إلى تحديد مقصد المتكلم الذي يراعي قواعد هذا الوضع والاستعمال في خطابه، ليبني على منوالها استراتيجيته الخطابية ويحقق صحة الفهم والتأويل لدى المتلقي.

3-2-5- سلطة الخطاب:

تعنى السلطة في مفهومها العام السيطرة بالقوة لطرف على آخر في شتى مجالات الحياة، إذ "تستلزم أمراً ومأموراً وأمرًا؛ أمراً له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمور عليه واجب الطاعة للأمر بتنفيذ الأمر

111- نقلا عن: إدريس مقبول، الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص356، هامش رقم03.

112- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص183.

113- ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي)، سرّ الفصاحة، تحقيق على فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1994، ص3.

الموجه إليه¹¹⁴ "، وتصبح هذه القوة الآمرة مصدرا لبناء العلاقة بين الطرفين، وقد لا تكون هذه العلاقة متكافئة بينهما إذا قُصِدَ تحقيق الأمر، فهو في الغالب ممن هو أعلى مرتبة إلى من هو أدناها.

إلا أن المفهوم العام للسلطة لا يمكن تجسيده في الخطاب، لأنه يقوم على أساس اللغة الطبيعية المستعملة في التواصل، لا على أساس القوة المادية بين الطرفين، فالسلطة في الخطاب مردّها أساسا اللغة المحسّدة له واقعا، دون إغفال العلاقة بين طرفي الخطاب والسياق المحيط، و " انعدام هذه السلطة سوف يؤدي بـخطاب المرسل إلى فشله، فلا يستطيع أن ينجز شيئا من خلال خطابه " ¹¹⁵؛ أي أن أداء الكلام سيكون عرضة للفشل إذا لم يكن صادرا عن شخص يملك سلطة الكلام. وتتدخل السلطة في اختيار الاستراتيجية الملائمة للخطاب سواء أكانت موجودة أم منعدمة فيه، ويعود هذا بالدرجة الأولى إلى الكفاءة التداولية للمتكلم الذي يراعي السياق المحيط به، بما في ذلك مكانته الاجتماعية ووظيفته المهنية، والهئية التي يمثلها، والمكان المتواجد به، لتأتي كفاءته التداولية منتجة ومحسّدة لسلطته في الخطاب، وفق المقترضات السابقة التي تعدّ في حقيقة الأمر مصادرا لهذه السلطة وهي:

3-2-5-أ - سلطة اللغة المستعملة في الخطاب: تتمثل سلطة اللغة في جملة القواعد المنظّمة لها، ولا يستطيع المتكلم الخروج عنها عند التواصل، بل يتقيّد بأنظمتها الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية والتركيبة، لأنها موجودة بالقوة فيها، وعلى الفرد " أن يستجيب في النهاية للغة وقوانينها وسلطتها " ¹¹⁶، واستجابته لسلطة اللغة هي سلطة له أثناء استعمالها في الخطاب، وبالتالي يكتسب المتكلم سلطته اللغوية من سلطة اللغة ذاتها، فتصبح جزءا من ملكته اللغوية التي يفرضها في الخطاب.

114- ناصيف نصار، منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج، بيروت، لبنان، ط01، 1995، ص7.

115- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص233.

116- سامي أدهم، فلسفة اللغة (تفكيك العقل اللغوي - بحث ابستمولوجي وانطولوجي)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1993، ص153.

3-5-2-ب - سلطة المتكلم أثناء الخطاب: إن سلطة اللغة التي تفرض قواعدها وأنظمتها على المتكلم من شأنها أن تمدّه بسلطة ذاتية تتحقق عند استعماله للغة، من خلال مجموع الإمكانيات المتاحة من "تغيّرات في المستوى الصوتي أو في المستوى التركيبي أو في التبادلات والعلاقات المعجمية، وبعمله هذا فإنه يعتدّ أيضا بمعرفة المرسل إليه بهذه التغيّرات ويستثمرها، فلا يمكن أن يتلفظ المرسل إلا بخطاب مفهوم"¹¹⁷.

إن هذه السلطة المكتسبة لدى المتكلم من خلال اللغة كفيلة بأن تكسبه قدرة التأثير في المتلقي، باستثماره للإمكانيات المتاحة في اللغة، فتتجسّد في كفاءته التواصلية "ليؤثر في سلوك الآخرين، أو ليُنصّبَ من نفسه الإنسان المرجع في مجتمعه، أو ليُعَلِّيَ من قدره ومرتبته"¹¹⁸.

3-5-2-ج - سلطة المتلقي أثناء الخطاب: في كثير من الأحيان تتدخل طبيعة المتلقي في بناء استراتيجية الخطاب لدى المتكلم، ذلك أن المتلقي يفرض نفسه في سياقات تواصلية بما يمتلكه من ردود أفعال تجاه مضمون الخطاب، أو بما يملكه من صفات ومؤهلات، أو من خلال مكانته الاجتماعية قياسا بمكانة المتكلم؛ فقد يكون المتلقي في نفس مرتبة المتكلم، وقد يكون أدنى أو أعلى منه مرتبة، مما يستدعي من المتكلم استحضار هذه المقتضيات عند تحديد وبناء استراتيجيته الخطابية.

3-5-2-د - سلطة المجتمع: يفرض المجتمع قيودا على المتخاطبين، بما يمليه من أعراف وتقاليد اجتماعية ولغوية، و "تتمدّ سلطة المجتمع إلى أبعد من ذلك، حيث يفرض ما هو مناسب من الموضوعات والاختيارات على المرسل، فلا يستطيع أن يقول كل شيء، أو أن يتحدث في أيّ موضوع"¹¹⁹ في أيّ زمان أو مكان، لأن

117- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص226.

118- Julie Diamond, Status and Power in Verbal Interaction, John Benjamin's Company, U.S.A, 1996, P144.

119- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص231.

طبيعة المجتمع تتدخل في تنظيم الموضوعات تبعاً لزمانها ومكانها وألفاظ اللغة المستعملة فيها، فيخضع إنتاج الخطاب لسلطة المجتمع من هذه الزاوية، وهو ما ينعكس على بناء استراتيجية المتكلم أثناء الخطاب.

3-2-6-الإشارات:

يعتمد الخطاب على لغة طبيعية تحوي الكثير من الأدوات اللغوية التي تكون مدلولاتها مبهمّة، لأن "بعضاً منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت، فلا يتّضح مدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين" ¹²⁰ يشترك فيه طرفاه لتحديده، ومن هذه الأدوات أسماء الإشارة والضمائر والأسماء الدالة على الزمان، فهي من العلامات اللغوية التي لا يتحدّد ما تحيل إليه إلا عندما تقترن بموقف تواصلية "لأنها خالية من أيّ معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه غير ثابت" ¹²¹، ولتحديد مدلولها غالباً ما يستعين المتكلم بالحركات أو الإشارات اليدوية والجسمية لإبراز محتواها الدلالي.

إن بنية الخطاب العميقة حين التلفظ به يرتبط بذات المتكلم، ومكان وزمان التلفظ، وهي ما يمثل (الأنا، الهنا، الآن)، فتكون الإشارات "تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه" ¹²². ولا يمكن أن تتمّ عملية التخاطب بين المتكلم والمتلقي دون وجود هذه الإشارات:

أ-الإشارات الشخصية (الأنا): تمثل الإشارات الدالة على المتكلم أو المتلقي الحاضر أو الغائب لحظة الخطاب.

ب-الإشارات المكانية (هنا): تمثل مرجعية تحديد المواقع والأماكن أثناء الخطاب.

120- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 79.

121- المرجع نفسه، ص 80.

122- محمد مفتاح، مجهول البيان، دار طوقال للنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1990، ص 106.

ج-الإشارات الزمانية (الآن): تمثل لحظة التلفظ بالخطاب، وهي لحظة مرجعية بالنسبة للمتلقى لفهم وتأويل مقاصد المتكلم أثناء التواصل.

إن اعتماد المتكلم على هذه الإشارات كفيل بتحديد مقاصده وأهدافه أثناء التواصل، وهذا ما يسهم في شدّ انتباه المتلقي إلى جزئيات الخطاب وربط بعضها ببعض باعتماد هذه الإشارات في بناء الاستراتيجية الخطابية وكشف معالمها.

4 - أنواع استراتيجيات الخطاب:

إن خطاب المتكلم لا ينطلق من العدم، وإنما يستغل هذا المتكلم مجموع الإمكانيات اللغوية وغير اللغوية التي تنتظم وفق معطيات ومستلزمات السياق المحيط بين طرفي الخطاب، هذا الاستغلال الذهني المسبق هو ما يكفل للمتكلم بناء خطة متبعة أثناء التخاطب تعرف باستراتيجية الخطاب. وتتماز هذه الاستراتيجية بالتغير والتنوع تبعاً لتغير وتنوع معطيات أحوال المتلقي والسياق المحيط، وكذا اللغة الطبيعية المستعملة، ومقاصد المتكلم من خطابه. وعموماً فإن أنواع استراتيجيات الخطاب الممكنة تستند في مجملها إلى ثلاثة معايير¹²³ هي:

1- معيار العلاقة بين طرفي الخطاب، وهو معيار ذو بعد اجتماعي وأخلاقي بين المتكلم والمتلقي.

2- معيار اللغة الطبيعية المدرجة في الخطاب، وهو معيار دلالي يبرز مقاصد المتكلم من الخطاب.

3- معيار هدف الخطاب، والغاية منه التأثير في المتلقي تجاه قضية ما.

وعند تفصيل كل معيار من هذه المعايير السابقة تبني استراتيجية خطابية معينة؛ فالمعيار الأول المرتبط

بطبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي ينشئ إحدى الاستراتيجيتين التاليتين: الاستراتيجية التضامنية،

والاستراتيجية التوجيهية. أما المعيار الثاني المتعلق بشكل لغة الخطاب فيؤسس للاستراتيجية التلميحية. وأما

المعيار الثالث وهو هدف الخطاب المتمثل في التأثير في المتلقي، فيفضي إلى الاستراتيجية الحجاجية الإقناعية.

123- ينظر: عبد الهادي بن ظاهر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص444.

4-1- الاستراتيجية التضامنية:

4-1-1- منطلقات التضامن وغاياته:

إذا كانت اللغة أداة التواصل بين الأفراد، فإن هذا التواصل يؤسس لعلاقة بينهم تأخذ أبعادا اجتماعية أو وظيفية أو أخلاقية، وغالبا ما تكون هذه العلاقة سابقة لإنتاج الخطاب بين المتكلم والمتلقي، أو قد تنشأ أثناء التخاطب في حد ذاته، فهي جزء من السياق المحيط. وتؤثر هذه العلاقة بين الطرفين في اختيار استراتيجية الخطاب المناسبة للسياق التواصلية بالقدر الذي تسهم به اللغة الطبيعية في إقامة هذه العلاقات بين الناس، و " من أوضح ما يمثل هذا الجانب من الاستعمال اللغوي أن قدرا كبيرا من المعاملات بين الناس إنما يقوم على اللغة بوصفها بالدرجة الأولى أداة اتصال بين الأفراد أكثر من قيامه على اللغة بوصفها أداة تعامل"¹²⁴، ويتحقق ذلك من خلال المحادثات اليومية بين الأفراد، وما تحدثه من تواصل معرفي بينهم، فتأسس على منواله العلاقات الاجتماعية التي تتدخل في التفكير الذهني المسبق للمتكلم، سواء قبل الخطاب أو أثناءه، لأن " القيم الدلالية للخطاب هي مدخل ممكن وهام، لتحديد شبكة العلاقات الاجتماعية. لأن التعامل مع اللغة هو تعامل مع مضامينها"¹²⁵.

إن العلاقة بين طرفي الخطاب تنشأ من عاملين اثنين: عامل اجتماعي وعامل السلطة؛ فأما العامل الاجتماعي فيمثل العلاقة الأفقية بين المتكلم والمتلقي، فيما يتعلق بتشابه الصفات والقدرات والوظائف، أو الاختلاف حولها. وأما عامل السلطة فيمثل العلاقة العمودية بينهما؛ أي التراتبية التصاعدية أو التنازلية بين المتكلم والمتلقي داخل المجتمع سواء من زاوية اجتماعية أو وظيفية. فقد يكون المتكلم أعلى مرتبة من

124- ج. ب. براون و ج. بول، تحليل الخطاب، ترجمة و تعليق محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، السعودية، 1997، ص3.

125- عثمان بن طالب، " البراغمية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية "، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1985، ص142.

المتلقي، أو يساويه مرتبة، أو هو أدنى منه في ذلك، مما يؤثر على طبيعة الاستراتيجية المعتمدة أثناء التخاطب بسبب عامل السلطة " فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطرف الآخر عندما يعلو الآخر درجة، وقد لا يمتلكها أيّ منهما عندما تتساوى درجتهما، أو عندما لا تربطهما أيّ علاقة " ¹²⁶. فحينما يكون المتكلم أقل سلطة من المتلقي أو يساويه في ذلك فإنه يسعى إلى التضامن مع هذا المتلقي أثناء الخطاب، أما عندما يكون أعلى سلطة من المتلقي فقد يستغل هذه السلطة في خطابه من وجه رسمي.

وعلى هذا الأساس فإن الاستراتيجية التضامنية تتحدّد من طبيعة المتكلم ورغبته في التقرب من المتلقي لداع معين، فهي استراتيجية " يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه و تقريبه " ¹²⁷ اعتماداً على إبعاد عامل السلطة بينهما أثناء الخطاب، ليحلّ محلّه عامل أخلاقي هو التأدب في الخطاب، فقد " تجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصاً على أن يحفظ عرى التواصل، حتى يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ولمخاطبه، فيجهد في التوسل بما يجلب إقبال المخاطب على سماعه وفهم مراده وتلقيه له بالقبول، طمعا في أن يبادل نفسه الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة " ¹²⁸. ولأجل تحقيق هذه المنفعة المشتركة يلغي المتكلم المسافة الاجتماعية في علاقته بالمتلقي ويسوّي درجته بدرجة هذا المتلقي، فتتجسّد بذلك صفة التضامن بينهما، لأنه " علاقة التكافؤ المفترضة التي من شأنها أن تربط بين الناس في جماعات تشترك في اهتماماتها وسلوكها وتمثيل ذاتها " ¹²⁹.

126- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص256.

127- المرجع نفسه، ص257.

128- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص223.

129- William Bright, International Encyclopedia of Linguistics, Oxford University Press, New York, 1992, volume 3, P258.

إن اختيار المتكلم للاستراتيجية التضامنية قصد التواصل مع المتلقي من شأنها أن تحقق غايات أخلاقية تظهر أثناء وبعد الخطاب¹³⁰، ومنها:

- 1- تأسيس صداقة بين طرفي الخطاب، أو إعادة إحيائها بعد زمن جفاء بينهما.
- 2- إظهار الوجه الحسن أثناء التعامل مع صاحب السلطة أو أمام الآخرين.
- 3- اعتماد التأدب والتخلق لتيسير فهم مضمون الخطاب وبخاصة في الجوانب التعليمية.
- 4- كسب ولاء الآخرين بالتودد والتقرب إليهم، بإلغاء المسافة الفاصلة بينهم وبين المتكلم أثناء الخطاب.
- 5- إبراز قدرة واستعداد المتكلم على خدمة المتلقي من خلال التواضع والتقرب منه.

4-1-2 الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التضامنية:

تتحقق الاستراتيجية التضامنية في الخطاب من خلال علامات لغوية معينة، تبرز رغبة وميول المتكلم في التضامن مع المتلقي أثناء التواصل، كما توضح هذه العلامات اللغوية مقدار تخلي المتكلم عن سلطته إذا كان يمتلكها، وعزمه إلغاء المسافة الاجتماعية الفاصلة بينه وبين المتلقي، ساعيا بذلك إلى التقرب منه وتوطيد العلاقة معه، إما باعتبار وجود هذه العلاقة مسبقا، وإما أنها ناشئة أثناء التواصل، لأن " التضامن والسلطة يرتبطان بعلاقة متضادة"¹³¹. فكلما اعتمد المتكلم على سلطته مع المتلقي كلما حاد عن التضامن معه، وإن أراد ذلك كان لزاما عليه التخلي عن هذه السلطة، أو تغييبها إلى حين، حسب مقاصده ورغباته. وإذا أراد المتكلم استعمال استراتيجية التضامن في خطابه فإنه يعتمد إلى إبراز ذلك من خلال اللغة الطبيعية المحسّدة للخطاب، فصيح الخطاب من " الوسائل اللسانية التي يجعلها المرسل علامة على توجيه الخطاب إلى المرسل إليه من الناحية النفسية والاجتماعية، وهذه الصيغ مثل: الضمائر، والأسماء، وعبارات

130- نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص261 و 262.

131- Deborah Tannen, That's not what I meant, Ballantine Books, New York, 1992, P93.

التودّد التي تمثّل كلاً من علاقات الرتبة والتضامن بين المرسل والمرسل إليه " ¹³²؛ إذ تعتمد هذه الصيغ إلى الكشف عن الاستراتيجية التضامنية التي يختارها المتكلم أثناء الخطاب، على اعتبار أنه لا يتحقّق ولا يتجسّد في الواقع إلا وفق هذه الوسائل والصيغ اللغوية. وهذا تفصيل لأهم ما يستعمل منها في بناء علاقة التضامن أثناء الخطاب:

1- العَلم: وهو أداة لغوية تتفاوت من حيث تجسيدها للاستراتيجية التضامنية في الخطاب، وأبرزها الاسم ثمّ الكنية ثمّ اللقب على حسب ترتيبها في دلالة التضامن. فالاسم يستعمل في الخطاب لنداء المتلقي أو التحدث عنه، وقد يستعمله المتكلم للتعريف بنفسه أمام المتلقي. أما الكنية فتعوض الاسم، وهي نداء الشخص باسم ولده (أبو فلان أو فلانة)، أو نداء الأم باسم ولدها (أم فلان أو فلانة)، وهذا من باب التكريم والتعظيم والتفاؤل. وأما اللقب فهو بديل عن الاسم والكنية، وهو أضعف منهما في التضامن، وينشأ اللقب غالباً لأسباب اجتماعية أو وظيفية ¹³³، ترتبط بصفة غالبية في الشخص داخل مجتمعه، أو برتبة اكتسبها من ارتقاء السلم الوظيفي الذي ينتمي إليه.

2- ألفاظ النحية: هي ألفاظ يتمّ انتقاؤها من المعجم اللغوي، فتوظّف في الخطاب للدلالة على التضامن، كما تعدّ مؤشراً ومعيّاراً على الكفاءة اللغوية للمتكلم الذي يستخدمها للتقرّب والتودّد من المتلقي، ومن أمثلتها الألفاظ الدّالة على التهنئة (هنيفاً، مبروك ..)، والألفاظ الدّالة على التأييد وعلى الصّدقة وعلى الوعد ..

3- الإشارات: تعدّ الضمائر من أهم الوسائل الإشارية في الاستراتيجية التضامنية، إذ يسعى المتكلم من خلال استعمالها في الخطاب إلى تأسيس علاقة اجتماعية حميمة تربطه بالمتلقي، وتدلّ على انتمائهما إلى جماعة واحدة، وعلى الاتفاق حول رأي واحد، فضلاً عن استعمال هذه الضمائر للدلالة على وظيفتها

132- William Bright, International Encyclopedia of Linguistics, New York, Oxford University Press, 1992, volume 1, P23.

133- كان اللقب في أصله للذمّ، ثمّ تحوّل إلى المدح والذمّ، دليل ذلك قوله تعالى: { وَلَا تَتَّبِعُوا بِاللَّعْنَةِ }، (الحجرات الآية 12).

النحوية " فالضمائر الشخصية بمثابة حَدمِ اللغة المتواضعين، لأنه يمكن لنا أن نطوِّعهم للخدمة في انجاز الوظائف الرمزية ذات المستوى الرفيع¹³⁴ .

4- آلية المكاشفة: يعدّ كشف الذات وذكر الحقيقة من عناصر التضامن، ودليلاً على التقرب من المتلقي أثناء الخطاب. فبقدر ما يكشف المتكلم للمتلقي عن أموره الشخصية بقدر ما تلغى المسافة الاجتماعية الفاصلة بينهما، ويتحقق القرب والتضامن، وتنشأ بينهما علاقة حميمة، لأنها نتاج اطلاع المتلقي على جزء من الجانب الشخصي والخفي للمتكلم الذي يقصد هذه المكاشفة.

5- الإعجاب والمدح: الصيغ الدالة على التعجب والمدح من الوسائل اللغوية المستعملة في التضامن، لأن التعجب يفيد استحسان أمر ما أو استقباحه، قصد شدّ انتباه المتلقي إليه أثناء الخطاب، وأما المدح فهو أيضاً استحسان أمر ما في الممدوح. ومن الصيغ الدالة على ذلك الصيغتان التعجيبتان القياسيتان (مَا أَفْعَلْ وَأَفْعِلْ بـ)، وكذلك (نِعَمَ وَحَبْدًا) للمدح، فاستعمال هذه الصيغ يبرز ميول ورغبات المتكلم التي يتقرب بها أثناء التواصل مع المتلقي.

6- التصغير: إن الوظيفة الأساسية للتصغير هي الدلالة على القلة أو الصغر أو التحقير أو التخبُّب، إلا أنها تستعمل أيضاً بين المتخاطبين من باب الألفة والمودّة والابتعاد عن الرسميات. لهذا قد يلجأ المتكلم في خطابه إلى استغلال هذه الوسيلة في التضامن مع المتلقي قصد التقرب منه والتواضع له، فهي " تخفّف من حدّة الأفعال اللغوية خصوصاً أفعال الطلب مثلاً، وكذلك تخفف من تهديد الوجه. ويعدّ استعمال هذه العلامة ضرباً من التأدّب غير الرسمي، فهو يقوِّي درجات الصّدّاقّة، بل قد يؤسس لها¹³⁵ .

7- الطُرفة (أو النكتة): الغالب في الطُرفة أن وظيفتها تكمن في التسلية أو الدعابة، غير أنها قد تتعدى ذلك إلى تأسيس العلاقات الحميمة بين الناس، ففي سياقات اجتماعية معيّنة يسعى المتكلم إلى إدراج الطُرفة في

134- Robin Lakoff, Talking Power " The Language of Politics in Our Lives ", Basic Books, New York, 1990, p183.

135- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص309.

خطابه لغاية تقريب المتلقي منه، وإزاحة المسافات الفاصلة والفوارق التي من شأنها أن تُنفّر المتلقي من الاستمرار في التواصل، بل إن الكثير من العلاقات الإنسانية قد نشأت لأسباب ودواعي متعددة، ولعلّ الطُرفة من أهم هذه الأسباب، و لهذا تعدّ من أقوى وسائل التضامن.

8- اللهجة: تمثّل اللهجة مجموع السمات والتغيّرات التي تطرأ على اللغة الأم في مكان أو إقليم معين، وتميّز اللهجة الفرد عن غيره ممن تختلف لهجتهم عنه، ولغاية تحقيق التضامن أثناء الخطاب يسعى المتكلم إلى اعتماد لهجة المتلقي، فيخاطبه بما قصد التقرب والتودّد منه، أكثر من سعيه إلى إفهامه محتوى الخطاب.

4-2 الاستراتيجية التوجيهية:

4-2-1- منطلقات التوجيه وغاياته:

إذا كانت الاستراتيجية التضامنية تعتمد في تأسيس العلاقة بين المرسل والمرسل إليه على مبدأ التأدّب والتخلّق في الخطاب، فإن الاستراتيجية التوجيهية لا تتلاءم مع هذا المبدأ. لأن المرسل يسعى من خلال خطابه التوجيهي إلى الضغط على المرسل إليه، لتوجيهه إلى مقاصد معينة يفرضها سياق التخاطب مثل سياق النصح أو الأمر أو التحذير، دون إغفال العلاقة بين المرسل والمرسل إليه وفق ما تقتضيه استمرارية الخطاب، لأن " الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهية يعدّ ضغطاً وتدخلاً، ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين، وهذا هو سبب تجاوز المرسل لتهديب الخطاب¹³⁶ .

ويعدّ التوجيه من الآليات المباشرة التي يعتمدها المرسل في خطاباته، لأن مقاصده تتطابق مع الدلالات الحرفية لهذا الخطاب، ويتّرع المرسل إلى استعمال الاستراتيجية التوجيهية لغاية الوضوح وتبيان المقاصد، وفق ما يقتضيه سياق التخاطب، لأن الوضوح في التعبير عن المقاصد لا يضع المرسل إليه في مجال اللبس والحيرة

136- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 322 و323.

لتحديد تلك المقاصد، وبذلك يعدّ التوجيه فعلاً لغوياً يعكس وظيفة من وظائف اللغة التي " تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجّهات المرسل إليه وسلوكه "137.

وهذا الفعل اللغوي هو " كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي إنجازي تأثيري، كما يعدّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسّل أفعالاً قولية، لتحقيق أغراض إنجازه كالطلب والأمر والوعد والوعيد..، وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول " 138، وتحقيق هذا التأثير يستدعي من المرسل توجيه المرسل إليه إلى إنجاز أمر ما، من خلال فرض سلطة معينة تتعدى مبدأ التأدّب والتخلّق. وهذه السلطة التي يعتمدها المرسل في خطابه التوجيهي مع المرسل إليه تفرضها مقتضيات منها :

أ/ فارق المترلة والرتبة بين المرسل والمرسل إليه.

ب/ السياق الذي يفرض اتصالاً محدوداً بين المرسل والمرسل إليه في نطاق ضيق.

ج/ إعادة الاعتبار لطبيعة العلاقة الموجودة بين طرفي الخطاب، مثل رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتقاء بمحتوى الخطاب.

د/ إصرار المرسل على تحقيق غاياته ومقاصده أثناء الخطاب، مثل سياقات التحدي أو الشعور بأن المرسل إليه قد تجاوز حدود طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب.

إن هذه المقتضيات التي تفرض على المرسل اعتماد استراتيجية توجيهية في خطابه مع المرسل إليه هي التي تُدخل عامل السلطة في الخطاب، تُتّزَم المرسل إليه بإنجاز فعل ما؛ " لأن ما يجعل من الخطاب إنجازاً لفعل توجيهي هو ربطه بأنا المرسل المشتغلة بالخطاب وفيه، حتى لو لم تظهر في بنيته المنجزّة، لكنها هي

137- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص324.

138- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2005، ص40.

الموجّه للخطاب الذي يعبر عن قصد المرسل والمحققة لهدفه"¹³⁹، فيصبح منطلق التوجيه علاقة سلطة يفرضها المرسل على المرسل إليه، كما تصبح هذه السلطة المفروضة سبب نجاح مقاصد الخطاب وغاية اعتماد الاستراتيجية التوجيهية.

4-2-2- الواسائل اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية:

تعتمد الاستراتيجية التوجيهية في الخطاب على مبدأ السلطة الذي يفرضه المرسل على المرسل إليه لتحقيق مقاصد معينة ولهذا تستند هذه السلطة على اعتبارات يفرضها سياق التخاطب، كما تستند على وسائل لغوية تحقق وتجسّد هذه السلطة القائمة بين طرفي الخطاب، مما يُلزم المرسل استنفاد كفاءته اللغوية في بناء هذه الاستراتيجية الخطابية من خلال اعتماد أفعال كلامية منبثقة عن الإنشاء مثل الأمر والنهي والاستفهام والتحذير والإغراء والنداء وذكر العواقب والعرض والتحضيض. وهذا تفصيل لبعض من تلك الوسائل اللغوية المعتمدة في الاستراتيجية التوجيهية:

1- الأمر: وهو أسلوب إنشائي طلي غايته إلزام المرسل إليه القيام بفعل ما من باب الاستعلاء "لحصول ثبوت متصور"¹⁴⁰، وغايته "الدعاء إلى الفعل"¹⁴¹، وغاية استعمال الأمر في الاستراتيجية التوجيهية هو إبراز طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب، وتجسيد لتلك السلطة التي يفرضها سياق التخاطب بينهما، لأن "ما يمتلكه المرسل من خلفية هو سلطة في حدّ ذاته، وبالتالي فإنها تصنف لرتبته في سياق معين، حتى لو كان الخطاب موجّها لمنفعة المرسل إليه"¹⁴². ويتحقق الأمر في لغة الخطاب التوجيهي بصور وصيغ أهمها:

✓ صيغة فعل الأمر (أفعل).

139- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص324.

140- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص108.

141- المرجع نفسه، ص148.

142- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص342.

✓ الفعل المضارع المقترن بـ (لام الأمر) أو (اللام الجازمة).

✓ اسم فعل الأمر.

✓ المصدر النائب عن فعل الأمر.

✓ الألفاظ المخصوصة للوجوب مثل (لا بدّ ، ينبغي ، يجب ، ..).

✓ شبه الجملة نحو (عليك ..).

2- النهي: من الأساليب الإنشائية الطلبية، ويصدر من صاحب المرتبة الأعلى، وغايته الكفّ عن القيام بفعل ما من باب الإلزام، وهو بذلك لا يختلف عن الأمر، فالطلب من النهي " بمثلته من الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر " ¹⁴³، ولا يصدر هذا النهي إلا من سلطة المرسل إذا كان يقصد توجيه المرسل إليه إلى إنجاز فعل ما. وللنهي صيغة أصلية ينشأ بها الخطاب وهي " لا الناهية الداخلة على الفعل المضارع (لا تفعل) " ¹⁴⁴.

3- الاستفهام: هو فعل لغوي توجيهي، يسعى المرسل من خلاله توجيه " المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة " ¹⁴⁵. وللأستفهام أدوات لغوية كثيرة تصنف في ثلاثة أنواع " أحدها يختصّ بطلب حصول التصوّر، وثانيها يختصّ بطلب التصديق، وثالثها لا يختصّ " ¹⁴⁶، وغاية استعمال الأستفهام في الاستراتيجية التوجيهية هو السيطرة على ذهن المرسل إليه، وانقياده إلى مقاصد الخطاب.

143- السكاكي (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي)، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1987، ص161 و 162.

144- المرجع نفسه، ص137.

145- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص352.

146- السكاكي، مفتاح العلوم، ص133.

4- التحذير: هو تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليحذره¹⁴⁷، باعتماد أدوات وصيغ في أشكالها المباشرة، وغاية استعمال التحذير في الاستراتيجية التوجيهية هو تزيه المرسل عن " تهمة التلاعب بعواطف الآخرين، كما أنه يعطي خطابه قبولاً من خلال حضور الصراحة التي تدلّ المرسل إليه على صدق المرسل في توجيهه، وبالتالي تكسبه الثقة في خطابه " ¹⁴⁸، وهذه الثقة هي ما يعكس فرض السلطة على هذا المرسل إليه لتقبل مقاصد المرسل المتمثلة أساساً في النصح الضمني.

4-3- الاستراتيجية التلميحية:

4-3-1- منطلقات التلميح وغاياته:

إذا كان معيار العلاقة بين طرفي الخطاب يؤسس لبناء استراتيجية تضامنية أو توجيهية ذات بعد اجتماعي أخلاقي، فإن معيار اللغة المدرجة في الخطاب يؤسس لانتهاج استراتيجية تلميحية، تعتمد لغة ذات بعد دلالي يبرز مقاصد المرسل من خطابه. وهذه اللغة قد تعبّر عن مقاصد المرسل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ بمعنى أن شكل ألفاظ الخطاب قد تطابق المعنى مباشرة، أو أنها قد تفضي إلى معاني ضمنية لا يمثلها شكل الألفاظ وهو ما يعرف بالتلميح، فالمرسل قد " يلمح بالقصد عن مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه " ¹⁴⁹.

وبالنظر إلى مباحث الفقه وأصول الفقه فإن التلميح يكاد يكون السمة الغالبة في دراسات الفقهاء والأصوليين، مع عنايتهم الكبيرة بمباحث الحقيقة والجزاز، والعلاقة بينهما في سياق تواصلية لتحديد المقاصد والغايات. ولهذا كانت البلاغة البوابة الرئيسة لهذه المباحث التي تهتم بدراسة الجزاز والتشبيه والاستعارة

147- نقلاً عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص212.

148- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص355.

149- المرجع نفسه، ص367.

والكناية، لما تحمله من دلالات تلميحية لمقاصد المتكلم؛ فالكناية مثلا " لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي " ¹⁵⁰، مما يقتضي وجود معنيين اثنين؛ أولهما المعنى المذكور في الخطاب وهو غير مقصود لذاته، وثانيهما المعنى المقصود في الخطاب وما يمكن إدراكه من تلميح داخل السياق اللغوي، بواسطة قرائن دالة على مقاصد المرسل. وهذا ما أشار إليه الجرجاني في تحديد ضربي الكلام وما تعلق بقضية التلميح، فهو يرى أن " ضربا أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضربا آخر لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل " ¹⁵¹، بمعنى أن الجرجاني يشير إلى ظاهرة المعنى التي تهتم بالمفهوم من ظاهر اللفظ ومعنى المعنى الذي يدور حوله التلميح، وهو ما يعرف بالمعنى الحرفي (الظاهر المذكور) مقابل المعنى غير الحرفي (غير الظاهر المستلزم). وبالتالي فإن اللغة لا تفهم دائما من باب الحقيقة في المواقف التواصلية، لأن المعنى الظاهر غير المقصود ليس دائما هو المعنى الوارد المقصود، وإنما يحتاج إلى أعمال الفكر والاستنباط لتحديد المعنى المستلزم المقصود من خلال العبارة اللغوية وما تدل عليه من معاني ضمنية تلميحية، تجعل المرسل يتبنى استراتيجية خطابية غير مباشرة لتبليغ مقاصده، وتعرف بالاستراتيجية التلميحية. وهي " التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق " ¹⁵² التي تعدّ قرائن مساعدة في الانتقال من المعنى الأول المذكور غير المقصود إلى المعنى الثاني المقصود المستلزم. إن المرسل الذي يعتمد إلى استعمال الاستراتيجية التلميحية له دوافع في ذلك، يفرضها عليه السياق غالبا، فيؤسس خطابه على الطريقة غير المباشرة لتبليغ مقاصده، ومن هذه الدوافع:

150- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1990، ص59.

151- المرجع نفسه، ص179.

152- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص367.

أ/ مراعاة السياق وما يفرضه على المرسل من عدم التصريح بالمعنى مباشرة لأسباب اجتماعية أو ضوابط أخلاقية تراعي مشاعر وقناعات المرسل إليه.

ب/ قد يكون التعريض بالمرسل إليه والانتقاص من شأنه سبيلا إلى انتهاج التلميح والابتعاد عن التصريح.

ج/ محاولة المرسل التملّص والهروب من مسؤولية الخطاب، مما يدفعه إلى فسخ مجال التأويل حول المقاصد التي يرمي إليها من خطابه.

د/ ابتعاد المرسل عن الضغط على المرسل إليه وفرض أمور قد تتعارض مع قناعاته.

4-3-2- الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية:

وتشمل جملة من الصيغ اللغوية والآليات البلاغية التي تمكن المرسل من تبليغ مقاصده بطريقة غير

مباشرة، تعتمد التلميح والتضمين لأن هنالك طرقا عديدة لتقول شيئا ما وأنت تعني شيء آخر، منها

التهكم والسخرية والتشبيه¹⁵³، وهذه الطرق العديدة تدفع المرسل إليه للبحث عن المقصود " فيشتقّ المعنى

الحرفي، ثم يفحص هذا المعنى في السياق، ويبحث عن المعنى غير الحرفي، إذا أخفق المعنى الحرفي في تعريفه

بالمقصد"¹⁵⁴. والوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية على ضربين هما :

أ/ الوسائل اللغوية: وتجسدها ألفاظ منها (كم الخبرية)، إلى جانب الأفعال اللغوية غير المباشرة التي تنشأ عن

الاستلزام التخاطبي (الحواري) بين المرسل والمرسل إليه، من خلال الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى

الضمني؛ فالمعنى الصريح يمثل مدلول الصيغة الصورية والقيمة اللفظية التي تعنيها العبارة اللغوية، ويندرج

ضمن هذا المعنى الصريح:

153- نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص384.

154- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحزرمي الإشبيلي)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 02، 1961، ص603.

- ✓ محتوى قضوي: وهو جملة معاني الألفاظ والمفردات المسندة بعضها إلى بعض داخل الخطاب.
- ✓ قوة إنجازية حرفية: وهي القوة الدلالية المتحققة أسلوبيا بالأدوات والصيغ داخل الخطاب.
- أما المعنى الضمني فهو ما يقصده المرسل من خطابه على نحو غير مباشر، يتعدى الصيغة الصورية لألفاظ الخطاب في سياق محدد، ويشمل:
- ✓ معنى عرفيا: وهو الدلالة التي تقتضيها ألفاظ الخطاب، ويستلزمها في سياق تواصل محدد، انطلاقا مما تعارف أصحاب اللغة عليه.
- ✓ معنى حواريا استلزاميا: وهو الدلالة المتولدة من تغيّر سياقات التواصل، وتمثل مقاصد المرسل.
- ب/ الآليات البلاغية: وتشمل صور البيان وما يمكن أن تؤديه من تلميح، ومنها:
- ب-1- التشبيه: وهو تقريب شيئين أو أكثر في صفة أو مجموعة من الصفات، وقد عبّر عنه السكاكي بقوله " سَدَّعُو طرفين مشبَّها ومشبَّها به، واشترَكا بينهما من وجه وافتراقاً من وجه آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو العكس [..] لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبَّه به في أمر، والشيء لا يتّصف بنفسه، كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما" ¹⁵⁵، وبالتالي فإن التقريب بين الشيئين في وجه اشتراك أو افتراق يشير إلى المقاصد المتضمنة في خطاب المرسل داخل سياق تواصل محدد، ويبرز الكفاءة اللغوية والتداولية لهذا المرسل، مما يجعل التشبيه أكثر من ضرورة في استعمال الاستراتيجية التلميحية.
- ب-2- الاستعارة: هي " أن تذكر أحد طرفي التشبيه و تريد به الطرف الآخر، مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبَّه ما يخصّ المشبَّه به " ¹⁵⁶؛ أي أن الاستعارة تشبيه في الأصل لكن مع

155- السكاكي، مفتاح العلوم، ص141.

156- المرجع نفسه، ص156.

حذف أحد الطرفين، ووجود قرائن دالة على المحذوف تُلتَمَسُ من السياق التواصلي، وهذا الحذف في الاستعارة هو سبيل التلميح والتضمن الذي يقصده المرسل في الاستراتيجية التلميحية.

ب-3- الكناية: هي "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك" ¹⁵⁷، بمعنى أن المرسل يعتمد هذا المنحنى في ترك التصريح بمقاصده إلى التلميح بذكر ما يلزم هذا التصريح، فيجسّد المرسل في خطابه معنيين اثنين؛ أحدهما مذكور غير مقصود، وثانيهما محذوف مقصود مدرك من خلال التلميح والتضمن.

4-4 الاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية):

4-4-1- منطلقات الإقناع وغاياته:

تتأسس الاستراتيجية الإقناعية بناءً على معيار هدف الخطاب، وعلى ما يرمي إليه المرسل ويقصد تحقيقه من تواصله مع المرسل إليه، وبخاصة إذا أراد "إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي" ¹⁵⁸ للمرسل إليه والتأثير فيه لغاية فعل معين. ويعتمد الإقناع على الحجاج بوصفه أداة ووسيلة لتحقيق تلك الغاية، فالحجاج استراتيجية لغوية تتأسس تبعاً لسياق الخطاب، لأن اللغة "نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق" ¹⁵⁹. إن المرسل أثناء التخاطب ينقل تصورات ومدرّكاته الموجودة في واقعه، بهدف التبليغ أو الإخبار أو التأثير في المرسل إليه، وهو بذلك يعتمد إلى إقناعه قصد التغيير في بعض معارفه أو أفكاره، سواء فيما اشتركا فيه أو اختلفا حوله من القضايا، فيصبح الحجاج وسيلة لتحقيق هذه

157- السكاكي، مفتاح العلوم، ص170.

158- بليث هنريش، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، دراسات (سال)، بيروت، لبنان، ط01، 1989، ص64.

159- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2003، ص120.

الغاية، إذ " الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق"¹⁶⁰، وهذا التلازم هو الموجّه الرئيس لكل هدف من أهداف التواصل بين المرسل والمرسل إليه.

إن الحجاج "جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً، قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"¹⁶¹. لهذا فلن يرتبط الحجاج بالإقناع راجع إلى الوظيفة الحجاجية (الإقناعية) من وراء كل خطاب يهدف إلى دفع المتلقي (المرسل إليه) إلى فعل معين لتغيير سلوك أو معتقد، وهذا الفعل الإقناعي يتأسس على قاعدة افتراضات مسبقة ترتبط بالسياق المحيط بالخطاب، وبمحتوى الخطاب السابق واللاحق على الترتيب في الموقف التواصلية الواحد، ويمكن اعتبار الفعل الإقناعي وظيفة في حد ذاتها، ولكي " تكون الوظيفة الإقناعية أولية فإنها ليست الوحيدة، وإذا كانت البلاغة هي فن الإقناع بالخطاب وجب التأكيد أنه - أي الخطاب - ليس أبداً حدثاً معزولاً، بل على العكس من ذلك، فإنه يقابل خطابات سبقته أو ستليه، التي قد تكون ضمنية"¹⁶²، تدفع المرسل إليه إلى استنباطها واستنتاجها وفق معطيات السياق المحيط بالخطاب.

إن الاستراتيجية الإقناعية الحجاجية تسعى في إطارها العام إلى تحقيق أهداف ومقاصد المرسل من خطابه، نظراً لما لها من تأثير على المرسل إليه لحصول الإقناع عنده، إلى جانب أنها تستعمل الحجج والأدلة، مما يضمن استمرارية الخطاب بين الطرفين، كما أنها شاملة في شتى المواقف والسيئات التواصلية،

160- حبيب أعراب، " الحجاج والاستدلال الحجاجي- عناصر استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2001، عدد 01، مجلد 30، ص 100.

161- محمد العبد، " النص الحجاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف - خريف، 2002، عدد 60، ص 44.

162- أوليفي روبول، " طبيعة البلاغة ووظيفتها"، ترجمة الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجدة، المملكة العربية السعودية، 2001، عدد 16، ص 75.

فهي لا تختص ب فئة دون أخرى من البشر، وإنما هي آلية يستعملها أيُّ كان لتحقيق مقاصده وأهدافه وفق معطيات ومقتضيات تتطلبها هذه الاستراتيجية الإقناعية.

4-4-2- الواسائل المعتمدة في الاستراتيجية الإقناعية الحجاجية:

إن الهدف المتوخى من الاستراتيجية الإقناعية هو استمالة المرسل إليه والتأثير في معتقداته وسلوكه أثناء العملية التواصلية، ويتحقق هذا الأمر بواسطة وسائل وتقنيات تتعلق في محملها بمقاصد الخطاب ، وبالمرسل والمرسل إليه ودوره في الخطاب المستعمل في سياق معين، ويمكن تصنيفها وفق المنوال الآتي:

4-4-2-أ- الواسائل النفسية الاجتماعية:

تتمثل أساسا في دور المرسل ومدى قدرته على تهيئة المرسل إليه لما يقصده من خلال اعتماد استراتيجية إقناعية حجاجية، لأن " الحجاج في النهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول ، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي ، والتحامها مع الطرح المقدم ، وإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير"¹⁶³.

4-4-2-ب- الواسائل المنطقية:

تشمل كل ما يقدمه المرسل من " الأدلة المنطقية أو الشواهد الخاصة والإحصاءات"¹⁶⁴؛ فالشواهد الخاصة ترتبط غالبا بالأدلة التاريخية أو بالوقائع والأخبار والأمثلة والقصص، وأما الأدلة المنطقية فتتعلق بالقياس المنطقي وهو "صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها ،

163- Chaim. Perelman et O. Tyteca, Traité de L'Argumentation, Edition de l'Université de Bruscelles, 5^{ème} Edition, 1992, P18.

164- محمد العبد، " النص الحجاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع "، مجلة فصول، ص52.

فيأتي القياس المنطقي مُنبهًا عليها، أو مُلزِمًا الخصم بالتسليم بها إذا هو أنكرها "165. والقياس بنية أساس في كل خطاب حجاجي إذ يعدّ " أحد طرق الاستدلال غير المباشر و أقومها إنتاجا "166 في الربط بين مكونات الخطاب الحجاجي، لترتبط المقدمات بالأدلة والحجج ثم بالنتيجة من باب المنطق والدلالة.

4-4-2-ج- الوسائل اللغوية:

ترتكز هذه الوسائل على دور لغة الحجاج المعتمدة أثناء الإقناع، لأن " اللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة، فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث "167، مما ينعكس على المتلقي في حد ذاته لقبول أو رفض ذلك الموقف. فدور اللغة لا يندرج في إثارة المشاعر والانفعالات فقط بالنسبة للمرسل إليه، وإنما في تقديم الحجج والأدلة، وفق منطق يستميل هذا المرسل إليه ويجعله مُوجَّهًا ومُمنهَجًا لطريقة الإقناع.

إن المقدمات والحجج والنتائج المدرجة في الحجاج ترتبط بوسائل منطقية ولغوية تبرز علاقة هذه المكونات فيهما بينها، وعلاقتها بالبنية العامة للحجاج في حد ذاتها، علما أن تلك الوسائل اللغوية المنطقية تشكّل جملا وعبارات تنقل النتائج وتقدّم الحجج انطلاقا من مقدمات، فتصبح التالي وحدات ذات بعد حجاجي دلالي داخل الخطاب، ومنها مثلا: لكنّ، إنّ، بل، أمّا، وكذا أسلوب الشرط وأسلوب القصر...

165- عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط06، 2002، ص227.

166- المرجع نفسه، ص227.

167- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص106.

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق عرضه حول تفصي مفهوم الخطاب ودور السياق في تحديد مقاصد المرسل، ويتبع أهم الاستراتيجيات الخطابية التي يتأسس على منوالها خطاب المرسل، والوسائل والآليات التي يعتمدها في ذلك، يمكن للباحث الوصول إلى استنباط بعض النتائج، منها:

- 1- دراسة النصوص دراسة واعية تتطلب حضور ومعرفة السياق الذي أنتجت فيه هذه النصوص.
- 2- مقاصد المرسل تتحدّد بالأساس انطلاقاً من خطابه، ومن دور السياق المحيط به، لأنه يبرز أهم المنطلقات الفكرية واللغوية التي تأسس على منوالها ذلك الخطاب.
- 3- استمرارية الخطاب بين المرسل والمرسل إليه تقتضي من المرسل اعتماد وانتهاج استراتيجية خطابية معدّة سلفاً لتضمن نقل أهداف ومقاصد المرسل.
- 4- تأسيس وانتهاج استراتيجية خطابية يخضع بالضرورة إلى جملة من العوامل تتعلق في مجملها ببيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، وإلى اللغة المدرجة في الخطاب، وإلى الهدف من ذلك الخطاب.
- 5- وجود تداخل بين أنواع الاستراتيجيات الخطابية في الموقف التواصلية الواحد، إذ لا يمكن الفصل بينها فصلاً تاماً، وإنما تتضافر معاً لتحقيق وتبليغ مقاصد المرسل، ويبقى عامل الغلبة في الاستعمال هو معيار السيطرة لاستراتيجية خطابية دون أخرى في موقف تواصلية معين.

الفصل الثاني

الحجاج والإقناع:

1 مفهوم الحجاج

2 مفهوم الإقناع وعلاقته بالحجاج

3 أسس الحجاجية

4 بنية الحجاج

5- الوسائل الإقناعية

1 - مفهوم الحجاج Argumentation:

لقد أضحى الحجاج في حاضرتنا مجالاً واسعاً للبحث والدراسة، وهذا راجع لارتباطه بالكثير من العلوم اللغوية والعقلية، بما فيها الفلسفة والمنطق واللسانيات. وقد كان للبلاغة الدور الكبير في إبراز حقيقة الحجاج وأهميته في المواقف التواصلية، فالبلاغة تركز على جانبين اثنين في الخطاب؛ أولهما البيان، وثانيهما الحجاج، بهدف إقناع المرسل إليه، وتوجيهه إلى فعل معين.

وقد سعى الدارسون في العصر الحديث إلى تأسيس نظرية خاصة بالحجاج، تستمد حدودها ووظائفها "من مرجعية خطابية محدّدة"، ومن خصوصية الحقل التواصلية الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية¹، وهذه المرجعية الخطابية كانت سبباً في تزوّج مضامين الحجاج، ولهذا نجد "حجاجاً خطابياً (لسانياً)، وحجاجاً خطابياً (بلاغياً)، وآخر قضائياً أو سياسياً أو فلسفياً"².

ومن هذا التعدّد كثرت التعريفات حول مفهوم الحجاج، فقد "دارت حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى"³، ولغاية الوصول من بين هذه التعريفات إلى تعريف موحّد يُخدم هذه الدراسة، سَتَطرُق الباحث في بداية هذا الفصل إلى المفهوم اللغوي للحجاج، ثمّ إلى مفهومه الاصطلاحي، مع الإشارة إلى مراحل تطور هذا المفهوم لدى العرب ولدى الغربيين.

1- حبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2001، عدد 01، مجلد 30، ص 98.

2 - المرجع نفسه، ص 98.

3 - محمد العبد، "النص الحجاجي العربي - دراسة في وسائل الإقناع"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف-خريف 2002، عدد 60، ص 44.

1 أ- المعنى اللغوي للحجاج:

بالنظر إلى لسان العرب، نجد أن مادة (ح ج ج) قد دارت حول معان منها: "الحجّة: البرهان، وقيل الحجّة ما دُفِعَ به الخصم، والحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. والتّحاج: التّخاصم، والاحتجاج من احتجّ بالشيء أي اتّخذ حجّة. والحجّة الدليل والبرهان، وأحجّ خصمي أي أغلبه بالحجّة"⁴. وعليه فإن المعاني المعجمية للحجاج تدور حول: التّخاصم، والتّنازع، والتّغالب، واستعمال الوسيلة المتمثلة في الدليل والبرهان.

أما في اللغة الفرنسية فإن لفظ Argumentation قد دلّ على معان منها: القيام باستعمال الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، وهي تعدّ فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة، كما تشير هذه اللفظة إلى الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصاحبة بحجج⁵. وبالتالي فإن المعاني تكاد تكون متقاربة بين اللغتين العربية والفرنسية حول المعنى المعجمي للحجاج.

وعلى هذا الأساس فمستعمل الحجاج يشترك مع المرسل إليه في نشاط له طبيعة فكرية تواصلية، يعتمد فيه إلى استعمال الدليل والبرهان لغاية محددة ومقصورة لذاهما من خلال المحاججة.

1- ب- المعنى الاصطلاحي للحجاج:

1- ب- 1- عند العرب: ورد مفهوم الحجاج عند العرب قديماً بتسميات مختلفة تعود أساساً إلى منطلقات وتوجّهات أصحابها، الذين اهتموا بهذا المجال نظراً لارتباطه الوثيق بالكلام، فقد قسّموا الكلام إلى وجوه،

4 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 1994، مجلد02، ص228، مادة (ح ج ج).

5 - Le grand Robert, Dictionnaire de la Langue Française, T1, Paris, 1989, P535.

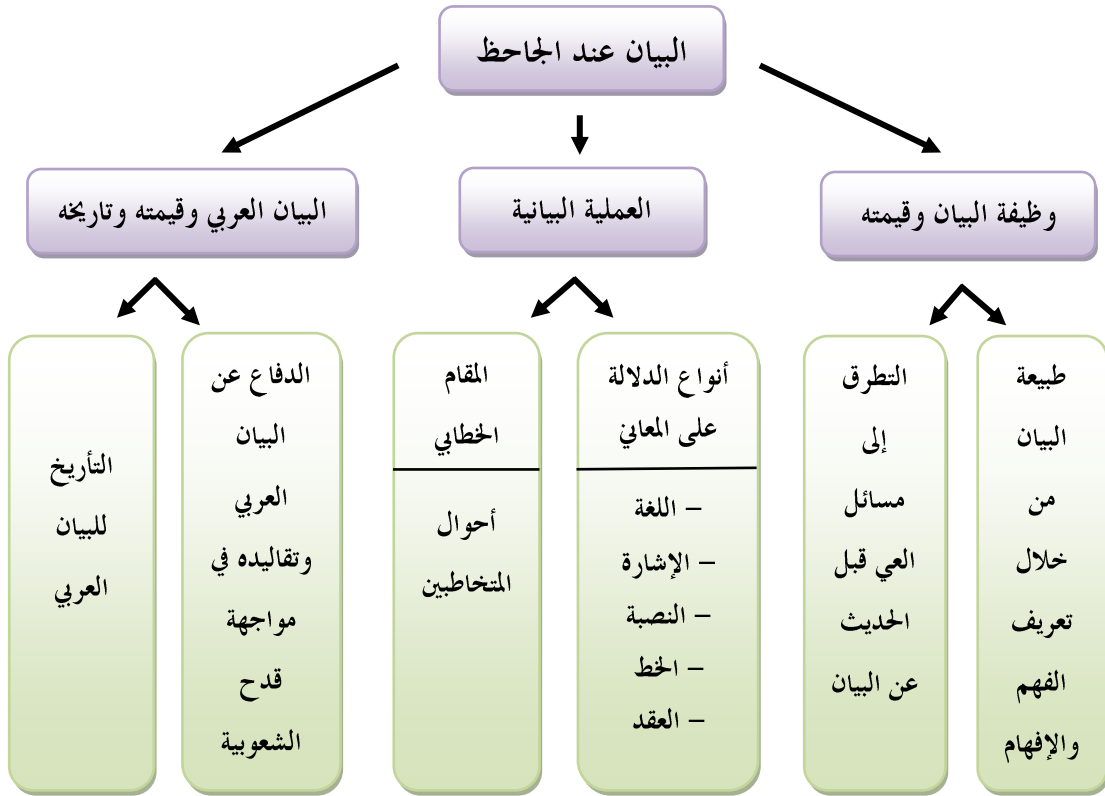
وراعوا في ذلك مطابقتها لسياق استعماله، وتناسبه مع متلقيه " فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب " ⁶. ولكي تتحقق هذه الفائدة وتتم تلك المنفعة وجب تطابق الكلام مع طبيعة المتلقي، وتناسبه مع سياقه التواصل، وهو ما يعرف في البلاغة العربية بمقتضى الحال أو مطابقة الحال.

وبالنظر إلى كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (ت 255 هـ)، يجد الباحث أن مفهوم الحجاج عنده يطابق البيان، فهو يرى أن " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع " ⁷، فالفهم والإفهام شرط - عند الجاحظ - لتحقيق غاية الخطاب، وهي اقتناع المرسل إليه بمقاصد المرسل، مما يجعل البيان ذا معنيين هما الإفهام والإقناع، وقد صنّفهما (محمد العمري) نقلا من كتاب (البيان والتبيين) في هذه الخطاظة ⁸:

6- أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري)، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق على محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1952، ص39.

7- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكنايني البصري)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط02، 1992، ص82.

8 محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص272.



ومن جهة أخرى فإن ابن وهب (ت 335 هـ) يربط مفهوم الحجاج والاحتجاج بالجدل، ويجعله متعلقاً بنوع من أنواع النثر، "فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة أو ترسلاً أو احتجاجاً أو حديثاً، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"⁹، وقد وضع ابن وهب تعريفاً دقيقاً للجدل والمجادلة، "فأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجّة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتسوّل في الاعتذارات"¹⁰.

9- ابن وهب (أبو حسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان)، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديشي، جامعة بغداد، العراق، 1967، ص150.

10- المرجع نفسه، ص176.

وعليه فالجدل - عنده - خطاب تعليلي إقناعي يعتمد على وضع الاحتجاج في موضعه، لأن الاحتجاج يكون " على من زاغ من أهل الأطراف" ¹¹. وقد وضع ابن وهب جملة من الشروط الضابطة للجدل تقوم على اعتبار أخلاقي، وتتمحور في مجملها حول جِلمِ المجادل عما يسمع من الأذى، وألا يعجب ويغترّ برأيه ويسير وفق هواه، وأن يلزم العدل والإنصاف فيها يذهب إليه، دون أن ينتقص من شأن ومرتبة خصمه أثناء الجدل.

وقد سائر ابن خلدون (ت 808 هـ) هذا الطرح في جعل الحجاج بمفهومه القديم وجها من وجوه الجدل، إلا أنه خالف ابن وهب في تحديد مفهوم الجدل؛ فإذا كان ابن وهب يعرف الجدل انطلاقاً من الاعتبارات الأخلاقية، فإن ابن خلدون قد نحى في تعريف الجدل منحاً وظيفياً، ورأى أن الجدل " هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الردّ والقبول متّسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الردّ والقبول" ¹². فالجدل بذلك يتضمن المعرفة بأصول المناظرة وآدابها وأحوال المتناظرين، وبالأحكام الواجب التقيّد بها أثناء الاحتجاج، لأن هذه المعرفة هي " معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال ، التي يُتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره" ¹³.

أما حازم القرطاجني (ت 684 هـ) فإنه يرى أن الحجاج وسيلة من وسائل الجدل ووجه من أوجه الكلام، فالبلاغة تقوم عنده على أساسين هما: صناعة الشعر وصناعة الخطابة، وترتكز - عنده -

11- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص150.

12- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 02، 1961، ص820.

13- المرجع نفسه، ص821.

صناعة الشعر على التخييل في مقابل ارتكاز صناعة الخطابة على الاحتجاج والاستدلال، " فلما كان كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار أو الاقتصاص ، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال " ¹⁴ ، وبالتالي فإن إقناع الخصم يكون بإحدى الوسيلتين: الاحتجاج أو الاستدلال. وعموماً فإن ما يمكن أن يستخلصه الباحث من نظرة العرب القدامى لمفهوم الحجاج لا يخرج عن دائرة الجدل والمناظرة، ودورهما في التأثير وإقناع الخصم بالأدلة والحجج، مع ارتباطهما بفن الخطابة بنوعيهما: خطابة الجدل والمناظرة والخطابة التعليمية، وقد كانت "خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل، وفيما بين النحاة والمناطق، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين. والخطابة التعليمية متمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك" ¹⁵ .

وفي العصر الحديث تميّز الفكر العربي بأراء مختلفة بين العلماء والباحثين حول مفهوم الحجاج، وهذا الاختلاف راجع لتوجهات ومنطلقات كل باحث في هذا الشأن، إلا أن البارز في ذلك توجهان : أولهما فلسفي يمثله " طه عبد الرحمن "، وثانيهما بلاغي خطابي يمثله " محمد العمري".

فأما طه عبد الرحمن فإنه يعدّ الحجاج صفة للخطابة " لأن الأصل في تكوثر الخطابة هو صفة الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج " ¹⁶ ، ومفهوم التكوثر - عند طه عبد الرحمان - فعل مرتبط بمقاصد الخطاب، وموجهه في ذلك هو العقل، لأن الهدف من الخطاب نفي بدرجة كبيرة، يرتبط بطرفي الخطاب، لذا يرى طه عبد الرحمن أن الخطاب يتأسس على قصدين هما : قصد الادعاء، وقصد الاعتراض؛ فأما قصد الادعاء فهو " الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه، وتمام الاستعداد لإقامة

14- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 1981، ص63.

15- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص126.

16- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1998، ص213.

الدليل عليه عند الضرورة، إذن فالمدّعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله¹⁷، وأما قصد الاعتراض فهو "المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدّعي" ¹⁸، وبناء على هذين القصدين في الخطاب ينشأ الحجاج، فالمرسل مطالب بإقامة الدليل والحجّة في خطابه ليبرّر صحة دعواه. وأما المرسل إليه فله الحق في الاعتراض على ما يتأسس عليه حجاج المرسل لقبول دعواه، وبين هذين القصدين (الادعاء والاعتراض) ينشأ حوار بين طرفي الخطاب، وهو من أهم خصائص الحجاج عند طه عبد الرحمان، علماً أنه قد ميّز بين مفاهيم حجاجية في هذا الصدد تتعلق بالحوار والمحاورة والتّحاور. وقد رتبها وفق الجدول الآتي¹⁹:

الشاهد النصي	النموذج النظري	البنية المعرفية	الآلية الخطابية	المنهج الاستدلالي	
الحوار الحقيقي (علمي) الحوار الشبهي (الفلسفي)	نموذج البلاغ نموذج الصدق	النظر	العرض	البرهان	الحوار
المحاورة القريبة (المناظرة) المحاورة البعيدة (التناص)	نموذج الإبلّاغ نموذج القصد	المناظرة	الاعتراض	الحجاج	المحاورة
التناظر الرأسي التناظر الأفقي	نموذج التبليغ نموذج التفاعل	التناظر	التعارض	التّحاج	التّحاور

هذا عن النموذج الأول الذي يمثّل الرؤية الفلسفية لطله عبد الرحمان، أما النموذج الثاني فهو لمحمد العمري وهو يمثّل رؤية بلاغية خطابية، فقد كانت منطلقاته مستمدّة من الفكر الأرسطي لبلاغة الخطاب،

17- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ص 225.

18- المرجع نفسه، ص 226.

19- نقلاً عن: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 02، 2000، ص 57.

وقد ركز فيه على مفهوم الإقناع في البلاغة العربية القديمة، مُمثلاً في دور المقام وصور الحجاج لتحديد ملامح الخطاب الإقناعي الحجاجي، فالمقام له الأثر البالغ في السياقات الخطابية لتحديد مقاصد المرسل، وقد قسّمه محمد العمري إلى ثلاثة أقسام هي:

1- مقام الخطاب الديني: ويرتبط بمواقف التعليم والوعظ والتوجيه.

2- مقام الخطاب السياسي: ويرتكز على طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، وقد يكون حوار أُنّاد وخصوم، أو حوار راع ورعية.

3- مقام الخطاب الاجتماعي: ويرتبط بالجانب التنظيمي للعلاقات الاجتماعية بين الناس²⁰.

أما صور الحجاج - عنده - فتتوزّع بين القياس والمثل والشاهد:

أ/ فأما القياس: فهو قائم على الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور ومنها التعارض والتضاد والمستقصى.

ب/ وأما المثل: فهو استقراء بلاغي أو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما، ويُقصد استنباط نتيجة الحالة الأولى على منوال نتيجة الحالة الثانية.

ج/ وأما الشاهد: فيمثل مجموع الأمثال والأبيات الشعرية والشواهد القرآنية وكل الحجج الجاهزة²¹.

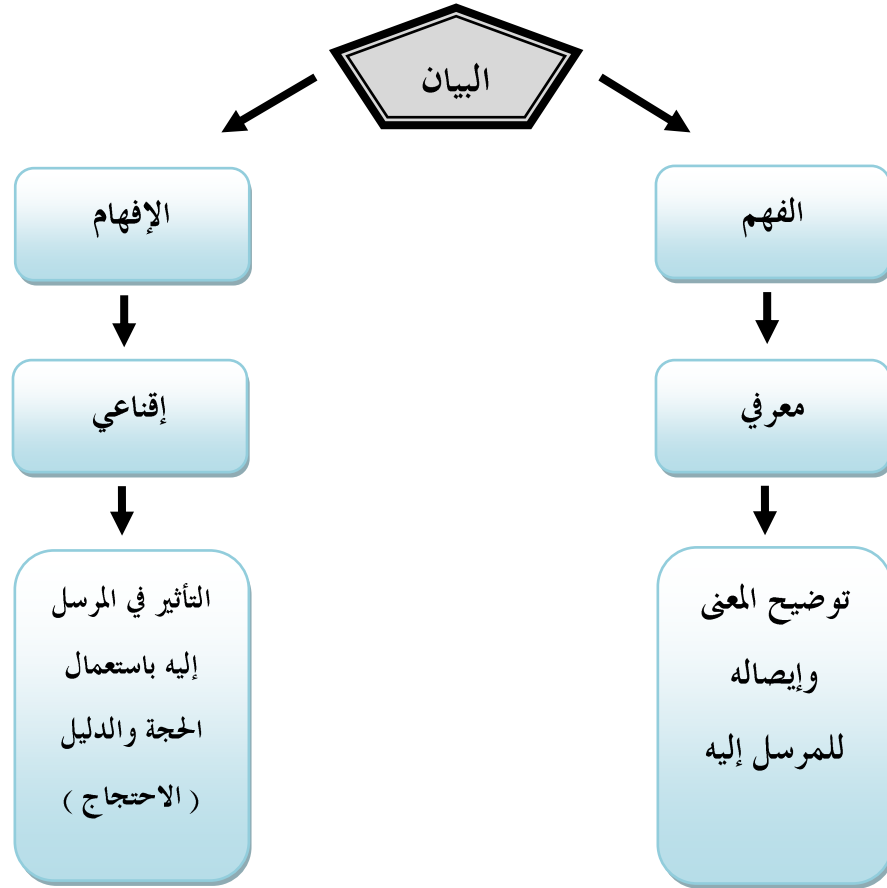
إن مفهوم الحجاج عند محمد العمري مرتبط بمفهوم الإقناع وهو غاية الخطاب البلاغي - عنده -

للتأثير في المتلقي واستمالته لفعل معين، وهذا الخطاب البلاغي يعتمد أساساً على البيان، لقدرته على

20- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، لبنان، ط 02، 2002، الفصل الثاني، الصفحات من 40 إلى 68.

21- ينظر: محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، الفصل الثالث، الصفحات من 71 إلى 94.

إحداث الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب، فالفهم يتأتى من زاوية معرفية، أما الإفهام فإنه يأتي من آلية إقناعية وفق المخطط الآتي:



استنتاج:

بالمقارنة بين العرب القدامى والمحدثين، يجد الباحث اختلافًا بينا بينهما حول مفهوم الحجاج؛ فالنظرة القديمة جعلت من الحجاج آلية ووسيلة من وسائل الجدل والمناظرة في مجال الخطابة، أما النظرة الحديثة فإنها تسعى إلى جعل الحجاج مبحثًا مستقلًا في حد ذاته، يدخل في تأسيس الخطاب بكل تفرعاته وتوجهاته، ويجعل منه بعدا عاما واستراتيجيا يُتَوَخَّى منه تحقيق مقاصد ومنافع من وراء كل خطاب.

1- ب-2- عند الغرب:

ارتبط الحجاج عند أرسطو قديما بفني الجدل والخطابة، وقد ربط بين خاصية الكلام وبين الإقناع، ففي رأيه أن المرسل يسعى إلى إقناع المرسل إليه اعتمادا على تعبير مقصود لذاته، " فالإنسان لأنه متكلم معبرٌ يبحث بطبعه عن الإقناع، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حوِي به من الطبيعة " ²². كما يعدّ الحجاج وفق هذا الاعتبار حججا جدليا وحجاجا خطائيا، فالحجاج الجدلي قائم على المناقشة النظرية الصرفة التي تهدف إلى الإقناع العقلي المجرد، أما الحجاج الخطابي فهو حجاج مؤسس على ظروف معينة وسياقات خاصة، قصد إثارة مشاعر وانفعالات جمهور معين بحدّ ذاته، فالناس " يلجؤون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة، وكل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجة من الحجج أو يدعمها " ²³.

وهذه الحجج عند أرسطو على ضربين: حجج غير مصنوعة وأخرى مصنوعة؛ فأما غير المصنوعة فهي التي " لا دخل لنا فيها لأنها سابقة على تصرفاتنا، مثل الشهود في القضية، والتعذيب، والاتفاقات المكتوبة " ²⁴. وأما الحجج المصنوعة فهي " كل ما يمكننا جمعه بأنفسنا على هدى المنهج الموضوع " ²⁵، وهي تتعلق بطرفي الخطابة وبالخطابة ذاتها؛ أي ما يرجع إلى أخلاق الخطيب، وما يعود لإمكانات واستعدادات السامعين، ثم إلى محتوى الخطابة وإلى العلاقات الاستدلالية المنطقية المعتمدة فيها، على اعتبار

22- أرسطو طاليس، كتاب الخطابة، ترجمة إبراهيم سلامة، المكتبة الأنجلومصرية، مصر، ط02، 1953، ص24.

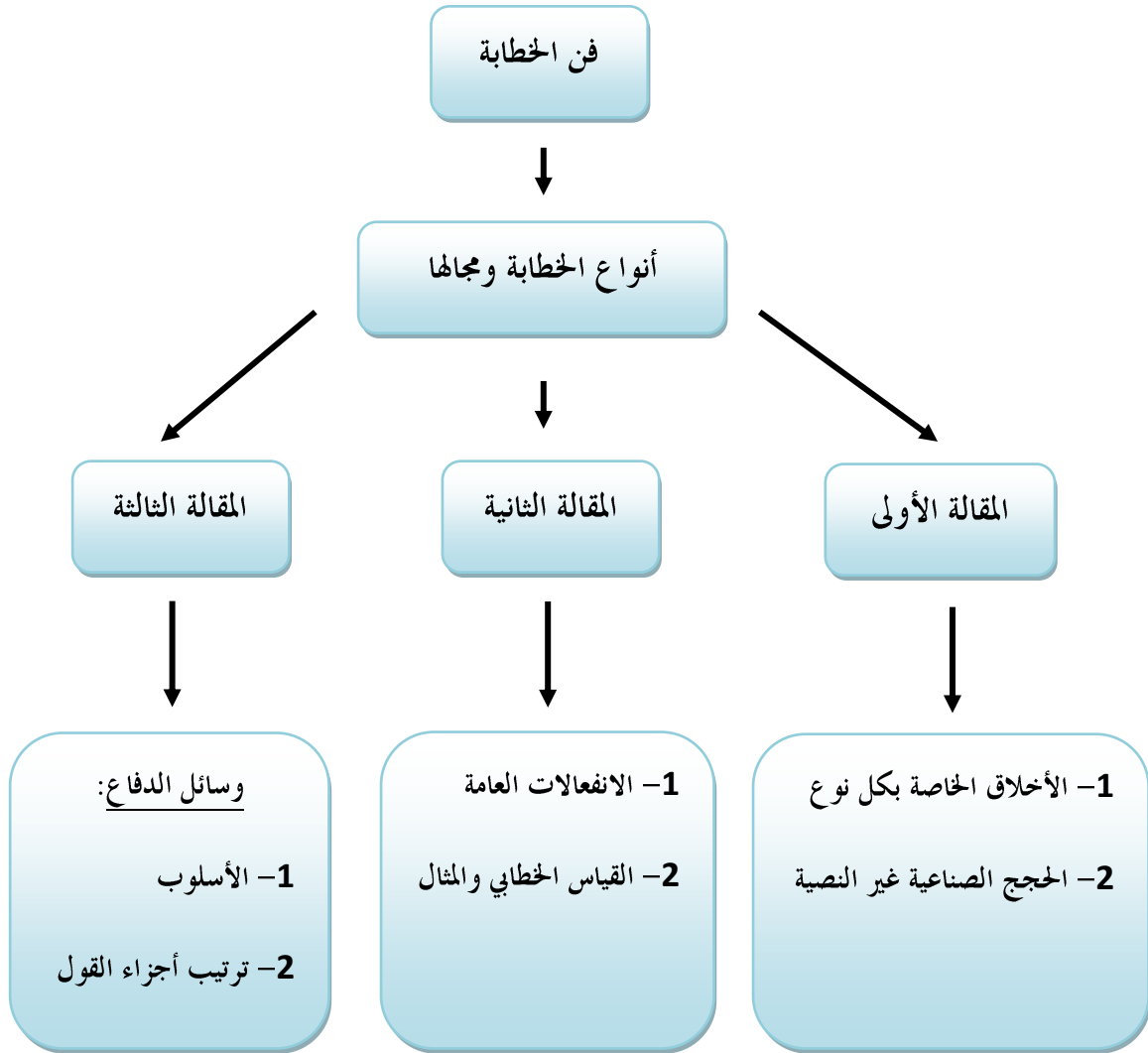
23- المرجع نفسه، ص75.

24- المرجع نفسه، ص84.

25- المرجع نفسه، ص85.

أن الاستدلال المنطقي منهج معتمد في الحجاج وفي الجدل غايته " تحقيق الاستمالة والتأثير بالقول " ²⁶ في المرسل إليه.

وقد تأسس الخطاب الإقناعي عند أرسطو وفق المنوال الآتي ²⁷:



26- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص109.

27- ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص272.

ولقد كانت هذه الإرهاصات الأرسطية حول مفهوم الحجاج وعلاقته بالخطاب مصدرا لظهور آراء واتجاهات عند الغربيين في العصر الحديث، سعيًا منهم لبناء نظرية حجاجية متكاملة في مجالات تخاطبية متعددة، إذ يشير الحجاج " إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا، مهما كان متلقي الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك²⁸.

فمثلا شايم بيرلمان C. Perelman يرى أن موضوع الحجاج هو " تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم " ²⁹، كما يرى أن ملامح الحجاج تتحدّد وفق مميزات هي³⁰:

- 1 - أن يتوجّه إلى مستمع.
- 2 - أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- 3 - مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- 4 - لا يفتقر تقدمه - تناميّه - إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- 5 - ليست نتائجه ملزمة.

ويستند مفهوم الحجاج -عنده- على الجدل والخطابة معا " بكيفية تجعل الحجاج شيئا ثالثا لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة.. إنه خطابة جديدة"³¹، تقوم على " تصوّر معيّن لقراءة الواقع اعتمادا على بعض

28- حبيب أعراب، " الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري"، ص99.

29- Chaim. Perelman et O. Tyteca, Traité de L'Argumentation, Edition de l'Université de Bruscelles, 5^{ème} Edition, 1992, P05.

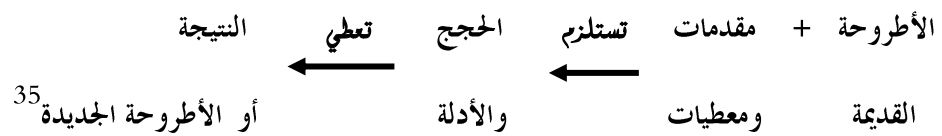
30- نقلا عن: محمد سالم ولد محمد الأمين، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصر"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جانفي- مارس 2000، عدد02، ص53.

31- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، 2001، ص31.

المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينبج هذا الخطاب " 32. وقد ربط بيرلمان نجاعة الحجاج على اعتبارات لغوية وأخرى نفسية اجتماعية، تتعلق في مجملها بوضوح أسلوب الخطاب واحترام المتلقي داخل السياق التواصلي، وإذا ما توفرت هذه الاعتبارات حقق الحجاج غايته، لأنه " دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمخاورتها والإصغاء إليها، ومحاولة حيازة انسجامها الإيجابي " 33.

في حين يرى رولان بارث R. Barthes أن الحجاج آلية بلاغية، منتهجا في ذلك النظرة الأرسطية لمفهومي الخطابة والجدل، إلا أنه عرض نظرتة تلك بمصطلحات جديدة، وهو ما ذكره في كتابه الموسوم بـ: (قراءة جديدة للبلاغة القديمة)، فقد أطلق مصطلح الابتكار في مقابل المحاججة، أو ما يرى أنه ابتكار الحجّة الذي يقوم على تقنية منهجية حجاجية داخل الخطاب، وتقوم هذه التقنية على عاملين اثنين؛ أولهما منطقي في ربط المقدمات بالنتائج، وثانيهما نفسي يرمي إلى إقناع المرسل إليه والتأثير في معتقداته، وهذا الإقناع يعتمد آلية منطقية أو شبه منطقية هي تصديق الأدلة والحجج، لإحداث ردّة فعل تتناسب مع ذهن المتلقي لتحقيق مقاصد الحجاج 34.

أما جان ميشال آدم J. M. Adam فإنه يرى أيضا أن الحجاج آلية تهدف إلى إقناع المرسل إليه والتأثير في سلوكه لفعل معين، وتأتي هذا بواسطة الكلام الذي ينتظم وفق سلم حجاجي على النحو التالي:



32- محمد سالم ولد محمد الأمين، " مفهوم الحجاج عند بيرلمان "، ص 61.

33- المرجع نفسه، ص 68.

34- ينظر : رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 01، 1994، ص 50.

35- Jean Michel Adam, les Textes: Types et Prototypes, NATHAN, Paris, 1992, P104.

ولهذا فقد عرّف الخطاب الحجاجي على أنه " موجه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطب أو المستمع، وذلك يجعل أي قول مدعّم صالحاً أو مقبولاً كنتيجة، وذلك بمختلف الوسائل " ³⁶ التي تساعد على إقناع المرسل إليه، وتبرز مقاصد المرسل من خلال اعتماد منهج ترا تبي في عرض المقدمات والحجج، وصولاً إلى النتائج، وفق طرح منطقي يتلاءم مع سياق الخطاب.

وقد خالف كل من أوسكمبر *Anscombe* و ديكرو *Ducrot* هذا الطرح، وعرّف الحجاج بنية لغوية تستمد خصائصها من الأحوال المصاحبة للخطاب، وعرفّا الحجاج على أنه " تقديم المتكلم قولاً (ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) " ³⁷. فالقول الأول (ق1) يصبح دليلاً وحجة تؤدي في نهاية المطاف إلى توليد نتيجة (ق2)، سواء كانت صريحة أو ضمنية يستنتجها المتلقي اعتماداً على سياق الخطاب. وعليه فالحجاج يعتمد على " عمل التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرّحاً بها أو ضمنية " ³⁸.

وقد نحا ميشال ماير *M. Meyer* هذا المنحى، ورأى أن الحجاج يقوم على قسمين؛ قسم صريح وآخر ضمني، وهذا ما يضمن وجود الحوار بين طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه)، كما يضمن استمرارية الخطاب في حدّ ذاته، فيتأسس بذلك الحجاج على العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وباطنه، وتصبح الحجة " جواباً أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدّر يستنتجها المتلقي ضمناً في ذلك الجواب، ويكون ذلك بطبيعة الحال في ضوء المقام وبوحي منه " ³⁹.

36- Jean Michel Adam, les Textes: Types et Prototypes, P103.

37- J. C. Anscombe et O. Ducrot, l'Argumentation dans la Langue, Edition Mardage, liège-Bruscelles, 2^{ème} édition, 1988, P08.

38- IBID, P11.

39- Michel Meyer, Logique: Langage et Argumentation, Edition Hachette université, Paris, 2^{ème} édition, 1982, P137.

إن ما يمكن أن يستنتجه الباحث على ضوء دراسة الحجاج عند الغربيين متمثل في تنوعه من حيث المنطلقات والأسس قديما وحديثا، فقد ربطه علماء الغرب بمفاهيم متعددة منها الخطابة، والجدل، والبلاغة، وآليات الإقناع، والمعاني المستلزمة والمستنتجة من ظاهر الكلام.

1- ج - تعريف الحجاج:

من خلال العرض السابق لمفهوم الحجاج، سواء عند العرب أو عند الغرب قديما وحديثا، يمكن للباحث الوصول إلى مقارنة مفاهيمية ترصد تعريفا شاملا وجامعا للحجاج - وهو ما سيعتمده الباحث في هذه الدراسة - فالحجاج استراتيجية لغوية تكتسب أبعادها من الأحوال المصاحبة للخطاب، على اعتبار أن اللغة " نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق " ⁴⁰، فالمتكلم (المرسل) أثناء العملية التخاطبية ينقل تصورات ومدرجاته الموجودة في واقعه إلى المستمع (المرسل إليه)، قاصدا بذلك التبليغ أو الإخبار أو التأثير في هذا المرسل إليه. وبالتالي يعتمد المرسل إلى إقناع الطرف الآخر، أو التغيير في بعض معارفه وأفكاره، وبخاصة ما يظهر فيها اختلاف بينهما، فيستعمل خطابا حجاجيا لتلك الغاية " فالحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو يعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق " ⁴¹، هذا التلازم هو الموجه الأساس لكل هدف من أهداف التواصل، مما يترتب عن ذلك أن كل خطاب موجه إلى الطرف الآخر " ويهدف إلى الإقناع، يكون له بالضرورة بعد حجاجي " ⁴²، وعلى هذا الأساس فإن الحجاج " جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة

40- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2003، ص120.

41- حبيب أعراب، " الحجاج والاستدلال الحجاجي "، ص100.

42- الحواس مسعودي، " البنية الحجاجية في القرآن الكريم (سورة النحل نموذجاً) "، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ديسمبر 1997، عدد 12، ص330.

بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيًا، قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية⁴³.

إن القضية أو الفرضية الخلافية التي تكون بين طرفي الخطاب، هي المحور الرئيس الذي تدور حوله العملية التخاطبية، فحضور الحجاج داخل الخطاب راجع إلى دور المرسل إليه في قبول أو رفض ما يوجهه إليه المرسل، وإذا ما تعلق الأمر بنقل المدركات والمعلومات الحقيقية التي يمكن أن تدرج ضمن البديهيات أو المسلّمات، فإن المرسل لا يميل إلى التبرير أو التدعيم، ولكن قد يجعل من تلك البديهيات أو المسلّمات قاعدة لتبرير دعواه. فالحجاج ينطلق مما هو بديهي ومعروف ولا خلاف فيه بين المرسل و المرسل إليه، لتبنى على منواله دعوات مقاصد المرسل، وبهذا فإن " الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء وسلوكات المخاطب أو المستمع، وذلك يجعل أي قول مدعم صالحاً أو مقبولاً كنتيجة، بمختلف الوسائل " ⁴⁴، وبخاصة المنطقية في ربط المسلّمات والبديهيات بالتبريرات والتدعيمات التي يستعملها المرسل أثناء حجاجه، بهدف استمالة وإقناع المرسل إليه، وهذه التبريرات والتدعيمات تمثل مجموع الأدلة التي يقدمها المرسل ل طرح رأيه أو دعواه، لتبنى على منوالها مقاصد الحجاج.

وتجدر الإشارة إلى أن الأدلة التي يقدمها المرسل أثناء حجاجه " ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي " ⁴⁵، فالنتائج المتوصل إليها من كل خطاب حجاجي ليست يقينية لا تقبل الشك أو الردّ، لأن المرسل إليه بإمكانه رفض هذا الحجاج، وحتى الردّ عليه (الحجاج العكسي). وهذا واحد من الفروق بين الحجاج والبرهان والاستنتاج؛ ففي الحجاج يُترك المجال للمرسل إليه " لاستخلاص النتائج

43- محمد العبد، " النص الحجاجي العربي"، ص44.

44- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص106.

45- المرجع نفسه، ص106.

وربط الأمور بعضها ببعض، على حسب مستواه ومدى استيعابه للحجج المستعملة من قبل المتكلم " ⁴⁶ ، وكذا المثزلة التي يملكها هذا المتكلم عنده، ومدى تعلق موضوع الحجاج به، وردود أفعاله الممكنة تجاه الأدلة والحجج المقدّمة إليه، لأن غاية الحجاج " ليست الصدق الدقيق ولا البرهنة القاطعة، وإنما هي الإفحام والإقناع " ⁴⁷ . أما البرهان والاستنتاج فإن نتائجهما في الغالب تأخذ صبغة الموضوعية التي توجب الإلزام، فهي أقرب إلى المنطق الرياضي الذي يسعى إلى اليقينية العلمية القطعية. وعلى هذا الأساس فغاية الحجاج الإقناع والاستمالة، أما البرهان والاستنتاج فغايتهما الإلزام والوجوب، علما أن الاستمالة في الحجاج تتحقق " باستدلال منطقي قابل للاختيار من قبل المتلقي، ليأتي اختياره اختيارا واعيا وعاقلا " ⁴⁸ ، هدفه إنساني يتمثل في " تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل " ⁴⁹ بالنسبة للمرسل إليه.

46- الحواس مسعودي، " البنية الحجاجية في القرآن الكريم "، ص330.

47- حبيب أعراب، " الحجاج والاستدلال الحجاجي "، ص127.

48- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص109.

49- المرجع نفسه، ص110.

2 - مفهوم الإقناع وعلاقته بالحجاج:

من مقاصد الخطاب الحجاجي التأثير في متلقيه، واستمالة إلى فعل معين، انطلاقاً من القضية الخلافية التي تكون بين المرسل والمرسل إليه، لذا يعدّ الإقناع Persuasion ضرورة منهجية يتطلبها الحجاج، لأنه مرتبط بالسياق التخاطبي وبالمرسل إليه في الوقت ذاته، فهو محاولة واعية من المرسل التأثير في المرسل إليه، انطلاقاً من الاستراتيجية التخاطبية الحجاجية المعتمدة.

علماً أنه يمكن الفصل بين الحجاج والإقناع، لأن "النص الخطابي نص إقناعي، ولكنه ليس نصاً حجاجياً"⁵⁰، وهذا يعني أن كل خطاب حجاجي هو إقناعي بالضرورة، ولا يمكن أن يكون العكس، فكل خطاب إقناعي لا يمكن اعتباره خطاباً حجاجياً، وسبب ذلك راجع إلى ارتباط الإقناع بأنواع أخرى من الخطابات، منها الخطاب السردّي والخطاب الوصفي.

إن الإقناع آلية معتمدة في كل خطاب، لأن المرسل "إنما يريد في كل الأحوال أن يقول شيئاً ما ويحرص على ألا يقول ما لم يقل، أو يفهم منه ما لا يريد قوله، لأنه يعلم علم اليقين أنه متى تمّ الأمر على النحو الذي لا يريد، فقدّ خطابه قدرته على الفعل والتأثير"⁵¹، مما يعني أن الإقناع عملية كلامية وآلية منهجية تستهدف التأثير العقلي والعاطفي في المرسل إليه، لاستمالاته لفعل معين، ويتحقق هذا باعتماد البراهين والأدلة والحجج التي تتلاءم مع سياق الخطاب ومع طبيعة المرسل إليه. فيتحقق بالتالي اقتناعه بمقاصد المرسل، لأن الاقتناع مرتبط بهذا المرسل إليه، وهو فعل الأثر الناجم عن عملية الإقناع. وبين الإقناع والاقتناع ينشأ انسجام بين الرغبة الذاتية للمرسل وبين الإمكانيات المتاحة والمتوفرة لتحقيق المقاصد،

50- محمد العبد، "النص الحجاجي العربي"، ص45.

51- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط01، 2008، ص87.

لأن غاية الوظيفة الحجاجية هي " حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"⁵². وهذا ما يجعل الإقناع جهدا لسانيا اتصاليا مؤسسا على مقاصد محضرة مسبقا، تعتمد مخططا يهدف استمالة المرسل إليه والتأثير فيه تبعا للسياق المحيط بالخطاب الحجاجي.

ومن أجل تحقيق الفعل الإنجازي من عملية الإقناع، كان من الضروري توفر كفاءة إقناعية

و Competence Persuative لدى المرسل، وهي ناشئة من مهارات يمتلكها هذا المرسل، وأهمها:

- 1 - مهارة التحليل والابتكار.
- 2 - مهارة التعبير والعرض المنظم للأفكار.
- 3 - مهارة الضبط الانفعالي.
- 4 - مهارة فهم دوافع نقد الآخر.

وغياب هذه المهارات يؤثر سلبا في قدرة المرسل على إقناع المرسل إليه، كما يؤثر أيضا في مدى اقتناع المرسل إليه بمقاصد الحجاج، وقد تصدر عنه ردود أفعال عكسية لم تكن في حساب المرسل، وهذا ما يؤدي إلى نتائج غير مرجوة من العملية الحجاجية أثناء التواصل. لذا فإن المرسل مطالب بامتلاك هذه الكفاءة الإقناعية وما تتطلبه من مهارات، إضافة إلى ذلك وجود تهئية نفسية وسياقية مسبقة للمرسل إليه كي يتقبل الحجج والأدلة التي تقضي إلى النتائج المرجوة، وتتطلب هذه التهئية جملة من الضوابط هي:

- 1- خلو المضمون الحجاجي من المغالطات الوصفية.
- 2- التدرج في بناء الحجج قياسا بسياق التواصل.
- 3- ربط المحتوى بالسياق الثقافي والاجتماعي، وعدم تناقضه وتعارضه مع قيم ومعتقدات المرسل إليه.

52- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيتة وأساليبه، ص 21.

4- تحديد الأهداف والمقاصد المرجوة مسبقا.

5- احتواء المضمون الحجاجي الرأي والرأي المضاد لتوفير مجال الحرية الفكرية لدى المرسل إليه.

إن الاستمالة في الحجاج " تحقق باستدلال منطقي قابل للاختبار من قبل المتلقي، ليأتي اختياره

اختيارا واعيا وعاقلا " ⁵³، هدفه إنساني يتمثل في " تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل

"⁵⁴ بالنسبة لمتلقي الحجاج. وعلى هذا الأساس فإن ارتباط العملية الإقناعية بالحجاج مرده إلى الوظيفة

الحجاجية وإلى مقاصد المرسل من وراء كل خطاب حجاجي، غايته في ذلك التأثير في المرسل إليه ودفعه

لإنجاز فعل معين في سياقات استعمال متعدّدة، يبرزها الجدول الآتي ⁵⁵:

نمط الحوار	الوضع الأولي	الطريقة المتبعة	الهدف من الحجاج
مشاجرة	هياج انفعالي	هجوم شخصي	التعدي على الآخر
مناظرة	صراع جدلي	التأثير في المتلقي(الحكم)	انتصار عملي
الإقناع (مناقشة نقدية)	اختلاف وجهات النظر	إثبات داخلي وآخر خارجي	إقناع الآخر
التحقيق	افتقاد دليل	حجاج مبني على معرفة سابقة	تكوين دليل
مفاوضة	اختلاف المصالح	المساومة	مكسب شخصي
استقصاء معلومات	افتقاد معلومات	الاستفهام	الحصول على المعلومات
الحث على فعل أو سلوك	الحاجة إلى ذلك الفعل أو السلوك	إصدار أوامر	الفعل أو السلوك
تعليمي	الجهل	التعليم	نقل المعرفة

53- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص109.

54- المرجع نفسه، ص110.

55- نقلا عن: المرجع نفسه، من: ص 111 إلى 114.

ويتحقق الهدف من الحجاج بواسطة وسائل وتقنيات تتعلق في مجملها بمقاصد الخطاب الحجاجي، وبأهداف المرسل ودور المرسل إليه تجاه هذه الأهداف، وكذا باللغة التخاطبية المدرجة ضمن الخطاب الحجاجي، لأن " الحجاج في النهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الايجابي، والتحامها مع الطرح المقدم، وإذا لم توضع هذه الأمور في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير" ⁵⁶.

وخلاصة القول إن الحجاج والإقناع متلازمان، إلا أن الفاصل بينهما يكمن في طبيعة نتائجهما؛ فالحجاج هو محاولة المرسل إقناع المرسل إليه، أما الإقناع فهو محاولة المرسل إقناع نفسه بما يعتقد، لينقله إلى المرسل إليه ويثبتته في ذهنه أو معتقده أو سلوكه. ويتأتى ذلك من خلال اللغة التخاطبية المدرجة، لأن "اللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة؛ فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما، تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث" ⁵⁷، فلغة الحجاج لا ترمي إلى إثارة المشاعر والانفعالات لدى المرسل إليه، وإنما تسهم في تقديم الحجج والأدلة، وفق منهج منطقي يستميل ذلك المرسل إليه ويجعله فاعلا موجهاً في بناء استراتيجية الحجاج، بوصفه " عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم" ⁵⁸ في مختلف المواقف التواصلية.

56- Chaim. Perelman, Traité de L'Argumentation, P18.

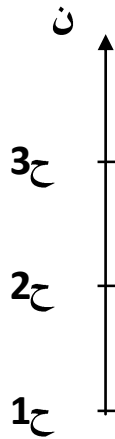
57- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص118.

58- المرجع نفسه، ص105.

3 - السلام الحجاجية:

3-1- مفهوم السلم الحجاجي وقوانينه:

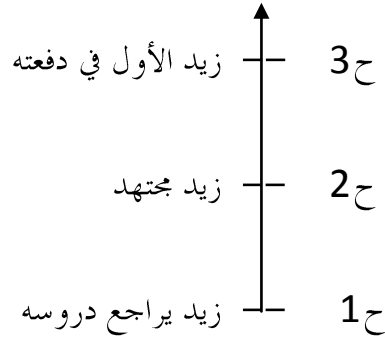
يرتكز مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرّج في استعمال وتوجيه الحجج والأدلة، لأن الحجاج بوصفه استراتيجية لغوية لا يرتبط بالمضمون وما يحيل إليه من مرجع، وإنما يرتبط أيضا بقوة وضعف الحجج ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب. فالمرسل ينظّم حججه أثناء التواصل وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة، منها مرتبة المرسل وطبيعة المرسل إليه، والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي، لهذا يمكن القول إن " السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج"⁵⁹، وتتجسّد وفق الشكل الآتي:



وترمز (ن) إلى النتيجة المقصودة من الحجاج، أما (1ح، 2ح، 3ح) فترمز إلى الحجج المعتمدة أثناء التخاطب لفضي إلى النتيجة (ن). وهذا مثال توضيحي لذلك:

59- حمو النقاري، التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006، ص59.

النتيجة (ن) = زيد ناجح



فمن خلال هذا المثال نجد تدرّجاً وترتيباً في استعمال الحجج (ح 1، ح2، ح3) في منحنى تصاعدي يؤدي إلى النتيجة (ن) ضمن سلم حجاجي.

ويعدّ السلم الحجاجي " مجموعة غير فارغة من القولات، مزوّدة بعلاقة ترتيبية " ⁶⁰ تخضع لشرطين

أساسيين هما:

1-الشرط الأول: كل قول (حجة) يرد في درجة ما من السلم الحجاجي يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة للنتيجة (ن) . ففي المثال السابق نجد أن قوة الدليل تزداد كلما تصاعد ترتيب الحجج، فالحجة (زيد يراجع دروسه) تعلوها حجة (زيد مجتهد) وهي أقوى من السابقة، فالاجتهاد أقوى وأبلغ من مراجعة الدروس. وكذلك حجة (زيد الأول في دفعته) هي أقوى من الحججتين السابقتين، فاستحقاق زيد للترتبة الأولى في دفعته ابلغ من الاجتهاد ومن مراجعة الدروس.

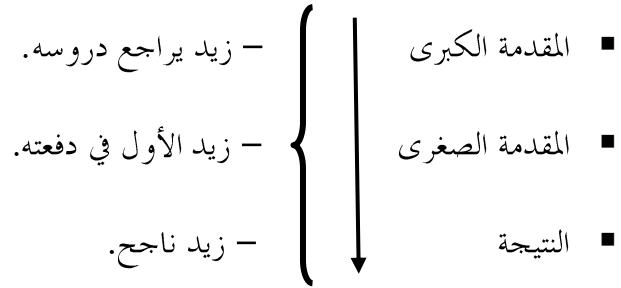
2-الشرط الثاني: إذا كانت الحجة (ح1) رفضي إلى النتيجة (ن) " فهذا يستلزم أن الحجة (ح2) أو (ح3) التي تعلو درجة تؤدي إلى نتيجة (ن)، والعكس غير صحيح " ⁶¹ . واعتماداً على المثال السابق فلإن كانت

60- رضوان الرقي، " الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله "، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر - ديسمبر 2011، عدد 02، مجلد 40، ص 93.

61- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 60.

الحجة (ح1) (زيد يراجع دروسه) بفضي إلى نتيجة مفادها أن (زيدا ناجح)، فإذ الحجة (ح2 أو ح3) (زيد مجتهد أو زيد الأول في دفعته)، وهما تعلقان (ح1)، تؤدبان بالضرورة إلى النتيجة ذاتها (زيد ناجح).

وتنطلق نظرية السلم الحجاجي من " إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة ونتيجته "62، وهذا التلازم يفرض ربط الحجة المستعملة بالنتيجة المقصودة، سواء كانت هذه النتيجة صريحة أو ضمنية تلمس من سياق الخطاب. ويتم هذا الربط بين الحجج والنتيجة بواسطة قاعدة استدلالية، تركز على قياس منطقي يتألف من مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ونتيجة، لأن القياس المنطقي هو " أحد طرق الاستدلال غير المباشرة وأقومها إنتاجا "63 في الربط بين الحجج والنتيجة المقصودة من باب المنطق والدلالة . وهذا المثال يوضح ذلك الربط:



وعليه فإن المرسل في الخطاب الحجاجي يقصد إقناع المرسل لفعل معين أو التأثير فيه اعتمادا على سلم حجاجي يكون " بمثلة دعامة استدلالية لغرضه الذي من أجله كانت العملية التخاطبية، والحجج التي يوردها لن تكون على درجة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوة والضعف "64 . ففي المثال السابق نجد أن الحجة (زيد يراجع دروسه) لا تعني بالضرورة أن (زيدا ناجح) دوما، إلا أن الحجة (زيد الأول في

62- رضوان الرقي، " الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله "، ص93.

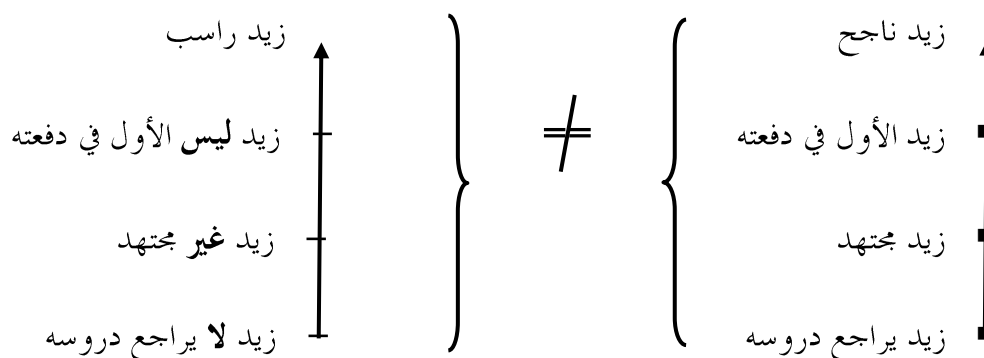
63- عبد الرحمان حسن حنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط06، 2002، ص227.

64- رضوان الرقي، " الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله "، ص95.

دفعته) تزيد من قوة الحجة الأولى (زيد يراجع دروسه) على اعتبار أنها جاءت موالية لها، وبالتالي توصل إلى النتيجة المقصودة (زيد ناجح).

وتجدر الإشارة إلى أن السلم الحجاجي يتأسس وفق ثلاثة قوانين، عدّها ديكرود Ducrot بمثابة القواعد التديمية في بناء السلام الحجاجية، وهذه القوانين هي:

1- قانون النفي: " إذا كان قول ما (أ) مستخدماً من قبل متكلم ما، ليقدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي -أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة " ⁶⁵؛ بمعنى أن نفي الحجج المستعملة في سلم حجاجي ما ، يؤدي بالضرورة إلى عكس النتيجة المتوصل إليها في ذلك السلم الحجاجي، ويمكن التمثيل لذلك وفق هذا المثال:

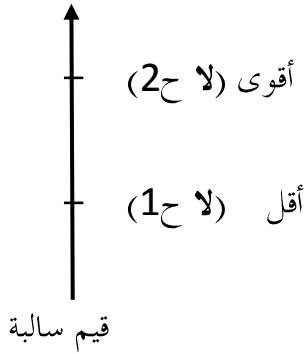


2- قانون القلب: وبعدّ مضمّن القانون السابق، ومفاده " أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية " ⁶⁶، يأخذ هذا القانون الشكل الآتي:

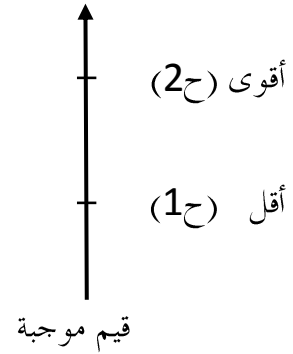
65- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص60.

66- المرجع نفسه، ص61.

(لا ن) نتيجة النفي



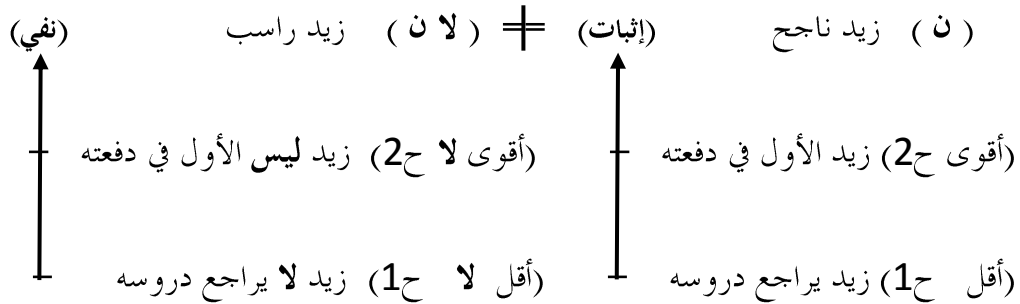
(ن) نتيجة الإثبات



علما أن (لا) تمثل مجال نفي الحجج المستعملة للوصول إلى النتيجة، فالحجة (ح2) أقوى من الحجة

(ح1) في نتيجة الإثبات (ن)، وهذا يستلزم بالضرورة أن تكون الحجة (لا ح2) أقوى من الحجة (لا ح1)

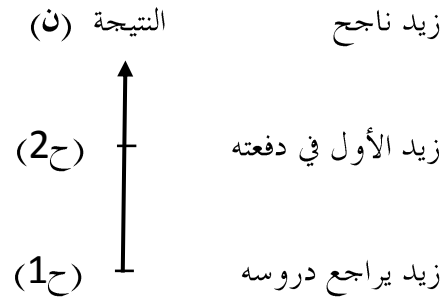
في نتيجة النفي (لا ن). وبالعودة للمثال السابق يج الباحث:



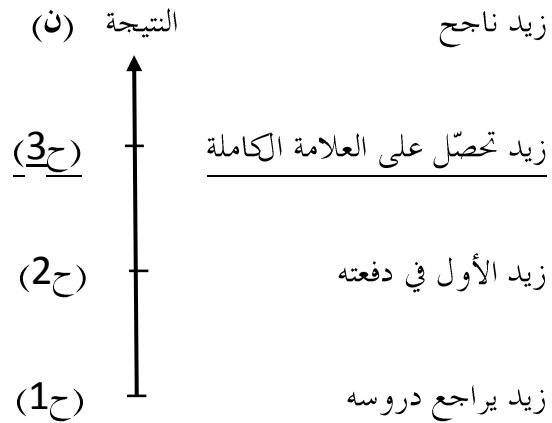
فالحجة (زيد الأول في دفعته) أقوى من الحجة (زيد يراجع دروسه) في حال الإثبات، مما استلزم أن الحجة

(زيد ليس الأول في دفعته) أقوى من الحجة (زيد لا يراجع دروسه) في حال النفي.

3- قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنه " إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها " ⁶⁷؛ بمعنى أن المرسل يمكنه تغيير تراتبية الحجج في السلم اعتماداً على معطيات تؤثر في العملية الحجاجية، مثل استعمال حجج جديدة مقابل الحجج السابقة، تبعاً لقوتها أو ضعفها في إيصال النتيجة المرجوة. ولتوضيح ذلك يعمد الباحث إلى المثال السابق:



فلو أضفنا حجة ثالثة (ح3) مفادها (زيد تحصيل على العلامة الكاملة)، يصبح عندها الحجاج أقوى والنتيجة أبلغ، وهذا وفق الشكل الآتي:



67- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.

3-2- السلم الحجاجي وقوانين الخطاب:

إن السلم الحجاجي في الخطاب يعتمد على مبدأ التدرّج وعلى العلاقة التراتبية بين الحجج، دون إهمال قوتها أو ضعفها، غايته في ذلك الوصول إلى النتائج، لتحقيق الأثر المرجو في المرسل إليه، سواء كانت هذه النتائج صريحة أو ضمنية. ولهذا يجب الباحث تقابلاً بين هذه الحجج المستعملة في الحجاج من ج انبي المنطق والدلالة، وهذا التباطؤ يتحقق في سياق الاستعمال من خلال خضوع هذه الحجج إلى قوانين الخطاب التي تضمن إلى حدّ ما استمرارية الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه.

إن الخطاب عموماً ينتظم داخل مجموعة من المبادئ والقواعد التي وضعها جرايس Graise قياساً بما يعرضه المرسل وما يقصده دون التصريح به، وبالنظر إلى طبيعة المشافهة التي يتّخذها الخطاب في سياق تواصله يظهر جانب الحوار بين المرسل والمرسل إليه، هذا الحوار تنظّمه تلك القواعد التي تهدف إلى " تمكين المتكلم من صياغة أقواله التي تمنعه بعض الأحوال من التصريح بها، أو أن يرغب في صياغتها على نمط يكون أكثر، إبلاغاً وأحسن تأدية وأكثر إقناعاً"⁶⁸. وتجدر الإشارة هنا إلى أن جرايس قد سمّاها (أحكام المحادثة)، ثمّ أعاد ديكرو Ducrot صياغتها تحت اسم (قوانين الخطاب). وهي " مجموعة من القوانين المكتملة للقواعد التركيبية الدلالية "⁶⁹، تتحكم في عملية تبادل الأدوار الكلامية بين المرسل والمرسل إليه، انطلاقاً من القدرات الذهنية الاستنتاجية للإنسان، ومرتبة المرسل ومقاصده التبليغية، وكفاءة المرسل إليه في إدراك ما لم يصرح به المرسل. كما تكفل هذه القوانين استمرارية الخطاب بين الطرفين أثناء التواصل، من خلال تبادل

68- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 99.

69- المرجع نفسه، ص 99.

الأدوار الكلامية بينهما، وإذا كان للطرفين " فائدة في ممارستهما الكلام، فإن كل طرف منهما سيجني ثمار ذلك، إذا تحقق التبادل، وعكس ذلك مآله الفشل"⁷⁰. وتتمثل هذه القوانين أو أحكام المحادثة⁷¹ فيما يلي:

1- حكم المناسبة Relation أو قانون الإفادة Loi de Pertinence: ويتحرى من خلاله المرسل تلاؤم موضوعه مع السياق المحيط بالخطاب الذي يجمعه مع المرسل إليه.

2- حكم الصدق Qualité أو قانون الصدق Loi de Sincérité: ويسعى فيه المرسل أن يكون صادقا فيما يخبر به أمام المرسل إليه.

3- حكم الكمية Quantité أو قانون الإخبارية Loi d'Informativité: ويتطلب من المرسل أن يكون أكثر إخبارا للمرسل إليه، بإعطائه القدر الكافي واللازم من المعلومات أثناء الخطاب والتخاطب.

4- حكم الطريقة Manière أو قانون الشمولية Loi d'Exhaustivité: ويتطلب من المرسل الوضوح وترتيب أجزاء الكلام والإيجاز، مع الابتعاد عن الغموض أثناء التخاطب.

إن هذه الأحكام أو القوانين مجتمعة ومتضافرة تحقق الغاية من الخطاب ، وبخاصة في الخطاب الحجاجي؛ إذ تساعد على ترتيب الحجج و على ارتباطها بعضها ببعض وفق المنوال الذي يهدف إلى إقناع المرسل إليه والتأثير فيه، من خلال النتائج الحجاجية الصريحة أو الضمنية. وانطلاقا من النتائج الحجاجية الضمنية وغير المصرّح بها يبرز مفهوم تداولي متعلق بالخطاب وب آليات تلميسه هو متمثل فيما يعرف بمضمّنات القول Les Implicites، وهو مفهوم تداولي يرتبط " بجوانب ضمنية وخفية من قوانين

70- C. K. Orecchioni, L'Implicite, Armand Colin, Paris, 1986, P197.

71- ينظر : روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 1998، ص 495 و 496.

الخطاب "72، تتحكم فيها السياقات المختلفة للخطاب . وتقوم متضمنات القول على أساس استنتاجات ذهنية لدى أطراف الخطاب، والاستنتاج هو " قضية ضمنية ، بإمكاننا أن نستنبطها من القول ونستنتج محتواها الجاني بتركيب معلومات ذات أوضاع مختلفة "73، تتعلق بالبني اللغوية وبسياق الخطاب. وتتجسد متضمنات القول بوصفها مفهوما تداوليا في مظهرين اثنين هما:

1- الافتراض المسبق Présupposition:

وهذا المظهر له طبيعة لسانية أثناء التواصل، ويمثل مجموعة من المعطيات والافتراضات التي تشكل خلفيات مشتركة في قول (أو أقوال) طرفي الخطاب، فهو "العنصر الدلالي الخاص بهذا القول "74، ويظهر في نشاط تواصل من خلال العلامات اللغوية التي يتضمنها ذلك القول. ومثال ذلك الخطاب التالي:

✓ افتح الباب.

ففي هذا الخطاب يفترض مسبقا أن يكون الباب مغلقا أصلا، وتلفظ المرسل بهذا الأمر يستدعي من المرسل إليه كفاية وقدرة على الاستنباط والاستنتاج لما كان عليه الحال قبل الخطاب.

2- القول المضمّر Sous-entendu:

ويرتبط هذا المظهر بوضعية الخطاب وبسياقه وبالأحوال المصاحبة له، فهو على عكس المظهر السابق الذي يمثل معطيات لغوية دلالية يتضمنها القول . فالقول المضمّر هو " كل المعلومات التي يحتويها الخطاب، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث "75. ويقوم القول المضمّر على مجموعة من الاستنتاجات، يتولاها المرسل إليه بالاعتماد على الأحوال المصاحبة لسياق التخاطب، وعلى قدرة وكفاءة

72- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2005، ص30.

73- C. K. Orecchioni, L'Implicité, P24.

74- O. Ducrot, Dire et ne pas Dire, Hermann, Paris, 1980, P81.

75- C. K. Orecchioni, L'Implicité, P39.

المرسل في إبرازها. ولتوضيح هذا المظهر يكرر الباحث الخطاب التالي: (إن السماء ممطرة)، فالمرسل إليه يضع في حسبانته أن المرسل يطلب منه أن يبقى في البيت، أو أن يسرع لقضاء حاجاته قبل فوات الأوان، أو أن يحمل مظلته، أو أن يتريث حتى يصحو الجو.

فالتأويلات والاستنتاجات في ذلك السياق التواصلي، متعددة ومختلفة تعود إلى السياق المحيط بذلك الخطاب، وإلى دور المرسل إليه في هذا الاستنتاج الذي " يتم انطلاقاً من الملكة البلاغية التداولية الموسوعية والمنطقية⁷⁶ لهذا المرسل إليه.

وما يمكن للباحث أن يستخلصه في هذا الصدد مما تعلق بالخطاب الحجاجي وبناء السلام الحجاجية، أن قوانين الخطاب ومتضمنات القول تعكس رغبة المرسل في استمرار خطابه، وتؤسس لاستنتاج النتائج الحجاجية من المرسل إليه، باعتماده على قدرته وكفايته الذهنية وإمامه بمعطيات الحجاج وبسياقه التواصلي، وبخاصة إذا كانت تلك النتائج الحجاجية ضمنية غير مصرّح بها، وهذا ما يستلزم من المرسل ترتيب حججه وفق معطيات تلك القوانين التخاطبية.

4- بنية الحجاج:

4-1- مكونات الحجاج:

يتأسس الخطاب الحجاجي في شكله العام من مكونات أساسية⁷⁷ هي:

1- الدعوى: تمثل نتيجة الحجاج، وهي مقصد المرسل من حجاجه، وغايته في ذلك التأثير في المرسل إليه واستمالاته لفعل معين لقبول التصورات والمدركات، سواء بعرض هذه الدعوى بطريقة صريحة أو ضمنية يستنتجها المرسل إليه، بالاعتماد على كفايته وقدرته الذهنية الاستنتاجية، دون إهمال ملاسبات السياق المحيط بالخطاب.

2- المقدمات: تمثل معطيات الحجاج، وهي مجموعة المسلمات والبديهيات والوقائع والحقائق والافتراضات والقيم التي يؤسس المرسل على منوالها حجاجه، وترتبط هذه المقدمات بالتناج ارتباطها منطقيًا ودلاليًا.

3- التبرير: يمثل بيان البرهنة على مدى تطابق وصلاحيّة المقدمات المعروضة للنتيجة الحجاجية المرجوة؛ فمتى كانت المقدمات أقرب إلى الصدق كانت النتائج أكثر تسليمًا وإقناعًا للمرسل إليه، مع العلم أنّها غير ملزمة له.

4- الدعامة: وهي جوهر الحجاج، إذ تمثل مجموع الأدلة والحجج والشواهد التي يستعملها المرسل لبناء حجاجه، من أجل تقوية النتيجة ودفع المرسل إليه إلى تقبلها والاقتران بها.

5- مؤشر الحال: يرتبط بمجموع التغيرات اللغوية التي تظهر مدى قابلية النتيجة الحجاجية للتطبيق عمليًا،

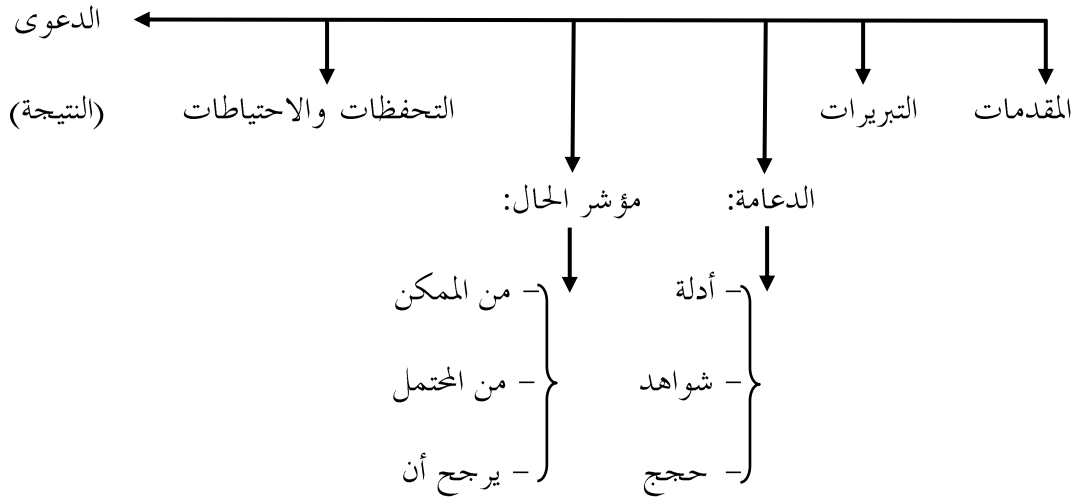
نحو: من الممكن، من المحتمل، يرجح أن ..

77- نقلا عن: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 122 و 123.

و محمد العبد، "النص الحجاجي العربي"، ص 44 و 45.

6- التحفظات والاحتياطات: وهي الاحتمالات والاحترازاات التي يضعها المرسل في حسبانها أثناء المحاججة لتقدير ردود الأفعال الممكنة للمرسل إليه تجاه النتائج المقصودة.

وعلى هذا الأساس يمكن للباحث تمثيل مكونات الحجاج وفق الشكل التالي:



علما أن العلاقة بين هذه المكونات تكون علاقة منطقية استنتاجية، تعتمد القياس المنطقي في الحكم

على المقدمات والدعمامة (الحجج) ومدى صلاحيتها للحجاج، أكثر من الحكم على النتيجة من حيث الصحة أو الخطأ. ولهذا فإن " انتقاء المقدمات ضروري وأساسي في عملية الحجاج، إذ لا بد للمحتج لفكرة أو موقف أن يكيّف مقدماته مع أهداف خطابه، فيكون الانسجام والتناغم المقنع⁷⁸ الذي يؤدي إلى إقناع المرسل إليه واستمالاته والتأثير فيه، وهو ما يجعل المرسل يختار وينتقي المقدمات تبعا لطبيعة المرسل إليه ومدى تلاؤمها مع السياق المحيط بالخطاب الحجاجي، إضافة إلى ذلك فإن المرسل أثناء حجاجه يجعل من المقدمات المنتقاة أرضية تؤسس لبناء واستعمال الحجج، لأن " انتقاء العناصر من شأنه أن يعكس أهميتها في الخطاب ويمنحها حضورا يعدّ عاملا أساسيا في الحجاج⁷⁹ .

78- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيتها وأساليبه، ص 185 و 186.

79- المرجع نفسه، ص 186.

4-2 - أنواع الحجج:

يشير الباحث في هذا المبحث إلى أنه سيعتمد على تقسيم وتصنيف الحجج وفقاً لما ذهب إليه الكثير من الباحثين والدارسين في هذا المجال، باعتمادهم على رؤية كل من (بيرلمان) و (تيتيكاه) في كتابهما الموسوم بـ: (مصنف في الحجج الخطابية الجديدة)، وهذا على اعتبار أن ذلك التقسيم أقرب إلى المنطق والشمولية في تصنيف الحجج، كما يقدم الفروقات بينها ويحدد المنطلقات التأسيسية لهذه الحجج أثناء بناء الحجج. علماً أن ذلك التصنيف يدرج الحجج في ثلاث مجموعات كبرى تتجزأ بدورها إلى أنواع فرعية من الحجج، وسيعرضها الباحث هنا بالتفصيل من جانبها النظري، أما الجانب التطبيقي العملي لها فسيجسده الباحث حين تطرقه إلى مدونة هذه الدراسة فيما سيلي من فصول. وهذا بيان أنواع الحجج وفق الرؤية المذكورة آنفاً:

4-2-1- الحجج شبه المنطقية:

وهي حجج تقبل الصياغة المنطقية، وعدت شبه منطقية لأنها لا تلزم المرسل إليه بدعوى ونتيجة الحجج، على عكس الحجج المنطقية التي تجبر المرسل إليه على تقبل النتيجة، وتستمد " الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من مشابقتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة " ⁸⁰ ، وهذا ما يمنحها مظهراً برهانياً، وقالبا منطقياً شكلياً، تُجمع فيه " المعطيات وتكيف، فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم، فما يميّزها إذن حقيقتها اللاشكالية التي تجتهد في أن تكون شكلية أو تعدل وتبدل لتكون كذلك " ⁸¹ ، لأن هذه الحجج شبه المنطقية تعتمد على البنى المنطقية، مثل التناقض والتماثل والتعددية، كما تعتمد أيضاً على

80- عبد الله صولة، " الحجج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجج - الخطابية الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه"، كتاب أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، مجلد XXXIX، ص325.
81- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم، ص191.

العلاقات الرياضية، مثل علاقة الجزء بالكل وعلاقة الاحتمال. ولهذا تنقسم الحجج شبه المنطقية إلى قسمين أساسيين هما:

4-2-1-1- الحجاج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

يتأسس هذا القسم من الحجج على أشكال منطقية هي:

4-2-1-1- أ - التناقض وعدم الاتفاق *Incompatibilité*:

المقصود بالتناقض هو " أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها"⁸²، ويُعتمد هذا النوع من الحجج في الخطاب الحجاجي من أجل إبراز قضيتين متناقضتين إحداهما صحيحة والأخرى خاطئة، لدفع المرسل إليه إلى الميل للصحيحة، وبالتالي يصل إلى النتيجة المرجوة من الحجاج، فيتحقق بذلك مبدأ الاستمالة والإقناع.

ومثال ذلك الآتي: المسألة سهلة ولا يوجد لها حل.

فالمرسل في هذا السياق يريد مثلاً أن يدفع المرسل إليه إلى إيجاد حل من باب التحدي واستفزاز ملكاته الذهنية، مع العلم أن المرسل يركّز على الجزء الأول من الحجّة (المسألة سهلة)، فيضع المرسل إليه بين أمرين متناقضين وهو يقصد الأول منهما، فينعكس على المرسل إليه في تقبل الأول، وينجز ما يرمي إليه المرسل.

4-2-1-1- ب - التماثل والحدّ في الحجاج *L'Identité*: يعتمد هذا النوع من الحجج على " تعريف

المفاهيم أو الأشياء أو الأحداث والوقائع، ولكن ما يقدمه من تعريفات لا تنتمي البتّة إلى نظام شكلي، بل

82- عبد الله صولة، " الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته "، ص325.

تدعي قيامها بدور الضبط والتحديد رغم افتقارها إلى الدقة والوضوح " ⁸³ . فالمرسل يقصد الاستعانة بالتعريفات وضبط الحدود في طريقتها الشكلية لتقويم المفاهيم تقويماً إيجابياً أو سلبياً في ذهن المرسل إليه، ودفعه إلى إعمال الفكر فيما يُعرض عليه لتقبله أو رده، تبعاً للقيمة الدلالية لتلك التعريفات من باب تحصيل الحاصل. ومثال ذلك: المرأة هي المرأة. فهذا التعريف يفتقر إلى الدقة والوضوح، فقد يفهم المرسل إليه أن المرأة بما تحمله من اعوجاج وتسلط على الرجل، أو يفهم أن المقصود بالمرأة هي ذلك الكيان المستقل برأيه وله صولة وجولة في الحياة.

4-2-1-1-ج - الحجّة القائمة على العلاقة التبادلية **Réciprocité**: تقوم علاقة التبادل على قاعدة التعامل

مع المتماثلين من باب العدل بينهما، برّدهما إلى صنف واحد وبكيفية واحدة. وترتكز حجج هذا النوع على " معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة" ⁸⁴ ، وتقتصر معاملة الوضعيتين المتماثلتين على ملفوظ واحد، يعرضه المرسل أثناء حجاجه لغاية جعل المرسل إليه بين أمرين يشدان انتباهه وذهنه، ويوجهانه إلى المقصود من الكلام تبعاً للسياق المحيط به.

ومثال ذلك في الاستفهام الآتي: هل الأمر سهل عليكم صعب علينا؟

فالمرسل هنا يقصد إقامة العدل بين أمرين متماثلين من خلال حجج عكسية متقابلة.

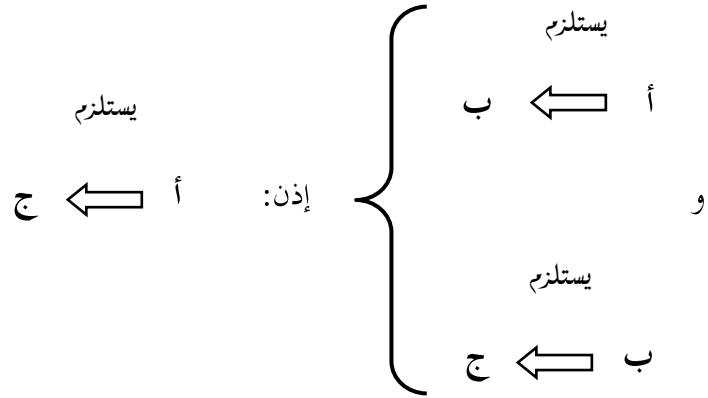
4-2-1-1-د - حجة التعدية **Transitivité**: إن التعدية نوع من البنى المنطقية الشكلية تقوم على أساس

علاقة معينة بين أطراف متعددة، وتعتمد مبدأ الاستنتاج في الانتقال من طرف إلى آخر، فهي خاصية "تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمرّ من إثبات أن العلاقة موجودة بين (أ) و (ب) من

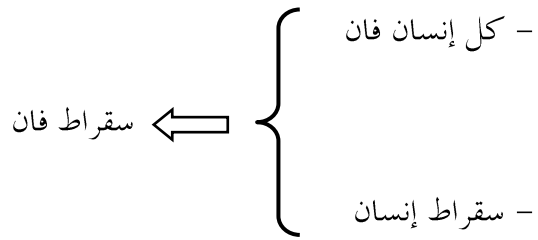
83- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص200.

84- عبد الله صولة، " الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته "، ص328.

ناحية، وبين (ب) و (ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة، وإلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و (ج) ⁸⁵، وبالتالي تتخذ هذه الحجة شكلا رياضيا يقوم على أطراف وعلاقة مساواة أو تفوق أو تضمّن أو استلزام بين هذه الأطراف على النحو التالي:



ولتوضيح هذه المسألة يدرج الباحث المثال الفلسفي الشهير:



4-2-1-2-4- الحجاج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية: يتأسس هذا القسم من الحجج شبه المنطقية

على مبادئ وقواعد رياضية تعتمد على الاستدلال والاستنتاج للوصول إلى النتائج المقصودة، وهي تنفرع إلى فرعين هما:

4-2-4-2-4- أ - حجة الاشتمال (إدماج الجزء في الكل) **Inclusion**: تقوم هذه الحجة في جوهرها على مبدأ

أن ما ينطبق على الكل فهو بالضرورة ينطبق على الجزء، لأنه في حقيقته "رؤية كميّة، فالكل يتضمن

85- عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته"، ص329.

الجزء، من ثمة فهو أهم بكثير من الجزء، ولذلك أيضا تعدّ قيمة الجزء مناسبة لما تمثله بالنسبة إلى الكل " 86 .
لهذا فإن هذا النوع من الحجج يقوم على قاعدة رياضية تهتم بالكم وتقسّم الكل إلى أجزائه المكوّنة له،
والحكم العام مختصّ بهذا الكل لينسحب بعدها على الأجزاء المكوّنة له. وفي الحجج تعكس هذه الحجة
رغبة المرسل في استدراج المرسل إليه إلى مقصود بحدّ ذاته، انطلاقاً من اتفاق مسبق حول قضية كلية لا
تعارض فيها بينهما، ومن ثمة ينسحب ذلك الاتفاق إلى الأجزاء المقصودة لإقناع المرسل إليه.
ومثال ذلك تلك القاعدة الفقهية المعتمدة في تحريم الخمر (ما أسكر كثيره فقليله حرام)، فالحكم العام كان
بتحريم الخمر انطلاقاً من الإكثار منه، ليستنتج تحريمه أيضاً وإن قلّ شربه.

4-2-4-2-ب - حجة الاحتمال Probable:

يتأسس هذا النوع من الحجج على " حظوظ المرء في تحقيق أمر ما أو إنجاز حدث معين أو اتخاذ
موقف محدد، وخلفيته واضحة إنها الإيمان بأن المطلق نادر، وأن الأمر لا يعدو أن يكون في أغلب الحالات
محمّلاً " 87 . وتقوم هذه الحجة على مبدأ كمي إحصائي يستخدم الاستدلال للوصول إلى النتيجة المقصودة،
ويسعى فيه المرسل إلى إقناع المرسل إليه واستمالته عن طريق ترجيح الغالب من القضايا المدرجة في
الحجاج، وترك مجال الترجيح للمرسل إليه من خلال توظيف قدراته الذهنية الاستدلالية، مع مراعاة سياق
التواصل وهذا يربط الواقعي بالمتأمل من القضايا.
ولتوضيح هذا النوع من الحجج يسوق الباحث المثال الآتي: إن حكم الشخصين أصوب من حكم الفرد.

86- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم، ص211.

87- المرجع نفسه، ص213.

فالواقع قد ينفي هذه الحجّة، فقد يكون الفرد أعلم وأحكم من الشخصين المقصودين هنا، لكن من باب الاحتمال والترجيح في سياقات معيّنة تصبح الغلبة العددية أقرب إلى إثبات هذه الحجّة.

4-2-2- الحجاج المؤسّسة على بنية الواقع:

تمثل هذه الحجج المجموعة الثانية من أنواع الحجج، وهي لا تعتمد على البنى المنطقية الشكلية، وإنما تستخدمها للربط بين الأحكام المسلّم بها وبين مقاصد المرسل من خطابه، فهي تتأسّس على بنية الواقع قصد جعل "الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنتمي إلى كلّ واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر" ⁸⁸. فهذه الحجج تتأسّس على التجارب الواقعية وعلى العلاقات الحاضرة بين مكونات العالم الخارجي.

إن الحجج المؤسّسة على بنية الواقع تضمن أثناء الحجاج "تفسيرا للأحداث والوقائع وتوضيحا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشياؤه" ⁸⁹، فهي لا تصف هذا الواقع وصفا موضوعيا بل تعرض عناصر هذا الواقع بطريقة تجعل معطياته أقرب إلى التسليم والتصديق، ولهذا فإن الحجاج "يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انغرست مراجعه في الواقع وتزلّت عناصر فيما حدث وما يحدث" ⁹⁰. وتتمظهر هذه الحجج المؤسّسة على بنية الواقع في الخطاب الحجاجي في أشكال متنوعة منها:

88- عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته"، ص331.

89- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص214.

90- المرجع نفسه، ص214.

4-2-1- الحججة السببية Cause:

تعرف هذه الحججة بأنها " التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الايجابية أو السلبية"⁹¹، وتقوم على أساس تتابع وتسلسل الأحداث الواقعية التي يربط بينها رابط سببي يكون بين الحججة والنتيجة المقصودة، من أجل التأثير في المرسل إليه وتوجيهه إلى فعل معين، من خلال تثمين هذه النتيجة في ذهنه وجعلها مطابقة لحقائق الواقع، عن طريق استدلال حجاجي مباشر، يربط بين الحججة ثم النتيجة، أو بين النتيجة ثم الحججة، فينبني بذلك سلم الحجاج على أحد الوجوه التالية:

أ- حجاج يربط السبب بين حدثين متتابعين (حجة ونتيجة) مثل:

اجتهد ← فنجح

حجة ← نتيجة

ب- حجاج يربط بين وقوع حدث ما (نتيجة) وسبب حدوثه (حجة) مثل:

نجح ⇒ لأنه مجتهد

نتيجة ⇒ حجة

ج- حجاج يربط من باب الاحتمال بين حدث منجز (حجة) وبين ما يفضي إليه (نتيجة) مثل:

هو مجتهد ← لذا سينجح

حجة ← نتيجة

91- عبد الله صولة، " الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته "، ص333.

4-2-2-2- حجة التبذير **Gaspillage**:

يقوم هذا النوع من الحجج على العلاقة القائمة بين الوسيلة والغاية، وإن كانت الوسيلة " عند الكثيرين غاية في ذاتها نسعى إليها ونشدها، فيكون الحجاج تعديلاً للأمر وتأكيداً للفروق بين الوسائل والغايات"⁹². ففي سياقات تواصلية خاصة يسعى المرسل أثناء حججه إلى جعل النتيجة غاية ما يصبو إليه، متحججاً في ذلك بالضرورات التي تدفع إلى هذه النتيجة، مما يضع المرسل إليه في موقف التسليم بتلك الحجج، وإن تعارضت مع مبادئه وتوجهاته، ولكن حرص المرسل على النتيجة الحجاجية هو بمثابة الوسيلة الإقناعية لبلوغ غاية التأثير والاستمالة في المرسل إليه. ولتوضيح هذه المسألة يدرج الباحث المثال الآتي في سياق الوفاء بالعهد، ومن باب الغاية تبرر الوسيلة:

- (بما أنك قد تعهدت بالأمر رغم صعوبته، وخوفاً من إهدار ماء الوجه، وجب عليك الالتزام والوفاء به). فالأمر في هذا المثال لا يرتبط بالسبب وهو صعوبة تنفيذ العهد، بل يتعلق بالغاية وهي حفظ ماء الوجه، وهو ما يستوجب الاستمرارية والوفاء بالعهد.

4-2-2-3- حجة الاتجاه **Direction**:

وهي حجة " تمكّن من دفع أمور عديدة لا اعتراض عليها في ذاتها ورفض أطروحات لا خلل فيها، وإنما لأنها قد تؤدي بنا -إن طبقناها أو عملنا بها- إلى غاية لا نشدها وإلى نتيجة نتحاشى حدوثها"⁹³، لأن هذه الحجة في حقيقتها تدفع المرسل إليه إلى تغيير استنتاجاته تجنبا لما قد لا تحمد عقباه أو يؤلمه، من خلال تحذيره ليتغير اتجاه نتيجة السلم الحجاجي أثناء التواصل. علماً أن هذا التحذير يكون " من مغبة

92- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص223.

93- المرجع نفسه، ص225.

إتباع سياسة المراحل التنازلية، كقولنا إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تنازل أكثر في المرة القادمة، والله أعلم أين ستقف بك سياسة التنازل هذه؟" ⁹⁴. ففي هذا المثال يدفع المرسل المرسل إليه إلى تغيير استنتاجاته بعدم التنازل بداية، لأنه لو تمادى في هذا التنازل فإن عاقبته غير واردة في الحسبان.

4-2-2-4- حجة السلطة *Autorité*:

تقوم هذه الحجة على ما يستند إليه المرسل في إثبات صحة دعواه أمام المرسل إليه، وتتعدد مظاهرها فقد تكون " الإجماع أو الرأي العام أو العلماء أو الفلاسفة أو الكهنة أو الأنبياء، وقد تكون هذه السلطة غير شخصية مثل الفيزياء أو العقيدة أو الدين أو الكتاب المقدس" ⁹⁵، وقد يلجأ المرسل إليه إلى استعمال قانون أو تعليمة أو منشور أو تشريع ليدعم نتيجته، مما يجعل هذا النوع من الحجج أقرب إلى البرهنة واليقين على أساس أن مرجعيتها أمر لا جدال فيه. فحينما يستدل المرسل في مجتمع مسلم مثلاً بالقرآن الكريم فإنه يضع المرسل إليه أمام واقع مُسلّم به لا نقاش فيه، مما يدفعه إلى تقبّل النتائج المقصودة من الحجج.

4-2-2-5- حجج الشخص وأعماله:

في مواقف حجاجية خاصة تتدخل صفات وأعمال ومرتبة المرسل من أجل إقناع المرسل إليه، لأن الحجج قد " يربط العمل بصاحبه، ويعيننا على فهم عمله، وعلى إمكان تقويمه" ⁹⁶ وتحديد العلاقة بين " ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشخص وبين أعماله التي هي تحليلات ذلك الجوهر" ⁹⁷ أثناء الحجج. فتساعد المعرفة المسبقة لهذا الشخص على تحديد مقاصده وغاياته الحجاجية، مما يسهل عملية إقناع المرسل إليه

94- عبد الله صولة، " الحجج أطره ومنطقاته وتقنياته"، ص333.

95- المرجع نفسه، ص335.

96- المرجع نفسه، ص334.

97- المرجع نفسه، ص334.

وتوجيهه لفعل معين، فتأثر " المتلقي واستجابته للرسالة يرجع أكثر ما يرجع إلى الإرسال نفسه، إلى الصورة والمظهر، ولو كانت الرسالة رسالة محاجة ومناظرة⁹⁸.

وهذا ما يستدعي توافر جملة من الخصائص في المرسل، قصد تهيئة المرسل إليه لتقبل ما يعرض عليه من نتائج حجاجية، ومن أهم هذه الخصائص:

- دراية المرسل وقدرته على الإحاطة بالمرسل إليه، لأن الخطأ في تصوّر هذا المرسل إليه قد لا يفضي إلى النتائج المقصودة والمرجوة.
- اختيار المرسل للمقدمات الحجاجية القابلة للحوار والنقاش لضمان استمرارية الخطاب الحجاجي.
- اعتماد المرسل لغة طبيعية بعيدة عن التكلف والانفعال، غايتها مخاطبة وجدان وعواطف المرسل إليه لاستمالته والتأثير فيه.
- إبراز المرسل مدى اقتناعه بصحة مقاصده وظهور ذلك في واقعه العملي.

3-2-4 الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

هذه المصنّفة الثالثة من الحجج لا تتأسس على معطيات الواقع، ولا تقوم على حقائقه وفرضياته، وإنما تتدخل في عملية البناء و " تؤسس هذا الواقع وتبنيه، أو على الأقل تكمله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه، أو تجلي ما لم يُتوقع من هذه العلاقات " ⁹⁹. وفي الخطاب الحجاجي يسعى المرسل إلى اعتماد هذا النوع من الحجج المؤسسة لبنية الواقع من أجل دعم وتقوية نتائجه في ذهن المرسل إليه، لأن هذه

98- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص148.

99- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص242.

الحجج ناقلة للتصورات والمدرجات التي تسهم في وضع حدود الواقع المقصود، عن طريق الربط بين الأحداث والوقائع المعيشة والمتابعة والمترابطة ترابطاً زمنياً أو مكانياً أو رمزياً. وتتأسس هذه الحجج المؤسسة لبنية الواقع على صنفين من أنواع الحجج هما:

4-2-3-1- الحجج المؤسسة بواسطة الحالات الخاصة:

إن المقصود بالحالات الخاصة هي تلك الحالات المنفردة والمعزولة التي تتحوّل في الحجاج إلى قاعدة عامة قابلة للاستدلال " فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها، بحيث تصبح حالة عامة، لا مجرد حالة خاصة، ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها"¹⁰⁰، ومن هذه الحالات الخاصة: الشاهد والمثال والقدوة.

أ/ الشاهد: سواء كان حدثاً تاريخياً أو أسطورياً، فإنه غالباً ما يحظى بالقبول العام بين الناس، مما يعين المرسل على استخدامه أثناء الحجاج، من باب تشابه الوقائع والأحداث بين حالتين، فيستنتج المرسل إليه نتيجة الحالة الثانية اعتماداً على نتيجة الحالة الأولى، عن طريق الاستدلال والمقابلة الذهنية لجزئيات الحالتين.

ب/ المثال: يتطلب وجود بعض الخلافات في القاعدة العامة بين المرسل والمرسل إليه أثناء الحجاج، ويختلف المثال عن الشاهد اختلافاً بيناً؛ فالشاهد يؤسس للمعرفة وبيئتها في المواضيع التي لا توجد بها، أما المثال فإنه يدعم تلك المعرفة الموجودة أصلاً ويقوي بناءها، إضافة إلى ذلك فإن المثال أقل عرضة للتأويل إذا ما قيس بالشاهد، وسبب ذلك راجع إلى ارتباط المثال بقاعدة معرفية معروفة ومقبولة لدى الناس سلفاً.

ج/ القدوة: تتعلق - قبل وأثناء الحجاج - بما يستعمله المرسل من صفات وسلطة، سواء تعلق بذاته أو بشخص آخر، وتشبه القدوة في هذا الصدد حجة السلطة، لأنها تسعى إلى إقناع المرسل إليه واستمالاته من خلال ظهور النتائج الحجاجية المقصودة في واقع المرسل، أو في واقع الشخص القدوة المدعّم لهذه النتائج

100- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص243.

الحجاجية، فيستميل المرسل المرسل إليه من أجل التقليد ومحاكاة السلوك أو المعتقد أو الفكرة، وبالتالي يدفعه إلى إنجاز عمل ما في واقعه الذي يتأسس ويبني على منوال هذه القدوة.

4-2-3-2- الحجاج المؤسسة بواسطة التمثيل L'Analogie:

تتأسس هذه الحجج على التخيل وهذا عن طريق " علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر، فتدخل بذلك مجال التشبيه والاستعارة، أو ما عالجها الفلاسفة تحت عنوان (القياس الشعري) ¹⁰¹، ويقوم هذا القياس على استدلال مباشر تتحكم فيه القدرة والكفاية الذهنية للمرسل إليه أثناء الحجاج، مع العلم أن القياس " لا يجب إلا عن مقدمتين لإحدهما بالأخرى تعلق ¹⁰² وفق النحو الآتي:

- مقدمة كبرى
- مقدمة صغرى
- نتيجة

إن الحجاج الذي يعتمد على حجة التمثيل سواء كانت تشبيها أو استعارة، يؤثر في المرسل إليه، فتسليمه بصحة المقدمتين الكبرى والصغرى يدفعه إلى التسليم بصحة النتيجة، وذلك التسليم يتأتى من المقاربة بين معطيات وبني مختلفة في ذهن المرسل إليه، وعن طريق عمليات ربط ذهنية استنتاجية تصبح هذه المعطيات أو البنى في مجال واحد وحول قضية واحدة، وهذا هو وجه الإقناع في الحجاج التي تتأسس بواسطة التمثيل، علما أن " العلاقة بين العناصر ليست علاقة تشابه بل تشابه علاقة ¹⁰³.

ولتوضيح هذه المسألة يذكر الباحث الشاهد القرآني الآتي:

101- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص252.

102- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص222.

103- عبد الله صولة، " الحجاج أطره و منطلقاته وتقنياته "، ص339.

- { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ

الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَآلَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }¹⁰⁴.

ففي هذه الآية الكريمة يشبه المولى عز وجلّ حال اليهود وعدم استفادتهم من التوراة التي أنزلت عليهم وفيها صلاح دنياهم ومعادهم، بحال الحمار الذي يحمل كتبا قيّمة ولكنه لا يستطيع ويستحيل أن يستفيد منها. فالعلاقة بين البنية الأولى والبنية الثانية ليست علاقة تشابه بين الحالتين، وإنما تشابه العلاقة بينهما، لأن المقصود ليس تشبيه اليهود بالحمار، وإنما ما صدر عنهم عن عدم الاستفادة من التوراة، فالعلاقة على هذا الحال هي (عدم الاستفادة) وهي المقصود بحكم التمثيل.

وخلاصة الأمر ومن خلال هذا العرض النظري المفصل لأنواع الحجج، يؤكد الباحث أن هذه الحجج تأتي متضافرة داخل الخطاب الحجاجي، لتحقيق غاياته المتمثلة في إقناع المرسل إليه، لأن المرسل لا يقصد استعمال حجة بذاتها دون بقية الحجج الأخرى، وإنما ينوع ويعدّد في ذلك، حتى تصبح هذه الحجج المتضافرة بنية حجاجية عامة تحقق الهدف.

5 - الوسائل الإقناعية:

يرتبط الحجاج بالإقناع انطلاقاً من الوظيفة الحجاجية التي تهدف إلى استمالة المرسل إليه والتأثير فيه لإنجاز فعل معين أو تغيير سلوك أو معتقد. وإذا كان المرسل في الحجاج يعتمد إلى اختيار وانتقاء الحجج بمختلف أنواعها لغاية تحقيق ذلك الهدف، فإنه يعتمد أيضاً إلى استعمال تقنيات ووسائل إقناعية تدعم عملية بناء السلم الحجاجي، وتسهّل عليه تحقيق النتائج المرجوة أثناء التواصل الحجاجي. لذا يمكن القول إن الهدف من الحجاج - وهو فعل التأثير - يتحقق انطلاقاً من الحجج المختارة لذلك الفعل، كما يتحقق أيضاً من الوسائل والتقنيات الإقناعية التي تسهم بقدر كبير على استمالة المرسل إليه، لأن هذه الوسائل الإقناعية تتعلق في مجملها مقاصد الخطاب، وبطبيعة المرسل وعلاقته بالمرسل إليه، وكذا اللغة الحجاجية المعتمدة أثناء التواصل. فدور اللغة لا يندرج في إثارة مشاعر وانفعالات المرسل إليه، وإنما يسهم في تقديم الحجج وربطها وترابطها وفق منطق يستميل المرسل إليه ويجعله فاعلاً يوجهه ويمنّح بنية الحجاج.

وتتعدد وسائل الإقناع تبعاً لما ترتبط به؛ فمنها الوسائل النفسية الاجتماعية، ومنها الوسائل المنطقية واللسانية واللغوية. فالوسائل النفسية الاجتماعية تتمثل في طبيعة المرسل ودوره في تهيئة المرسل إليه لتقبل ما يعرض عليه من نتائج حجاجية، لأن الحجاج في النهاية " ليس سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها " ¹⁰⁵ من خلال التهيئة المسبقة للمرسل إليه. وأما الوسائل المنطقية فتتمثل الجانب الاستدلالي والاستنتاجي المعتمد في الحجاج، عن طريق القياس بأنواعه، وأما الوسائل اللسانية فترتبط في مجملها بأدوات الاتساق التي تحقق ترابطاً بين أجزاء الكلام، وفق نمط مقصود من المرسل، مثل اعتماد آليات الإحالة والتكرار والحذف. وأما الوسائل اللغوية فتجسدها اللغة المعتمدة أثناء التخاطب، لأن

105- Chaim. Perelman, Traité de L'Argumentation, P18.

اللغة في الخطاب الحجاجي " تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة، فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث"¹⁰⁶.

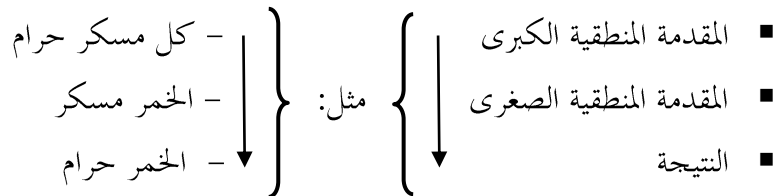
5-1-1- الواسائل المنطقية (القياس وأنواعه Syllogisme):

القياس في اللغة يعني التمثيل والتشبيه، وهو " صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العمل بها، ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها، فيأتي القياس المنطقي مُنبِّهاً عليها، أو مُلْزِماً الخصم التسليم بها إذا هو أنكرها"¹⁰⁷. ويعدّ القياس بنية أساسا في كل خطاب حجاجي، وهو أحد " طرق الاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجا"¹⁰⁸ في الربط بين مكونات الخطاب الحجاجي، وبخاصة ارتباط النتيجة بالمقدمات الحجاجية ارتباطا منطقيا وداليا، إلى جانب ارتباط التبريرات بالمقدمات، لتمهد بذلك إلى استعمال الحجج.

وتجدر الإشارة إلى أن للقياس أنواعا تتجسد في الحجاج على النحو الآتي:

5-1-1- القياس المنطقي Syllogisme logique:

ينتج فيه القياس عن قول سابق ممهّد للنتيجة، وينشأ من مقدمتين أو أكثر، بقدر ما يستعمل المرسل في خطابه الحجاجي، وتمثل هذه المقدمات القول السابق. إلا أن أهل المنطق يعتبرون أن القياس " لا يجب إلا عن مقدمتين لإحدهما بالأخرى تَعَلُّقٌ"¹⁰⁹، ويكون القياس المنطقي غالبا وفق الشكل الآتي:



106- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص118.

107- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص227.

108- المرجع نفسه، ص227.

109- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص222.

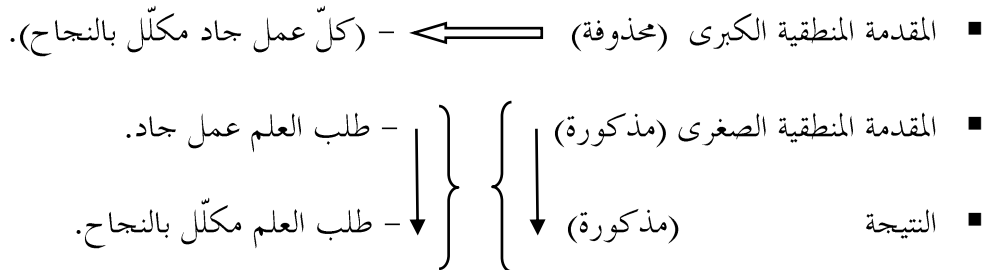
إن وظيفة القياس المنطقي في الحجاج تتمثل في " الانتقال مما هو مُسلَّم به عند المخاطَب - أي المقدمة الكبرى - إلى ما هو مُشكَّل، أي إلى النتيجة "110، إلى جانب تنبيه المرسل إليه وجعله فاعلا في بنية القياس، فالربط بين المقدمات والنتيجة يجعل عقل المرسل إليه وتركيزه مُنصَّبًا على الاستنتاج، وبخاصة حينما يتقبَّل المقدمة المنطقية الكبرى ويسلم بها لأنها أساس القياس المنطقي.

5-1-2- القياس المضمَر Syllogisme Implicite:

هو شكل من أشكال القياس المنطقي، إلا أن المقدمة المنطقية الكبرى محذوفة فيه، وتترك للمرسل إليه على سبيل الاستنتاج والتقدير، وهذا ما يتطلب منه التركيز والانتباه واليقظة أثناء الحجاج، فالقياس المضمَر في مثل هذه الحال " آليّة منطقية للوصول إلى نتيجة أو غرض يشبه ما يسمى بالتعويض "111. ويتم تحديده في إطار قوانين الخطاب فيما يعرف بـ (متضمنات القول)، ولتوضيح هذا الجانب من القياس المضمَر يسوق الباحث المثال الآتي:

■ طلب العلم مكَّلل بالنجاح لأنه عمل جاد.

فيكون شكل القياس المضمَر في هذا المثال على هذا النحو:



110- محمد العبد، " النص الحجاجي العربي "، ص 57.

111- المرجع نفسه، ص 59.

5-1-3- القياس المتدرج **Syllogisme Progressif**:

وهو شكل معقد من أشكال القياس، إذ يعدّ "امتدادا للتعليل القائم على القياس المنطقي" ¹¹²، فيبنى على عدد معين من الأقيسة المنطقية التي تربط بعضها ببعض، فتشكّل المقدمة المنطقية الكبرى للقياس المنطقي. إن المقدمة الكبرى للقياس المنطقي هي نتيجة القياس المتدرّج من مجموعة الأقوال السابقة أثناء الحجاج.

ويمكن للباحث تصوّر القياس المتدرّج وفق المثال الآتي:

- 1 - كل خمر مسكر.
- 2 - كل مسكر حرام.
- 3 - كل حرام يقود إلى المعصية.
- 4 - كل معصية توجب العقاب.
- 5 - كل خمر توجب العقاب.

فالقول الأول والثاني من هذا المثال يشكّلان معا مقدمة كبرى ومقدمة صغرى على التوالي لقياس منطقي نتيجته غير ظاهرة (محدوفة)، وهذه النتيجة المحذوفة تشكّل مع القول الثالث مقدمة كبرى وأخرى صغرى لنتيجة محذوفة أيضا، وهي بدورها تشكّل مع القول الرابع مقدمة كبرى وأخرى صغرى لنتيجة نهائية مذكورة (القول الخامس)، وهذا ما يمثله هذا الشكل التوضيحي:

112- محمد العبد، "النص الحجاجي العربي"، ص59.

إن الوسائل اللسانية المدرجة في الحجاج كثيرة ومتنوعة، تتحكم فيها مقتضيات ترتبط بطبيعة المرسل، وبنوع الحجج المدعّمة، وبنية السلم الحجاجي في حدّ ذاته من خلال " الاختبار اللفظي والتكثيف اللغوي، وخصوصية البنية المجازية وكيفيات توزّع الجمل البسيطة والمركّبة والمعقدة " ¹¹⁵. ولعل أهم هذه الوسائل اللسانية ينحصر في:

5-2-1- الإحالة Réference:

تدرج الإحالة ضمن أهم الوسائل اللسانية التي تحقق ترابطها بين أجزاء النص أو الخطاب، كونها متوالية من الجمل والعبارات التي تقوم بينها علاقة ترابطية، عن طريق أدوات تكون بين هذه الجمل والعبارات، فتربط لاحقا بسابق أو العكس، أو تربط موضوع النص أو الخطاب بما يحيط بهما من معطيات ومقتضيات سياقية.

إن وظيفة الإحالة تتمثل في الإشارة، سواء داخل النص والخطاب أو خارجهما، مما يجعلها وسيلة من وسائل التأثير في المرسل إليه، وهذا من خلال ربط ذهنه وتركيزه بالمضامين المعروضة من بدايتها حتى نهايتها. كما تساعد المرسل إليه على الاستعانة بقدراته الذهنية في تفكيك أجزاء الخطاب الموجه إليه، وعلى تحديد تلك الأدوات اللسانية المستعملة لإعادة ربط هذه الأجزاء، وعلى النظر في دلالتها تبعاً لمقاصد المرسل. فهذه الأدوات هي " التي نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص بها، بل على إسنادها إلى شيء آخر " ¹¹⁶، ومن خلال هذا الإسناد تتحدّد أنواع الإحالة، سواء تعلق الأمر بما هو داخل الخطاب أو خارجه، أو ما تعلق بسابق أو لاحق من الأقوال، على نحو هذا التفصيل:

115- محمد العبد، " النص الحجاجي العربي "، ص 61.

116- ج. ب. براون و ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفى الزليطني و منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، السعودية، 1997، ص 230.

5-2-1-1-1- الإحالة الداخلية Endophora:

ترتبط " بالعلاقات الإحالية داخل النص، سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق، أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص"¹¹⁷، وهي على هذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين:

5-2-1-1-2- أ - الإحالة الداخلية القبليّة Anaphora:

تتمثل في استعمال أدوات تبرز العلاقات الإحالية بالرجوع إلى ما سبق ذكره في النص أو الخطاب.

5-2-1-1-2- ب - الإحالة الداخلية البعديّة Cataphora:

تتمثل في استعمال أدوات تبرز العلاقات الإحالية بالإشارة إلى ما سيأتي ذكره في النص أو الخطاب.

وتتحقق الإحالة الداخلية سواء كانت قبليّة أو بعديّة بإحدى الطرائق التالية¹¹⁸:

- تكرار الصيغة كاملة أو جزئية.
- استبدال مفردة مكان مفردة أخرى.
- الضمير بأنواعه.
- استبدال مفردة بأداة نحوية، مثل العطف أو الإشارة أو الموصول.
- الحذف.

5-2-1-2- الإحالة الخارجية Exophora:

وهي على عكس الإحالة الداخلية، إذ تشير إلى ما يحيط بالنص أو الخطاب، مثل سياق الحال أو

الأحوال المصاحبة للأحداث والمواقف التي أنتجت النص أو الخطاب.

117- إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- دراسة تطبيقية على السور الملكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،

مصر، ط1، 01، 2000، ج01، ص40.

118- ج. ب. براون و ج. يول، تحليل الخطاب، ص231.

5-2-2- Réurrence: التكرار

يعدّ التكرار من الظواهر اللسانية التي " تتّسم بها اللغات عامة، واللغة العربية خاصة " ¹¹⁹، وله

دلالة في الاستعمال سواء على مستوى التراكيب أو على مستوى الاتصال؛ ففي مجال التراكيب يربط التكرار بين المفردات والجمل في مختلف استعمالات التخاطب، وأما دوره في مجال الاتصال فإنه يمكن من استمالة المرسل إليه، لأن تكرار أجزاء لغوية معيّنة يعين على ترسيخها في ذهن المرسل إليه، وهذا ما يمكنه من استحضارها أثناء التخاطب لتحديد مقاصد المرسل. ويتحقق التكرار أثناء التخاطب بإحدى الصور الآتية¹²⁰:

5-2-2-1- التكرار التام أو المحض: ويكون بتكرار اللفظ والمعنى مع وحدة المرجع.

5-2-2-2- التكرار الجزئي: ويكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللساني للمادة المعجمية نفسها.

5-2-2-3- تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف وشبه الترادف في مستوى اللفظة أو العبارة أو البنية الموازية.

5-2-3- التوازن (الازدواج): Balance:

إذا كانت الإحالة والتكرار يهدفان إلى استمالة المرسل إليه من خلال شدّ انتباهه وتركيزه إلى جزئيات موضوع الحجاج، بإعمال الفكر والنظر في دلالة هذه الجزئيات والعلاقات الترابطية بينهما، وتحديد مقاصد المرسل. فإن التوازن (الازدواج) - بوصفه وسيلة إقناعية - يهدف إلى تحريك الوجدان

119- إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص17.

120- جميل عبد المجيد حسين، " علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية "، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر- ديسمبر 2003، عدد02، مجلد32، ص146.

والشعور، لأنه في حقيقته " بنية إيقاعية جوهرية [...] ذات تأثير سمعي وعاطفي في المستمع " ¹²¹، كما تعدّ هذه البنية " بنية تركيبية تربط بين عنصريها علاقات سمعية من طول وزنة وفاصلة، تعكس فكرا مرتبا متزنا مقنعا " ¹²². لهذا ينظر إلى التوازن بناء على وحداته اللغوية المشكّلة له من حيث التوازن في العدد، والاتفاق في الترتيب، وفاصلة هذه الوحدات. علما أن هذا التوازن أو الاتفاق قد يكون تاما أو ناقصا أو منعدما بين الوحدات اللغوية المشكّلة للخطاب الحجاجي، تبعا لاستخدامات المرسل لها، ومراعاة لمقاصده الحجاجية حين مخاطبة فكر ومشاعر المرسل إليه.

5-2-4- الوصل:

يكمّن دور الوصل في " تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم " ¹²³ داخل النص أو الخطاب. وفي الحجاج يسعى المرسل إلى ربط أقواله باستعمال أدوات الربط التي قد تفيد الوصل الزمني أو السببي أو الإضافي وفق ما تتطلبه النتائج الحجاجية، وما يربطها أيضا بالحجج المدعّمة لها، ويترك بعدها المجال للمرسل إليه لتحديد ذلك الترابط بين مكونات البنية الحجاجية.

5-3- الوسائل اللغوية (الروابط الحجاجية):

إن الحجاج استراتيجية لغوية تستمد أبعادها من الأحوال المصاحبة للخطاب الحجاجي، وتتأسس على مكونات تربط بينها علاقات منطقية ودلالية؛ إذ تستلزم النتائج الحجاجية ربطها بالمقدمات والحجج المدعّمة، وغالبا ما يكون هذا الربط بواسطة أدوات لغوية ذات بعد حجاجي، تسهم في إقناع المرسل إليه واستمالاته إلى النتائج المرجوة.

121- محمد العبد، " النص الحجاجي العربي "، ص78.

122 المرجع نفسه، ص80.

123- محمد خطاي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1991، ص22.

وإذا كان الخطاب الحجاجي الإقناعي " يخضع لقواعد اللغة، فإنه يتمكن بذلك من تقديم الحجج واستنباطها واستقراءها عن طريق الروابط، مثل: ذلك أن، حيث، لهذا، ثم.. فهذه العملية تخضع لعملية تفكير تسير المنطق وتأخذ وضعية المخاطب [المرسل إليه] الاجتماعية والمادية ومؤهلاته الفكرية بعين الاعتبار" ¹²⁴. ويظهر دور هذه الروابط الحجاجية أثناء عملية الاستنتاج لدى المرسل إليه في ربط المُسلّم به من القضايا والأحداث مع النتائج المراد التسليم بها لاحقا من باب المنطق والدلالة. علما أن هذه الروابط تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي ¹²⁵:

أ/ الرابط النحوي: ويتم فيه ربط موضوعات مثل الفاعل والمفعول إلى محمولاتها، وتسمى في النحو العلائقي بالحدود، ويدخل في مجال هذه الروابط النحوية الإعراب المحمول فيه، والتطابق بين المحمول والموضوع.

ب/ الرابط الدلالي: وهو الذي يتم فيه ربط الموضوعات إلى الفعل. بموجب دلالاته الخاصة.

ج/ الرابط التداولي: ويتم فيه التركيز على العلاقة التي تربط الكل الدلالي التركيبي من جهة، ومتداول اللغة من جهة ثانية؛ أي دراسة المعنى المستلزم لهذه الروابط انطلاقا من استعمالها في الواقع وداخل سياق تواصل محدد.

ويشير الباحث في هذا السياق إلى أن هذه الأدوات اللغوية الحجاجية تصنّف إلى صنفين هما:

الروابط الحجاجية و العوامل الحجاجية:

124- رضوان الرقي، " الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله"، ص101.

125 نقلا عن: المرجع نفسه، ص102.

5-3-1- الروابط الحجاجية les Connecteurs Argumentatifs:

وهي تربط بين "قولين أو حجتين، وتسد لكل قول دورا محددًا"¹²⁶ داخل بنية الحجاج، ومن أمثلتها: الواو، الفاء، ثم، لكن، بل، حتى، لأن، بما أن، لاسيما.. وتضمن هذه الروابط تلاحما بين أجزاء الكلام أثناء الحجاج، كما تعين المرسل إليه على ترتيب هذه الأجزاء في ذهنه، ليسهل عليه استحضارها والتميز بينها وفق مكونات البنية الحجاجية.

و لتوضيح دور هذه الروابط في الخطاب الحجاجي يدرج الباحث المثال الآتي:

■ لم يتحصل زيد على العلامة الكاملة في الامتحان لكنه نجح.

فانطلاقا من الجزء الأول من هذا القول يعتقد المرسل إليه أن (زيدا لم ينجح) بحكم وجود الحجة (لم يتحصل على العلامة الكاملة)، غير أن الأداة (لكن) تبطل هذا الاعتقاد، وتربط مباشرة هذا الجزء الأول من القول بما يليه وهو النتيجة (نجح) التي يقصدها المرسل ويرمي إليها، وبالتالي أدت (لكن) دورا حجاجيا متمثلا في نفي النتيجة (الضمنية) التي سبقتها، وأثبتت النتيجة (الصريحة) التي تلتها، وهو ما يدفع المرسل إليه إلى التركيز عما سيكون دائما بعد هذا الرابط الحجاجي (لكن) في كل قول.

5-3-2- العوامل الحجاجية les Opérateurs Argumentatifs:

وهي على خلاف الروابط الحجاجية، فهي لا تربط بين الحجج والنتائج، وإنما "تقوم بخصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما"¹²⁷. ومن أمثلتها: تقريبا، كثيرا ما، قليلا ما، أدوات القصر

126- همو النقاري، التحاج طبعته ومجالاته ووظائفه، ص103.

127- المرجع نفسه، ص103.

وطرائقه (النفي والاستثناء) .. ويكمن دور العوامل الحجاجية في الإحالة غير المباشرة إلى مقاصد المرسل، كما تعين المرسل إليه على استنتاج النتائج الحجاجية الضمنية التي لم يصرح بها المرسل أثناء الحجاج.

وهذا مثال توضيحي لهذه المسألة:

■ ما نجح من الطلاب إلا زيد.

ففي هذا المثال اعتمد المرسل أسلوب القصر عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إلا)، ليؤكد نتيجة مفادها أنه (لم ينجح أحد من الطلاب باستثناء زيد) في سياق تواصله خاص، يكون فيه اعتقاد المرسل إليه على خلاف هذا المتوقع، كأن يعتقد أن مجموعة من الطلاب قد نجحوا، إلا أن المرسل أراد في هذا السياق التواصل إقناع المرسل إليه بخطأ تصوّره هذا، فاستعان بالعامل الحجاجي (القصر وأدواته) لغاية إثبات النتيجة المقصودة وهي (نجاح زيد فقط دون غيره من الطلاب)، وبالتالي فإن العامل الحجاجي قد قيد وحصر إمكانات التأويل لدى المرسل إليه إلى مقصود المرسل مباشرة ودون تأويل.

وعموماً فإن ما يمكن للباحث أن يشير إليه فيما تعلق بالوسائل الإقناعية المعتمدة في الخطاب الحجاجي تتمثل في قدرة المرسل على حسن استغلالها واستخدامها، وتلاؤمها مع طبيعة المرسل إليه، وبخاصة إذا استعان المرسل بها بمجموعة ومتضاربة أثناء الحجاج، من أجل شدّ انتباه وتركيز المرسل إليه إلى فحوى ما يعرض عليه، وبالتالي يتحقق وجه التأثير والاستمالة فيه، لتقبّل النتائج الحجاجية المقصودة.

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق التطرق إليه حول مفهوم الحجاج وعلاقته بالإقناع، وكذا البنية العامة للحجاج، وتحديد السلاّم الحجاجية وأنواع الحجج المعتمدة فيها، ووسائل الإقناع المتبعة للتأثير في المرسل إليه، يمكن للباحث استخلاص جملة من النتائج الجزئية أهمها:

- 1- ينطلق الحجاج في عمومته من قضية خلافية تكون بين المرسل والمرسل إليه، لهذا يجب أن تكون مقدمات الحجاج مسلمة وبديهيات لدى المرسل إليه لضمان استمرارية الخطاب الحجاجي.
- 2- الخطاب الحجاجي غالبا ما يخاطب فكر وعواطف المرسل إليه في آن واحد، ففعل التأثير والاستمالة يتحقق بهما معا أكثر مما يتحقق في جانب دون الآخر.
- 3- بناء سلم الحجاج سواء من الحجج نحو النتائج أو من النتائج نحو الحجج خاضع لمقتضيات يساهم فيها المرسل إليه بدرجة كبيرة، تبعا لمستواه وقدراته الذهنية ولردود أفعاله الممكنة أثناء الحجاج.
- 4- لا يعتمد المرسل في حجاجه إلى إجبار وإكراه المرسل إليه لتقبل النتائج، وإنما يسعى إلى إقناعه بذلك، من خلال ترك مجال المشاركة في بناء السلم الحجاجي، ولو كان ذلك بطريقة غير مباشرة، فههدف الحجاج إقناعي بدرجة كبيرة.
- 5- لا يعتمد المرسل أثناء الحجاج على حجة بعينها، ولا على نوع واحد منها، ولا يستميل المرسل إليه من خلال وسيلة إقناعية دون غيرها، وإنما تجتمع هذه الحجج وتلك الوسائل الإقناعية على تشعبها وتعددها، فتتضافر داخل السياق التواصلي الحجاجي لتحقيق فعل التأثير في المرسل إليه، وهذا بمراعاة طبيعة المرسل،

ودور المرسل إليه، وردود أفعاله الممكنة تجاه النتائج، وما يصاحب سياق الحجاج من أحداث وملازمات ووقائع تسهم في تحديد البنية العامة للحجاج.

6- يكون فعل التأثير أظهر وأنسب لدى المرسل إليه كلما كان الإقناع لدى المرسل واضحاً وظاهراً، وبخاصة عندما يظهر ذلك فيما يطبق من نتائج حجاجية في واقعه العملي والفعلي، ويهدف بذلك إلى استمالة المرسل إليه ليتقبل النتائج الحجاجية ويسلم بها.

الفصل الثالث

السلام الحجاجية في كلية ودمنة:

5 كتاب كلية ودمنة

2- السلام الحجاجية في كلية ودمنة

2 - كتاب كلية ودمنة¹:

1 1 - عبد الله بن المقفع:

ولد عبد الله بن المقفع سنة (106 هـ / 724 م) بقرية جور في بلاد فارس (مدينة فيروز أباد حالياً)، فارسي الأصل كان يسمى قبل إسلامه رَوْزَبَةَ بن دَازَوَيْه، وحينما أسلم سمي عبد الله، وكانت كنيته (أبو عمر و أبو محمد). نشأ مولى لآل الأهمم، تعلم اللغتين الفارسية والعربية، واشتغل بالكتابة في دواوين الأمراء. لقب والده بالمقفع بعد عقوبة أجراها عليه الحجاج بن يوسف الثقفي، أيام خلافة بني أمية، بتهمة سرقة أموال المسلمين من بيت المال، فضرب على ظهر يديه حتى تورمتا وتفقتا فلقب بالمقفع.

وقد عاصر عبد الله بن المقفع أفول وسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وما صحب ذلك من توترات وأزمات سياسية ساعدت على صقل تجاربه وخبراته. وقد عرف ابن المقفع بخصال محمودة جمّة منها النبل والكرم والصدق والوفاء، إلى جانب رجاحة العقل والعلم الواسع بأمرور الحياة، فقد جمع بين الثقافات العربية والفارسية واليونانية والهندية، كما نال حظاً وافراً من الفصاحة والبلاغة والأدب والحكمة. وقد اتصل عبد الله بن المقفع بعيسى بن علي عمّ الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وبقي في خدمته إلى أن قتله سفيان بن معاوية بأمر من الخليفة المنصور سنة (142 هـ / 759 م). وبالرغم من عمره القصير إلا أنه أثرى المكتبة العربية بإرث علمي وأدبي يشهد له بذلك، ومن نماذج ما ألف ابن المقفع نقلاً من الفارسية واليونانية والهندية إلى اللغة العربية:

✓ كلية ودمنة.

✓ الأدب الصغير.

1- حياة عبد الله بن المقفع، وأصل كتاب (كليلة ودمنة) مأخوذة عن: محمد كرد علي، رسائل البلغاء، دار الكتب العلمية الكبرى، مصر، ط02، 1993، الصفحات من 6 إلى 16.

- ✓ الأدب الكبير.
- ✓ مزدك.
- ✓ رسالة الصحابة.
- ✓ الدرّة الثمينة والجوهرة المكنونة.
- ✓ باري ترمينياس.
- ✓ التاج في سيرة الملك أنو شروان.
- ✓ أيين نامه في عادات الفرس.

1 2 أصل كتاب كلية دمنة:

يرى جمهور الباحثين أن أصل كتاب (كليلة ودمنة) هندي، وقد نُقل إلى اللغة الفهلوية (الفارسية القديمة) أيام الملك (كسرى أنو شروان)، من كتابين هنديين؛ أولهما (بنجا تنترا) ويعني في اللغة العربية (الفصول الخمسة)، ومؤلفه هو الحكيم الهندي (برهمن وشنو) وكان ذلك نهاية القرن الرابع للميلاد، وقد أُلّفه باللغة السنسكريتية. أما الكتاب الثاني فهو (هتو بانشا) ويعني في العربية (نصيحة الصديق).

ولما شاع خير هذين الكتابين، وبلغ الملك (كسرى أنو شروان) بعث طبيبه الخاص (بَرزَوِيّه) لجليهما، لما عرف عنه من علم وحكمة ودهاء. غير أن (بَرزَوِيّه) لم يكتف بنقل كتاب (الفصول الخمسة/بنجا تنترا) وكتاب (نصيحة الصديق/ هتو بانشا)، بل أدخل فيهما حكايات هندية أخرى، استقى بعضها من كتاب (مها باراتا) المشهور، ووضع في ترجمته بابا سماه (بعثة الطبيب برزويه)، ضمّنه حياته وسيرته وقصة تنقله إلى الهند، ومكوّنه بما إلى غاية جلب الكتاب كما أمره بذلك الملك (أنو شروان)، وقد كان ذلك حوالي منتصف القرن الثامن للميلاد.

ثمَّ جاء عبد الله بن المقفع ونقل الكتاب من اللغة الفهلوية إلى اللغة العربية، ووضع فيه بابا جديدا هو (الفحص عن أمر دمنة)، إضافة إلى بعض التعديلات والرؤى الجديدة التي تمثل روح العصر آنذاك.

1 3 محتوى كتاب كليلة ودمنة:

كتاب (كليلة ودمنة) كتاب هادف يحوي قصصا تجري على ألسن الحيوانات في ظاهرها، وتستنطق الحيوان لتصل إلى أهداف أخلاقية وتربوية وإصلاحية لشؤون المجتمع والسياسة. وما توظيف الحيوان في هذا الكتاب إلا وسيلة وأداة لتحقيق تلك الأهداف، من خلال التمثيل بالدور الإنساني سواء في التصرفات والأفعال، أو في مجال الحوار بين شخصيات القصص. فجمع عبد الله بن المقفع في كتاب (كليلة ودمنة) بين متعة الخيال باستعمال الحيوان، وبين خلاصة التجارب والحكم التي أراد بها النصيح والتوجيه. وقد أقرَّ ابن المقفع بهذا في كتاب (كليلة ودمنة) حين قوله: "وأما الكتاب فجمع حكمة ولهوا، فاختاره الحكماء لحكمته، والأغراب للهوه، والمتعلم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه من أمر يُربط في صدره، ولا يدري ما هو"².

كما بيّن ابن المقفع أن لكتاب (كليلة ودمنة) غرضا ظاهريا، وآخر باطنيا مقصودا، فقد قال: "وينبغي للنّاظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض: أحدها ما قصّد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم [...]. والثاني إظهار خيالات الحيوانات [...]. والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذ الملوّك والسوّقة فيكثر بذلك انتساخه [...]. والغرض الرابع وهو الأقصى مخصّص بالفيلسوف خاصة"³.

2- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007، ص33.

3- المصدر نفسه، ص43.

كما أبرز ابن المقفع أن غاية الانتفاع بكتاب (كليلة ودمنة) كامنة في فهمه فهما جيدا، ومعرفة المقاصد التي أنشأ لأجلها، لأن " قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ولا أيّ ثمرة يجتني منها، ولا أيّ نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب"⁴.

وعلى هذا الأساس فإن كتاب (كليلة ودمنة) قد قام على خصائص منها:

- 1) الإمتاع: من خلال ما تحويه قصص الكتاب من خيال وفنون القصّ.
- 2) التمويه: بالتخفي وراء شخصيات الحيوانات للتححرر من الرقابة.
- 3) النقد والإصلاح: بالاعتماد على العبرة والخلاصة المستقاة من وراء الحكاية، قصد التأسيس لقيم الخير والفضيلة والحق والعدل، عن طريق التعليم ونقد الواقع في شتى مجالات المجتمع والسياسة.
- 4) الحجاج: لغاية إقناع متلقي هذا الكتاب والتأثير فيه، لتغيير معتقداته وأفكاره تجاه ما يراه في واقع المجتمع وشؤون السياسة.

وقد تأسس كتاب (كليلة ودمنة) على مبدأ التضمين والتداخل بين محتويات قصصه، لتصل في نهاية المطاف إلى حلقة متشابكة بين هذه القصص، فيفضي بعضها إلى بعض، راسما بذلك عالما معقدا ومتداخلا من الحكم والتجارب والقناعات التي تقوم على ثنائية الضدية مثل: (الخير ، الشر) و (الحاكم ، المحكوم) و (العدل ، الظلم) و (الحق ، الباطل) و (القوي ، الضعيف). وغالبا ما تظهر هذه الثنائية المتضادة في كتاب (كليلة ودمنة) من خلال الحوار والسؤال الذي يطرح في بداية كل حكاية أو مثل، بين الملك (دبشليم) والفيلسوف (بيدبا) الذي يجيب الملك عن سؤاله بقصة أو حكاية تتسع لتضم مجموعة من الأمثال

4- ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص34.

والأحداث على ألسن الحيوان. فتتضافر في مجملها مشكلة البنية العامة لهذا الكتاب، عن طريق تفكيك الكل إلى أجزاء مكوّنة له، أو عن طريق تركيب الأجزاء لتشكّل الكلّ.

وقد احتوى كتاب (كليلة ودمنة) مواضيع رئيسية تجسّدت على هيئة أبواب، ليتفرع كل باب إلى مجموعة من الأمثال المتداخلة والمتضمنة بعضها في بعض، في سياق قصصي يهدف إلى إقناع المتلقي بمقاصد هذا الكتاب. ومن هذه الأبواب ما يتعلق بالسلطان ووزرائه، ومنها ما يتعلق بالوزراء والأعوان والخدم، ومنها ما يتعلق بأحوال الرعية وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض، وكل باب يعالج قضية معينة على النحو الآتي:

- 1) باب الأسد والثور: يعرض أثر الوشاية الماكرة التي تفسد بين المتحابين والمتآلفين.
- 2) باب الفحص عن أمر دمنة: يبرز حجج ودفاع المجرم عن نفسه، ومصيره السيئ بسبب وشايته التي يتّخذها سبيلا للتقرّب من ذوي الجاه والسلطان.
- 3) باب الحمامة المطوّقة: يرسم استمرار المودة والمحبة بين إخوان الصفاء.
- 4) باب البوم والغربان: يحذر من مغبة الاغترار بالعدو، وإن أظهر تضرّعا ولينا.
- 5) باب القرد والغليم: يظهر حال المضيق لما سعى إليه بعد جهد وتعب مضمّن.
- 6) باب الناسك وابن عرس: يبين عاقبة المستعجل في أفعاله وقراراته.
- 7) باب الجرذ والسنور: يعرض مبدأ اللجوء إلى موالاة بعض الأعداء عند كثرتهم حول الإنسان.
- 8) باب الملك والطائر فترة: يبرز ضرورة اتقاء أصحاب الثأر بعضهم بعضا.
- 9) باب الأسد وابن آوى الناسك: يعرض مراجعة الملك للعقوبة لمن لا ذنب له.
- 10) باب الإسوار واللبؤة والشعهر: يبين مكرمة العفو عند المقدرة والاعتبار بالمصائب.
- 11) باب إيلاذ وشادرم وإيراخت: يرسم قوام الملك وثباته بفضائل الحلم والمروءة والشجاعة والجود.

12) باب الناسك والضيف: يبرز ضرورة ترك الإنسان ما لا يتقنه ويجيده إلى أهله من ذوي العلم والدراية.

13) باب السائح والصانع: يبين مصير واضح المعروف في غير موضعه مع رجاء الشكر عليه.

14) باب ابن الملك وابن الشريف: يظهر رفعة الجاهل في الدنيا وابتلاء العاقل الحكيم.

15) باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين: يوضح عاقبة الناصح لغيره، المتغافل عن حماية نفسه بنصحه.

1 4 - سرّ تأليف كليلة ودمنة على ألسن الحيوان:

بالرغم من أن كتاب (كليلة ودمنة) يدعو إلى الفضائل والأخلاق في شؤون المجتمع والسياسة، وشخصياته تعدّ حيوانات برية، إلا أنها تعدّ أيضا رموزا لشخصيات إنسانية في مجالات معينة من الحياة؛ فالأسد مثلا هو الملك ووزيره ثور يدعى (شتربة)، وكليلة ودمنة اثنتان من بنات آوى تمثلان حاشية الملك. ويعود سرّ اعتماد الحيوانات في كتاب (كليلة ودمنة) إلى جملة من الأسباب أهمها:

1 - الخوف من بطش الساسة من الملوك والسلاطين، فمثلما وضع الفيلسوف (بيدبا) الكتاب لنصح الملك (دبشليم) الذي عرف بالظلم والجور، أراد عبد الله بن المقفع أن يسدي بالنصح والتوجيه للخليفة العباسي المنصور بطريقة غير مباشرة، نظرا لما شاع عن ذلك الخليفة من ظلم وطغيان.

2 - الإيحاء والرمز؛ وهذا ما يجعل القارئ ينتقل بمدركاته وتصوراته لكتاب (كليلة ودمنة) من عالم الحيوان والغاب إلى عالم الإنسان ومجتمعه والعلاقات التي تربط الأفراد أخلاقيا وتربويا واجتماعيا وسياسيا.

3 - المتعة الفنية من أجل جلب أكبر قدر ممكن من قراء كتاب (كليلة ودمنة)، فالقارئ الذي لا يستطيع كشف خبايا وبواطن ومقاصد الكتاب، ولا يقدر أعمال فكره لاستنباط الكوامن، هذا القارئ يستطيع مطالعة الكتاب والوقوف عند خياله الأدبي، وتصوّر مشاهد الحوار التي تجري بين الحيوانات، وتخيّل معالم

الحياة البرية بين ساكنيها، وفي كلتا الوجهتين (قراءة وفهم أو قراءة دون فهم) جلب لأكبر عدد من المتلقين.

إن كتاب (كليلة ودمنة) كتاب هادف، فهو ليس مجرد سرد لحكايات تمثل عالم الحيوان، وإنما هو كتاب نصح أخلاقي وتربوي وإصلاح اجتماعي وتوجيه سياسي، يسعى مؤلفه إلى إقناع الآخر (المتلقي) بما يرمي إليه ويقصده، جاعلا من حكاياته وأمثاله حججا للإقناع.

2 - السلام الحجاجية في كلية دمنة:

يسعى الباحث في هذا الفصل إلى تحديد بنية السلام الحجاجية المعتمدة في كتاب (كلية دمنة)، سواء تعلّق الأمر بالسلام الحجاجي لحتوى الكتاب ككل، أو تعلّق بالسلام الحجاجية الجزئية المدرجة في كل باب من أبواب كتاب (كلية دمنة). وصورة هذا التقسيم متأتية من طبيعة القصص والحكايات والأمثال المدرجة في الكتاب، فقد تأسست أبواب الكتاب ومحتوياتها على مبدأ التضمين والتداخل بين القصص والأمثال، وأضحى كل باب أو مثل مقدمة لباب أو مثل تال له، وانطلاقاً من هذا التداخل والتضمين تتداخل أيضاً السلام الحجاجية تبعاً لذلك، لأن السلم الحجاجي هو "علاقة ترتيبية للحجج" ⁵. وتصبح بذلك النتائج الجزئية مقدمات وحجج لنتائج جزئية جديدة، فيتضافر مجموع هذه النتائج الجزئية ليشكّل الباب الواحد من أبواب كتاب (كلية دمنة)، ثم تتضافر نتائج الأبواب مشكّلة حلقة متشابكة تمثل الغاية الكبرى من تأليف هذا الكتاب.

2 1 - السلام الحجاجي العام في كلية دمنة:

إن غاية تأليف كتاب (كلية دمنة) تظهر في مقدمة الكتاب، فقد عزم الفيلسوف (بيدبا) إقناع الملك (دبشليم) بضرورة تغيير سياسته الاستبدادية والظالمة مع الرعية، علماً أن الملك (دبشليم) لا يقبل رأياً مضاداً معارضاً ومخالفاً لرؤيته. وهذا ما دفع الفيلسوف (بيدبا) إلى انتهاج خط معارض بطريقة غير مباشرة، غايتها النصح الاجتماعي والتوجيه السياسي، حتى يرفع عن نفسه حرج المواجهة المباشرة. وهذا ما تمّ عرضه في مقدمة الكتاب " وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يُعرف بفضله ويُرجع في الأمور إلى قوله يقال له بيدبا، فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية، فكّر في وجه الحيلة في

5- حمو النقاري، التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006، ص59.

صرفه عما هو عليه، وردّه إلى العدل والإنصاف⁶. ووجه الحيلة فيما فكّر فيه الفيلسوف (بيدبا) تمثّل في مجموع القصص المدرجة في كتاب (كليلة ودمنة) على ألسن الحيوان.

وعلى هذا الأساس يرى الباحث في هذا الصدد، أنه بالإمكان رسم سلم حجاجي عام لكتاب (كليلة ودمنة) على هذا النحو:

(ن) ← النتيجة: إقناع الملك (دبشليم) بضرورة تغيير سياسته الاستبدادية، والبعد عن الظلم،

والعودة إلى العدل والإنصاف.

الحجج: مجموع الحكايات والأمثال الواردة في كتاب (كليلة ودمنة).

(ح3)

(ح2)

(ح1)

علما أن (ن) تمثل النتيجة، و(ح1، ح2، ح3...) تمثل الحجج. واتجاه الحجاج قد يكون تصاعديا أو

تنازليا، تبعا لطبيعة الحجج، وترتيبها من حيث القوة والضعف، أو من حيث الأهم والمهم، لأن عملية

6- ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص8.

الإقناع والتأثير تستند إلى سلم حجاجي يكون "بمثلة دعامة استدلالية لغرضه الذي من أجله كانت العملية التخاطبية، والحجج التي يوردها لن تكون على درجة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوة والضعف"⁷.

والجدير بالذكر أن الحجج التي تمثل مجموع الحكايات والأمثال الواردة في أبواب كتاب (كليلة ودمنة) تتفرّع وتستقل بدورها من باب إلى باب آخر، ويصبح لكل باب منها جزء في بناء النتيجة العامة للحجاج المتبع في كتاب (كليلة ودمنة). وترتيب الأبواب في هذا الكتاب خاضع لمقاصد الفيلسوف (بيدبا)، فقد انتظمت هذه الأبواب في شكل هرم ينتقل فيه الحجاج من الأعلى إلى الأسفل، لقناعة الفيلسوف (بيدبا) أن التغيير في الجانب السياسي والاجتماعي يأتي من أعلى الهرم نحو أسفله، ويمكن تصوّر هذه الرؤية الهرمية وفق الشكل الآتي:

7- رضوان الرقي، "الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله"، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر-ديسمبر 2011، عدد 02، مجلد 40، ص 95.



فهذه الدوائر تتداخل فيما بينها من الأعلى إلى الأسفل، وكل دائرة تشكّل باباً من أبواب كتاب (كليلة ودمنة)، وتصبح كل دائرة نواة لتشكيل دائرة باب تال لها. ودليل ذلك ما يعرضه الفيلسوف (بيدبا) مع الملك (دبشليم) منذ بداية الأبواب، وفي بداية كل باب؛ ففي (باب الأسد والثور) يبدأ السؤال من الملك (دبشليم) إلى الفيلسوف (بيدبا): "اضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء"⁸، وما يلي هذا الباب الأول من أبواب كتاب (كليلة ودمنة) يربط ما فات بما هو آت، من وجهة التشاكل والتداخل في البناء الحجاجي العام. فمثلاً في الباب الثاني (باب الفحص عن أمر دمنة) يبدأ الملك (دبشليم) سائلاً الفيلسوف (بيدبا): "قد حدثني عن الواشي الماهر المحتال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين، فحدثني إن رأيت بما كان من حال دمنة وإلام آل مآله بعد قتل شترية"⁹، و(دمنة) هنا هو النمام الكذوب المحتال، والأسد الملك ووزيره الثور (شترية) هما المتحابان.

وفي هذا الحوار بين الملك والفيلسوف ربط بين الباب الأول (باب الأسد والثور)، وبين الباب الثاني (باب الفحص عن أمر دمنة). والأمر ذاته في بقية أبواب كتاب (كليلة ودمنة)، ففي الباب الثالث (الحمامة المطوقة) يحدث الأمر نفسه في بداية الباب، إذ يسأل الملك الفيلسوف عن أمر ما، ليربط سابقاً بلاحق: "قد سمعت مثل المتحابين كيف يقطع بينهما الكذب وإلى ما صار عاقبة أمره من بعد ذلك، فحدثني إن رأيت عن إخوان الصفاء كيف يتدبّر تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض"¹⁰.

8- ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص57.

9- المصدر نفسه، ص101.

10- المصدر نفسه، ص119.

وعلى هذا المنوال كان مسير ترتيب أبواب كتاب (كليلة ودمنة)، فكل باب هو ممدد لما يليه، ويصبح قاعدة بنائية لحجاج عام في هذا الكتاب، علما أنه يمكن توسيع السلم الحجاجي العام السابق ذكره، مع بعض التفاصيل، وتغيير اتجاهه ليصبح من الأسفل إلى الأعلى وفق الشكل الآتي:

السلم الحجاجي العام في كلية ودمنة:

النتيجة: صرف الملك عن الظلم وإعادته للعدل والإنصاف.

ن



الحجج: محتوى القصص والأمثال في الكتاب.

ح

السلام الحجاجي العام الموسّع:

ن ← النتيجة العامة لكتاب (كليلة ودمنة): صرف الملك عن الظلم وإعادةه للعدل والإنصاف.

ح15 ← باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين.

ح14 ← باب ابن الملك وابن الشريف.

ح13 ← باب السائح والصائغ.

ح12 ← باب الناسك والضيف.

ح11 ← باب إيلاذ وشادرم وإيراخت.

ح10 ← باب الإسوار واللبؤة والشعهر.

ح9 ← باب الأسد وابن آوى الناسك.

ح8 ← باب الملك والطائر فترة.

ح7 ← باب الجرذ والستور.

ح6 ← باب الناسك وابن عرس.

ح5 ← باب القرد والغليم.

ح4 ← باب اليوم والغربان.

ح3 ← باب الحمامة المطوقة.

ح2 ← باب الفحص عن أمر دمنة.

ح1 ← باب الأسد والثور.

2-2- السلام الحجاجية الجزئية في أبواب كليلة ودمنة:

لقد تطرق الباحث فيما سبق إلى شكل وبنية السلم الحجاجي العام في كتاب (كليلة ودمنة)،

ورأى أن أبواب الكتاب تتداخل فيما بينها، مشكّلة حلقة متشابكة من النتائج الحجاجية الجزئية، التي

تفضي إلى نتيجة حجاجية كلية وعامة هي مقصد الكتاب. غير أن الملاحظ في هذا الكتاب تفرّع أبوابه إلى أمثال، وكل باب على حدة، وعلى منوال ما هيكلت به أبواب الكتاب مجتمعة لتشكّل البنية الحجاجية العامة لكتاب (كلية ودمنة)، هيكلت الأمثال مجتمعة في الباب الواحد لتشكّل البنية الحجاجية العامة لذلك الباب من أبواب كتاب (كلية ودمنة)؛ بمعنى أن الكتاب تشكّل من أبواب، وكل باب تشكّل من أمثال، ومثلما تضافرت الأبواب فيما بينها لتبرز مقصد الكتاب، تضافرت الأمثال فيما بينها لتبرز مقصد الباب في حد ذاته.

وانطلاقاً من هذا يرى الباحث ضرورة إبراز السلام الحجاجية الجزئية لأبواب كتاب (كلية ودمنة)، على النسق نفسه الذي برز به السلم الحجاجي العام للكتاب. ولهذا سيوجه الباحث الدراسة فيما سيأتي إلى تفصيل كل باب على حدة، واستكشاف سلمه الحجاجي من خلال تضافر الأمثال المكوّنة له، علماً أن السلم الحجاجي لكل باب هو سلم حجاجي عام إذا ما قيس بمحتوياته من الأمثال، وهو في الوقت ذاته سلم حجاجي جزئي إذا ما قيس بمحتوى كتاب (كلية ودمنة).

2-2-1/ باب الأسد والثور

يورد هذا الباب قصة حال النمام المحتال، وسعيه لإفساد علاقات المحبة والمودة بين الأصدقاء، وبخاصة داخل هرم السلطة والحكم، بين الملك وحاشيته من وزراء وأمراء. وغاية الإفساد تلك مرتبطة بمصالح شخصية ضيقة، منها التقرب والتزلف من ذوي السلطان والتفرد بهم. وقد سعى الفيلسوف (بيدبا) من خلال هذا الباب إقناع الملك (دبشليم) إلى ضرورة غلق المنافذ والأبواب أمام هذا النوع من المتقربين

والمترلفين، وهم المتدبون لخدمة أمور الحكم وشؤونهم، لأن عاقبة الإفراط في التماس نصحتهم وخدمتهم مع ما يضمرون من مكر وخداع لا تحمد، وتكون سبب زعزعة نظام الملك وذهاب العدل وقصور التسيير.

ولغاية الوصول إلى هذه النتيجة الحجاجية في هذا الباب، وظّف الفيلسوف (بيدبا) مجموعة من الأمثال

المترادفة، تمثل جملة من الحجج المدعّمة لمقاصده. وما يميّز هذه الأمثال تداخلها فيما بينها؛ فكل مثل تال

يمثل حجة لمثل سبقه، والرابط بينها أسلوب السرد والقصّ المتتالي، الذي يجعل من هذه الأمثال قصة

واحدة، متغيّرة الزمان والمكان والشخصيات بالرغم من وحدة الدلالة والمقاصد من وراء هذا الباب أو بقية

أبواب كتاب (كليلة ودمنة). إلى جانب رابط آخر يتمثل في الحوار المعتمد في كل مثل بين الشخصيات،

ودليل ذلك السؤال الذي يُطرح في نهاية كل مثل، وغالبا ما يكون بإحدى الصيغتين المتكررتين في نهاية

المثل: "وكيف كان ذلك؟" ¹¹ أو "وما مثل ذلك؟" ¹².

وعند تحديد سلم الحجاج في باب (الأسد والثور) ينعكس اتجاه سير الأمثال، ليصبح المثل الأول قاعدة

حجاجية في أسفل السلم، تتبعها الأمثال التالية له، وفق هذا التصوّر:

11 - ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص60.

12 - المصدر نفسه، ص66.

- ن ← النتيجة : ضرورة احتراس المتحايين من النمّام الكذوب الذي يسعى لإفساد المودة والمحبة، سواء بين الملك وحاشيته أو بين الراعي ورعيته.
- ح16 ← مثل العلجوم والحية.
- ح15 ← مثل الخبّ والمغفل.
- ح14 ← مثل القروود والطائر والرجل.
- ح13 ← مثل البطتين والسلحفاة.
- ح12 ← مثل الموكل بالبحر مع الطيطوى.
- ح11 ← مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل.
- ح10 ← مثل القملة والبرغوث.
- ح9 ← مثل السمكات الثلاث.
- ح8 ← مثل الأرنب والأسد.
- ح7 ← مثل المكاء الطائر والسرطان.
- ح6 ← مثل الغراب والأسود الثعبان وابن آوى.
- ح5 ← مثل الناسك واللص.
- ح4 ← مثل الثعلب والطبل.
- ح3 ← مثل القرد والنجار.
- ح2 ← مثل الرجل الهارب من الموت.
- ح1 ← مثل التاجر وبنيه.

ويرى الباحث أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحدّ في تداخل أمثال باب (الأسد والثور)، وإنما تعدى

الأمر إلى المثل نفسه، فمحتواه يشكّل سلماً حجاجياً أصغر، لغاية نتيجة حجاجية صغرى، تتضافر مع بقية

النتائج الصغرى لكل الأمثال داخل الباب من الكتاب، لتشكّل السلم الحجاجي لذلك الباب، على هيئة تضافر نتائج الأبواب لتشكّل السلم الحجاجي العام لمحتوى كتاب (كليلة ودمنة).

وفيما سيأتي يعرض الباحث محتوى كل مثل، وسلّمه الحجاجي الذي تشكّل منه، وفق ترتيب الأمثال

في باب (الأسد والثور):

1- مثل التاجر وبنيه

لقد أراد الفيلسوف (بيدبا) في باب (الأسد والثور) أن يوضح للملك (دبشليم) حال التمام الكذوب الذي يقطع العلاقة بين الأسد والثور، وما نشأ بينهما من محبة ومودة، ولذلك بدأ منذ نشأة هذه العلاقة بينهما، وكان يهدف بذلك إلى ضرورة السعي والبحث لاكتساب ما يمكن اكتسابه في الحياة من أصدقاء أو مال أو جاه. وأورد الفيلسوف (بيدبا) مثل الرجل الشيخ مع أولاده الذين أسرفوا وأهملوا وضيعوا ما ضيعوا في حياتهم، فعمد الشيخ إلى تنبيههم بضرورة السعي والكسب، لأن أمور الحياة متقلبة ومتغيرة، لقوله: "فمن ضييع شيئاً من هذه الأحوال لم يدرك ما أراد من حاجته، لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به"¹³. وكان الفيلسوف (بيدبا) بهذا المثل يوعز للملك (دبشليم) ضرورة السعي لاختيار الرفقاء والوزراء والحاشية، ليكونوا عوناً له في تدبير شؤون الحكم. ومن خلال هذه الدعوى الحجاجية يرتسم السلم الحجاجي الجزئي لهذا المثل وفق الآتي:

13- ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص 57.

ن النتيجة: السعي لاختيار واكتساب الصديق والرفيق المعين.

ح الحجة: الدنيا تتطلب رفقة وصحبة تعين الإنسان على شؤون الحياة.

2- مثل الرجل الهارب من الموت

لم يكتف الفيلسوف (بيدبا) بدعوى السعي لاكتساب الرفقة الحسنة المعينة على أمور الحياة والحكم، وإنما ضرب مثلاً عن حال الذي يخاف ويتردد من ذلك، وما يؤول إليه حاله، ومثله بالرجل الهارب من الموت؛ بمعنى الشخص الذي يفرّ من البحث عن الرفقاء ويتحرى صدقهم ومشورتهم، فكلما ألمّ به خطب في الحياة لم يجد معينا لذلك، وقفز إلى الأمام هاربا، ليصطدم بهول جديد. وهذا بقية حاله إلى أن يقضي عليه هول من الأهوال، وقد عاش حياته مترددا خائفا في طلب الأمور دون سعي أو بحث. وهذا حال الأسد في باب (الأسد والثور)، إذ راعه حوار الثور (شتربة)، وبقي مراوحا مكانه خائفا مذعورا من شدة صوت الحوار، مستسلما لأوهامه وظنونه ووساوس نفسه، لا يسعى إلى كشف حقيقة الأمر، " فلما سمع حوار الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولا سمع حوار خاومه منه هيبية وخشية وكره أن يشعر بذلك جنده، فكان مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط "14. وهذا حال الذي لا يسعى لكسب الرفقاء والأصدقاء ولا يخالط الناس ويمحص معادئهم، لأنه يبقى مكانه خائفا مترددا من هذه المخالطة.

14- ابن المقفع، كلية ودمنة، ص60.

لقد أراد الفيلسوف (بيدبا) من هذا المثل استدراك المثل السابق له، ويدعم به النتيجة المحجاجة الجزئية المذكورة في المثال السابق، لتصبح هذه النتيجة المحجاجة الجزئية حجة في ذاتها لدعوى حجاجة جزئية جديدة، على هذا النحو:

ن النتيجة: مخالطة الناس والكشف عن طبيعة معادتهم وسرائرهم.

ح الحجة: اكتساب الرفقاء والأصدقاء والأعوان.

3- مثل القرد والنجار

يبرز هذا المثل واحدا من المنافذ التي يمكن أن يدخل بها النمام الكذوب المحتال ليقطع العلاقة بين الناس، وهذا حين السعي لاكتساب رفقة حسنة، ومخالطة الناس للكشف عن سرائرهم وسجياهم، وما يصحب هذه المخالطة من مساءلة الناس عن أشخاص معينين، أو إظهار خوف من شخص ما. وهذا الخوف غالبا ما يكون مطية النمام المحتال للتقرب من الشخص الخائف، أو السائل عن حقيقة الناس.

وفي هذا المثل احتال ابن آوى (دمنة) من أجل التقرب والتودد من الأسد الملك الذي ظهر عليه الخوف بسبب حوار الثور (شترية)، فاستغل (دمنة) هذا الوضع، وشاور أخاه (كليلة) في الأمر، فنصحه (كليلة) بعدم التكلف والتصنع فيما ليس له أهل، أو ليس من شكله " واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما

ليس من شكله أصابه ما أصاب القرد من النجار¹⁵، ليتداخل هذا المثل مع المثل الذي سبقه. كما يوضح هذا المثل عاقبة الإنسان الذي يتكلف ما ليس له قدرة أو دراية أو علم به.

ومن هذا أراد الفيلسوف (بيدبا) أن يسترسل فيما يعرض على الملك (دبشليم) من آراء ونصائح وتوجيهات، ليبيّن عطفًا على ما سبق أن مخالطة الناس وتقصي طبائعهم يقتضي الاحتراس والحذر في ذلك، حتى لا يستغل الوضع من أهل النميمة والكذب، لأنهم يتصنعون النصيحة والمشورة دون علم أو دراية لأغراض نفعية شخصية. وتبعًا لهذا تشكّل السلم الحجاجي الجزئي في هذا المثل وفق الآتي:

ن النتيجة: الاحتراس والحذر عند مخالطة الناس والتقصي عن طبائعهم.

ح الحجّة: من الناس من يريد التقرب والتزلف بالكذب على الآخرين عند التقصي عن طبائعهم.

4- مثل الثعلب والطلب

هذا المثل يوضح بداية تسلق المتزلف التمام لتحقيق أغراضه الشخصية، فقد علم (دمنة) أن هلع وخوف الملك الأسد سببه حوار الثور (شترية)، فأراد إقناع الملك أن الصوت القوي ليس بالضرورة أن

15- ابن المقفع، كلية دمنة، ص60.

يكون صاحبه سلطانا أو شخصا ذا بأس شديد " وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا إليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا¹⁶ .

ومن خلال هذا المثل أراد الفيلسوف (بيدبا) أن يبرز دهاء وخداع المتزلفين من أجل احتواء أفكار الناس وتضليلهم، لأن الأسد في هذا المثل لو تحرى مصدر الصوت وحقيقته، لما أمكن ذلك (دمنة) التمام الكذب أن يتدخل في أفكار وتصورات الأسد، وما ترك له الأسد منفذا لذلك.

ويمكن رسم السلم الحجاجي الجزئي وفق الشكل الآتي:

ن النتيجة: الاستقلال بالرأي الخاص عند الحكم على الناس لاختيارهم رفقاء.

ح الحجمة: عند الشعور بأن الآخر يحتوي الأفكار ويسيطر بها على الناس.

5- مثل الناسك واللص

هذا المثل يبرز ندم (دمنة) حين كشف حقيقة حوار الثور (شتربة) للأسد، لأن الأسد بعد ذلك سحب الثور (شتربة)، وقربه إليه وأصبح أخصّ وزرائه وحاشيته، وهذا ما دفع بابن آوى (دمنة) إلى الكيد والحيلة للتفريق بين الأسد الملك والوزير الثور، " فلما رأى دمنة أن الثور قد اقتصّ بالأسد دونه ودون أصحابه، وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهو، حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ¹⁷ . وقد اعتقد

16- كلية دمنة، ص67.

17- المصدر نفسه، ص69.

(دمنة) أنه نفع الأسد الملك يجلب الثور (شتربة) وفيه نفعه أيضا، وهذا بإبداء الرأي والنصيحة، لكن ضرر ذلك عاد عليه خسرا ووبالا، فقرر الحيلة.

وفي هذا المثل دعوى لتحمل المسؤولية في كل ما يقرره الإنسان وما يستقل به من آراء وأحكام، لذا يمكن رسم السلم الحجاجي الجزئي على هذا النحو:

ن النتيجة: تحمّل المسؤولية في كل ما يستقلّ به الإنسان من آراء وأحكام.

ح الحجة: استقلال المرء برأيه إن لم تكن منه منفعة أو مصلحة.

6- مثل الغراب والأسود الثعبان وابن آوى

يوضح هذا المثل ما قد يتعرض له الشخص حينما يريد تحمّل مسؤوليات ما يستقل به من آراء وأحكام، وما يمكن أن يواجهه من عقبات أو أعداء وخصوم في هذا الصدد، وما قد ينجر من ملاقات الأعداء الأقوياء الذين لا طاقة للفرد بهم، وإنما سبيله في ذلك الحيلة والمراوغة للتخلص منهم " فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغرر بنفسك وتخطر بها " ¹⁸. وقد رسم السلم الحجاجي الجزئي في هذا المثل كالاتي:

ن النتيجة: التخلص بالمرادغة والحيلة من الأعداء الأقوياء المتمكنين عند الاستقلال بالرأي.

ح الحججة: حينما يحاصر المرء بأعداء أقوياء لا طاقة له بهم.

7- مثل المكاء الطائر والسرطان

يتداخل هذا المثل مع المثل الذي سبقه، ويتعارض معه في النتيجة، إذ يبرز حال الإنسان الذي يريد التخلص من أعدائه ولا قدرة له عليهم، فيستعين بالحيلة ويجعلها منهجا له، دون أن يميز بين صنوف الأعداء والخصوم. ويجعل من هذه الحيلة حلا واحدا مع الجميع، فيسقط في مغبة هذا الاعتقاد وهذا الظن، إلى أن يقع في شرك حيلته التي لم يحسن وضعها موضعها اللائق، " وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال" ¹⁹.

وبهذا أراد الفيلسوف (بيدبا) من خلال هذا المثل أن يبرز حقيقة تتعلق باختيار الحيلة المناسبة لكل عدو وخصم على حدة، من أجل التخلص منه. فتشكّل السلم الحجاجي الجزئي على هذا المنوال:

ن النتيجة: انتقاء الحيلة المناسبة للتخلص من الأعداء والخصوم، تبعا لطبيعة ذلك الخصم والعدو.

ح الحججة: بعض الحيل تكون مهلكة لصاحبها حينما لا يراعي طبيعة عدوه وخصمه.

8- مثل الأرنب والأسد

يظهر هذا المثل حسن اختيار الحيلة للتخلص من العدو القوي المتمكن، مهما كان ضعف المُتَحَايِلِ، على منوال ما استطاعت الأرنب بحيلتها مع صغر حجمها وضعفها أن تقتل الأسد بالرغم من قوته وسطوته. وهذا الأمر ذاته الذي عزم (دمنة) فعله، من أجل التخلص من غريمه الثور (شترية)، الذي أصبح أقرب المقربين من الأسد، علما أن حسن اختيار الحيلة يجب أن يكون نافذا في الخصم دون أن يلحق أذى بالآخرين، وهذا ما يؤكد الحوار الذي دار بين (كليلة) وأخيه (دمنة) " قال كليلة: إن قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للأسد فشأنك، فإن الثور قد أضربني وبك وبغيرنا من الجند، وإن أنت لم تقدر على ذلك إلا بهلاك الأسد فلا تقدم عليه فإنه غدر مني ومنك"²⁰.

ويمكن رسم السلم الحجاجي الجزئي لهذا المثل على النحو الآتي:

ن النتيجة: ضرورة أن تكون الحيلة المنتقاة نافذة في العدو المقصود، دون إلحاق الضرر بغيره.
ح الحجّة: اختيار الحيل قد يلحق الضرر بصاحبها أو بالأبرياء حين محاولة التخلص من العدو.

9- مثل السمكات الثلاث

هذا المثل يحفز صاحب الحيلة المنتقاة بالإسراع في تنفيذ ما عزم عليه للتخلص من أعدائه الأقوياء، لأن تقاعسه وتهاونه يجعله في دائرة العاجز عن الفعل. وما أراد الفيلسوف (بيدبا) من خلال هذا المثل هو

20- كلية ودمنة، ص78.

التعجيل بالرأي والتدبير في معالجة الأمور دون عجلة أو تسرع " غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا ييأس على حال ولا يدع الرأي والجهد "21. وقد بني السلم الحجاجي الجزئي في هذا المثل كآلاتي:

ن النتيجة: التعجيل والإسراع في تنفيذ الأمر دون عجلة وتسرع.

ح الحجّة: بقاء الأمر والرأي دون تنفيذ باب من أبواب العجز والقصور.

10- مثل القملة والبرغوث

هذا المثل يعرض عاقبة من رأى الرأي ولم يسرع في تنفيذه، لأنه سيحسب عليه عجزاً وضعفاً، وهو ما يمكن منه أعداءه المتربصين له، وإن كانوا من المقربين منه، " وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد، وإن هو ضعف عن ذلك جاء الشرّ بسببه "22.

وقد جاء السلم الحجاجي في هذا المثل وفق النحو الآتي:

ن النتيجة: الحذر والحيطه من انقلاب الحيلة والرأي حين التباطؤ في تنفيذها.

ح الحجّة: التباطؤ والتعاس في إنفاذ الرأي أمام الخصوم والأعداء.

21- كلية ودمنة، ص80.

22- المصدر نفسه، ص82.

11- مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل

في هذا المثل تحذير من انقلاب الحيلة على صاحبها أمام أعدائه المتربصين به، وبخاصة إن اجتمعوا عليه مع ضعفهم مقابل قوته، " فإنه إذا اجتمع المكررة الظلمة على البريء الصالح كانوا خلقاء أن يهلكوه، وإن كانوا ضعفاء وهو أقوى"²³. ولهذا أراد الفيلسوف (بيدبا) في هذا المثل أن ينبه إلى ما أشار إليه فيما سبق هذا المثل من أمثال. وعليه فإن سلم الحجاج قد ورد على هذا النحو:

ن النتيجة: انقلاب الحيلة على صاحبها قد يهلكه من أعدائه المجتمعين عليه وإن كانوا ضعفاء.

ح الحجّة: اجتماع الأعداء المتربصين على القوي حتى وإن كانوا ضعفاء.

12- مثل الموكل بالبحر مع الطيطوى

يوضح الفيلسوف (بيدبا) في هذا المثل حال المحتقر لأعدائه الضعفاء، لأنهم إذا ما اجتمعوا عليه أهلكوه

"وقد قيل: لا تحقرن العدو الضعيف المهين، ولا سيما إذا كان ذا حيلة ويقدر على الأعوان"²⁴.

ن النتيجة: عدم الاستهزاء والاستخفاف بالعدو الضعيف.

ح الحجّة: قدرة الضعفاء المجتمعين المتراصين إهلاك العدو القوي.

23- كلية ودمنة، ص88.

24- المصدر نفسه، ص91.

13- مثل البطين والسلحفاة

هذا المثل يرسم عاقبة المنصوح الذي لا يأخذ بالنصيحة والمشورة، ويبرز أن عاقبته الهلاك والموت،
بدليل أن " من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطين " ²⁵. وهذا
حال المغترّ برأيه الذي لا يأخذ بأسباب السلامة والحذر والحيلة.

ن النتيجة: الأخذ بالنصيحة أتى كانت، وكيفما جاءت.

ح الحجّة: المرء الذي لا يراعي نصيحة ناصح عند استخفافه بأعدائه مآله الهلاك.

14- مثل القروود والطائر والرجل

في هذا المثل يبرز الفيلسوف (بيدبا) أن الأعداء والخصوم المتكالبين على الإنسان لا يستقيمون ولا
يعتدلون، وإن بذل لهم الإنسان النصح وطريق الاستقامة، لأنهم جبلوا على ذلك. فالقيام على تقويمهم هدر
للوقت والجهد، "لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، ولا تعالج تأديب ما لا يتأدب" ²⁶.

ن النتيجة: عدم تضييع الوقت والجهد في نصح من لا ينتصح، وتقويم من لا يستقيم.

ح الحجّة: طبائع الأعداء المجهولين على الاعوجاج وقلة الرأي.

25- كلية ودمنة، ص92.

26- المصدر نفسه، ص95.

15- مثل الحَبِّ والمغفل

أراد الفيلسوف (بيدبا) في هذا المثل أن يؤكد عاقبة الحَبِّ وهو الخيـث والخداع والمكر، فإذا أراد الشخص المتمكّن من الحيلة التغلب على أعدائه، رغم ما بذل لهم من نصـح وتوجيه، إلا أنهم فطروا على الاعوجاج، فما عليه إلا إنفاذ أمره الذي رأى، دون أن يُليسه ثوب المكر والخداع، وإلا انقلب عليه الأمر، وأصبح محل شبهة وتهمة بين الناس، وانزوى بذلك عن طريق العدل والإنصاف إلى سبيل الخداع والفجور، كما أكد ذلك (كليلة): "قد غلب عليك الحَبِّ والفجور وهما خلّتا سوء، والحَبِّ شرهما عاقبة"²⁷.

ن النتيجة: اجتناب الخداع والمكر في إنفاذ الأمور وبخاصة في مواجهة الأعداء.

ح الحجة: الماكر الخداع محل اتهام بين الناس حين يأخذ حقه، حتى وإن كان صاحب حق.

16- مثل العلجوم والحية

هذا مثل المخادع المحتال الذي ينصب فخا لخصومه وأعدائه ظنا منه أنه سيتخلص منهم، لكن يوقعه خداعه في شرّ وقعة " ربّ متحليل أوقعه تحيله في ورطة عظيمة لا يقدر على الخلاص منها "²⁸. وقد ضرب الفيلسوف (بيدبا) هذا المثل ليبين أن الإنسان المخادع المحتال الذي يقصد أخذ حق له، قد يوقعه خداعه واحتياله في شرّ أعماله، وينقلب أمره إلى ندامة.

وعلى هذا فإن السلم الحجاجي الجزئي لهذا المثل قد كان على النحو الآتي:

27- كليلة ودمنة، ص96.

28- المصدر نفسه، ص97.

ن النتيجة: الاحتراس والتنبه لما يحتال به على الأعداء، كي لا ينقلب الأمر على صاحبه.

ح الحجة: الختال المخادع الذي لا يحسن تقدير العواقب، ولا يحسب آخر خطوة من أمره.

المخطط العام للحجاج في باب (الأسد والثور):

ن ← النتيجة : ضرورة احتراس المتحايين من النمام الكذوب الذي يسعى لإفساد المودة والمحبة.

ح16 : الاحتراس والتنبه لما يحتال به على الأعداء كي لا ينقلب الأمر على صاحبه.

ح15 : اجتناب الخداع والمكر في إنفاذ الأمور أمام الأعداء.

ح14 : عدم تضييع الوقت والجهد في نصيح من لا ينتصح وتقويم من لا يستقيم.

ح13 : الأخذ بالنصيحة وإسداؤها للآخرين.

ح12 : عدم الاستهزاء والاستخفاف بالأعداء والضعفاء.

ح11 : هلاك صاحب الحيلة بانقلابها عليه أمام أعدائه الضعفاء المجتمعين عليه.

ح10 : الحذر والحيطه من انقلاب الحيلة على صاحبها عند التباطؤ في التنفيذ.

ح9 : التعجيل والإسراع في إنفاذ الأمور دون عجلة أو تسرع أو تهور.

ح8 : الحيلة المنتقاة يجب أن تكون نافذة في العدو المقصود دون أن تضر بغيره.

ح7 : الحيل التي لا تراعي طبيعة العدو مهلكة لأصحابها.

ح6 : التخلص بالحيلة من الأعداء عند الاستقلال بالرأي.

ح5 : تحمّل مسؤولية ما يستقل به الإنسان من آراء وأحكام.

ح4 : الاستقلال بالرأي عند الحكم على الناس لاختيار الرفقاء.

ح3 : الاحتراس والحذر عند مخالطة الناس وتقصي طبائعهم.

ح2 : مخالطة الناس والكشف عن طبيعة معادتهم وسرائرهم.

ح1 : السعي لاختيار الرفقة الحسنة المعينة على أمور الحياة.

يستنتج الباحث من خلال هذا التعمق والتفصيل لباب (الأسد والثور) ذلك التداخل الحاصل بين الأمثال المؤلفة لهذا الباب، وكذا الآلية التي أنشأت الحجج الجزئية للوصول إلى النتيجة الحجاجية العامة لباب (الأسد والثور). فكل مثل يشكل حجة ونتيجة، وهو في الوقت ذاته تأسيس للحجج الجزئية لنتيجة الباب من كتاب (كليلة ودمنة). وهذا التشابك في بناء منظومة حجاجية داخل ذهن المتلقي يساعده على التدرّج والتنقل من جزئية إلى أخرى كي يحقق الحجج مقاصده.

2-2-2/ باب الفحص عن أمر دمنة

يسعى الباحث في هذا الباب، وكذا في الأبواب الموالية له، إلى اختصار وإيجاز الدراسة لتبيان السلام الحجاجية الجزئية لكل باب على حدة، وهذا راجع لتشابه الأبواب في بنيتها العامة، وتجنبنا للتكرار سيقصر الباحث على تحديد السلم الحجاجي لكل باب في شكله العام، ثم تحديد حججه مرتبة قياساً بمحتوى أمثال الباب.

لقد ورد الباب الثاني لكتاب (كليلة ودمنة) ليرز مصير التمام المحتال الذي يسعى إلى إفساد علاقة المتحايين، ويؤكد أن لكل صاحب عمل سيء عاقبة من جنس ذلك العمل، مهما كانت معاذيره وحججه ليدفع تهمته ثابتة اقترف جرمها "فحدثني إن رأيت بما كان من حال دمنة وإلام آل إليه ماله بعد قتل شترية، وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه، حين راجع الأسد رأيه في الثور وتحقق النميمة من دمنة، وما كانت حجته التي احتجّ بها"²⁹.

إن الفيلسوف (بيدبا) يبين في هذا الباب أن الأسد الملك قد ندم ندما شديدا على قتل وزيره الثور (شتربة) بسبب العجلة والتسرّع، دون إعمال البحث والتحقيق فيما تُسبب إلى هذا الثور من تهم ظهر بطلانها بعد ذلك، وهذا فعل النميمة والخداع بين المتحايين، غير أن الأسد الملك بدأ بعدها بالبحث والتقصي عن حقيقة ما اقترفه ابن آوى (دمنة). وفي هذا الباب إشارة إلى أن مبدأ البحث والتقصي كان لا بد منه قبل (دمنة)، وإنما استوجب العمل به منذ البداية مع ما وُجّه من تهم للثور (شتربة)، وعلى هذا فقد بني سلم الحجاج في هذا الباب وفق المنوال الآتي:

ن النتيجة: الجزء من جنس العمل، وجرم التّمام لا بد أن ينكشف ويعاقب عليه.

ح الحجج: مجموعة الأمثال الواردة في هذا الباب.

وبالنظر إلى الأمثال الواردة في هذا الباب يصبح شكل السلم الحجاجي على النحو الآتي:

ن النتيجة: معاقبة (دمنة) بسبب نميته ووشايته الكاذبة التي قتلت بريئا.

ح3: مثل الرجل والمرأتين.

ح2: مثل المتطبّب الكاذب.

ح1: مثل المرأة والمصورّ والعبد.

وعند الكشف عن مغزى هذه الأمثال يتضح أن:

المثل الأول: يعالج قضية التباس الأمور على صاحبها، فلا يميّز بين الصحيح والخاطئ منها " وإن الباطل قد يتلبس بالحق حتى يتشابهما "30، كما حدث للملك الأسد الذي اختلطت عليه الأمور حين سمع لتمام محتال يثق به، وقتل بريئا كان يثق به قبل النميمة. وفي هذا المثل يدعو الفيلسوف (بيدبا) إلى ضرورة التحقق والتقصي في دقائق الأمور قبل رمي التهم جزافا.

المثل الثاني: هو تأكيد لما قبله وتدعيم له، من جهة الأخذ من رأى وعلم، عند التحقيق والتقصي لكشف خبايا الأمور، لأن الأخذ ممن لم ير وسمع فقط جرم في حد ذاته. وتأكيد ذلك ما ورد في كتاب (كليلة ودمنة): "وقد قالت العلماء: من يشهد بما لم ير ويقل ما لا يعلم يصيبه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه إني أعلمه "31.

المثل الثالث: يعالج أمرا خطيرا عند الشهادة، متعلق بالشخص الشاهد والقضية التي يدلي فيها بشهادته، فمن المفارقة أن يشهد المرء على جرم موجود في الناس، وينسى أنه مفطور على ذلك الجرم. الفيلسوف (بيدبا) يدعو من خلال هذا المثل إلى انتقاء واختيار الشاهد عند التحقيق والتقصي، " وما مثلك في ذلك إلا مثل رجل قال لامرأته انظري إلى عريك وبعد ذلك انظري إلى عري غيرك "32.

واعتمادا على دعوى هذه الأمثال، يمكن للباحث أن يتصور شكل السلم المحجاجة لباب (الفحص

عن أمر دمنة) على النحو الآتي:

30- كلية ودمنة، ص105.

31- المصدر نفسه، ص110.

32- المصدر نفسه، ص112.

ن النتيجة: جرم التّمام المحتال مكشوف لا محالة، وعاقبته الهلاك بعد التحقق والتقصّي.

ح3: انتقاء واختيار الشاهد، ممن نلت نفسه من أمر يشهد به.

ح2: التمييز بين الشهود عند التحقيق، والأخذ ممن شهد ورأى الوقائع.

ح1: ضرورة التحقيق والتقصّي لكشف خبايا الأمور.

2-2-3/ باب الحمامة المطوّقة

هذا الباب يخالف في عرضه ما سبقه من الأبواب، لأنه يتطرق إلى مجال صناعة المودّة والمحبة بعيدا

عن الأحقاد والضغينة، فقد أراد الفيلسوف (بيدبا) من خلال ما حذر منه فيما سبق، تنوير الملك (دبشليم)

لما يكون عليه حال الأحبة والمتصافين والمتعاونين عند الشدائد، لأن " العاقل لا يعادل بالإخوان شيئا،

فالإخوان هم الأعوان على الخير كله والمؤانسون عندما ينوب من المكروه " ³³. وعليه فقد كانت دعوى

الحجاج في هذا الباب متمثلة في ضرورة اختيار الأصدقاء والتودّد لهم، لأنهم المعين على المحن.

وقد بني هذا الباب على أمثال تتداخل فيما بينها لتشكّل تلك الدعوى الحجاجية العامة لذلك الباب، وفق

التصوّر الآتي:

ن النتيجة: ضرورة اختيار الإخوان والأصدقاء والاستعانة بهم في الشدائد.

ح4: مثل الذئب ووتر القوس.

ح3: مثل المرأة والسسم.

ح2: مثل الجرذ والناسك.

ح1: مثل الحمامة والجرذ والظبي والغراب.

وحين التعمق في محتوى هذه الأمثال المتداخلة، والنظر في الدعوى الحجاجية من وراء كل مثل، يتضح

السلم الحجاجي العام لهذا الباب على النحو الآتي:

ن النتيجة: ضرورة اختيار الإخوان والأصدقاء والاستعانة بهم في الشدائد.

ح4: نبذ الأنانية والجشع أمام الجماعة المتحابّة.

ح3: الإسراع في البذل والجود لصيانة الجماعة المترابّة.

ح2: تكاثف الجماعة المتحابّة المترابّة يبعث على خوف الخصم والعدو.

ح1: تعاون الجماعة كفيل برد الأذى والمصائب.

ووفق هذا المنحى فإن توافر هذه الحجج الجزئية كفيلاً - في نظر الفيلسوف (بيدبا) - بتقوية أو اصرار المحبة بين الناس وتعاونهم فيما بينهم، " فالإنسان الذي قد أعطى العقل والفهم، وألهم الخير والشر، ومُنح التمييز والمعرفة، أولى بالتواصل والتعاقد³⁴

4-2-2 / باب اليوم والغربان

في هذا الباب يعرض الفيلسوف (بيدبا) مسألة حساسة وخطيرة، تحدث داخل دائرة الحكم أو بين أفراد المجتمع، تتمثل في الحذر والحيطه من العدو مهما أظهر من مودّة ومحبة، لأن عاقبة الأمر حينذاك وخيمة. وهذا عين ما سأل عنه الملك (دبشليم): " فاضرب لي مثل العدو الذي لا ينبغي أن يغترب به وإن أظهر تضرعاً وملتقاً، وأخبرني عن العدو هل يصير صديقاً؟ وهل يوثق من أمره بشيء؟ وكيف العداوة وما ضررها؟ وكيف ينبغي للملك أن يصنع إذا طلب عدوه مصالحته؟³⁵

ومن أجل أن يجيب الفيلسوف (بيدبا) عن تساؤلات الملك (دبشليم)، ساق في هذا الباب مجموعة من الأمثال المتألفة والمتداخلة، لتشكل في نهاية المطاف الدعوى الحجاجية لهذا الباب، وهي الحذر والحيطه من العدو كيفما كان، ومهما أظهر من تودّد أو رغبة في صلح، لأنه عدو ويبقى على هذه الصورة في كل الأحوال. وعلى هذا النسق تألّف السلم الحجاجي وفق الآتي:

34- كلية ودمنة، ص133.

35- المصدر نفسه، ص134.

ن النتيجة : لا جدوى من اتخاذ العدو صديقا، ووجوب الحذر والحيطه منه، وإن أظهر تملقا وتوددا.

- ح8 : مثل الأسود وملك الضفادع.
- ح7 : مثل الناسك والفأرة المحولة جارية.
- ح6 : مثل الرجل واللصوص.
- ح5 : مثل الناسك واللصّ والشيطان.
- ح4 : مثل الرجل وامراته واللصّ.
- ح3 : مثل الناسك والغريص واللصوص.
- ح2 : مثل الصفرد والأرنب والستور والصوام.
- ح1 : مثل ملك القبيلة ورسول الأرنب.

وعند تقصي محتوى كل مثل على حدة، وإعمال النظر في مغزاه وفي دعواه الحجاجية الجزئية، يتضح جليا مجموع الحجج الجزئية المستعملة في هذا الباب، على النحو الآتي:

ن النتيجة : العدو عدو مهما أظهر من تقرب وتودد، ولا يمكن مصاحبته وملازمته.

- ح8 : تحمّل العدو للمهانة والمذلة في سبيل الخلاص من أعدائه.
- ح7 : طبائع الأعداء غالبه عليهم، حتى وإن أضمرورها وأخفوها.
- ح6 : الاحتراس من تكذيب الحقيقة وتصديق الظن والخديعة.
- ح5 : معاداة الأعداء بعضهم بعضا، وانشغالهم عن الشخص منفعه له أحيانا.
- ح4 : ائتمان العدو الذليل المستجير طمعا في منفعته ومشورته.
- ح3 : لجوء المضطر إلى الحيلة والرفق لتحقيق مآربه من أعدائه.
- ح2 : الحذر من الاحتكام إلى السلطان المخادع، أو الإنسان الماكر في شؤون الحياة.
- ح1 : صلاح وزراء وأعوان الملك حماية له من جهل نفسه وتربص أعدائه.

2-2-5/ باب القرد والغليم

في هذا الباب يبرز الفيلسوف (بيدبا) للملك (دبشليم) حكمة في الحياة، تتعلق بأمر تدبير الحكم وتسييره، كما أنها فائدة للإنسان في الحياة عموماً، تتجلى في قدرة المرء -أيًا كان- المحافظة على مكتسباته، "فطلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها، ومن ظفر بالحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغليم"³⁶ وهو ذكر السلحفاة الذي صحب قرداً ولزمه، لكنه لم يحسن المحافظة على هذه الصحبة، وأهلكه في ذلك طمعه وجشعه. وهذا حال الإنسان الذي يتحصل على أمر في حياته، ولكنه لا يقدر ثمنه وقيمته، ولا يحسن رعايته وتعهدده بسبب طمعه إلى ما هو أكثر من ذلك، فيخرج خلي الوفاض في آخر المطاف، فلا هو حافظ على ما اكتسب، ولا هو وصل إلى بغيته فيما هو أكثر وأرفع، وهذا راجع لا محالة إلى انسياقه وراء ظنونه وتوهمه. ولتأكيد هذه القضية أورد الفيلسوف (بيدبا) مثلاً لذلك، هو حال الحمار الذي صدق أن الأسد حمار مثله، لأنه لم ير أسداً قط، فانقض عليه الأسد رفقة ابن آوى وافترساه.

وعلى هذا الأساس تشكل السلم الحجاجي لهذا الباب وفق الآتي:

ن النتيجة: الخوف والحذر من ضياع المكتسبات بسبب الطمع والجشع.

ح: طمع المرء وانسياقه وراء مآربه كفيل بتضييع ما كان يملكه.

2-2-6/ باب الناسك وابن عرس

يصوّر هذا الباب حال الإنسان المستعجل للأمور، دون تدبّر أو تروّ أو تقدير لعواقب العجلة، لأنه

" من لم يكن مشتبها لم يزل نادما ويصير أمره إلى ما صار إليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودودا"³⁷، ثم إن " الأمر إذا فرط [جرى] مثل الكلام إذا خرج والسهم إذا مرّق [نفذ] لا مردّ له "³⁸. وقد أراد الفيلسوف (بيدبا) تنبيه الملك (دبشليم) إلى لزوم التريث والتدبّر في الأمور، وإعمال الفكر والنظر فيها بعيدا عن العجلة والتهور. وعليه فإن السلم الحجاجي في هذا الباب قد تجسد على المنوال الآتي:

ن النتيجة: التريث والتدبّر في عواقب الأمور دون تهوّر أو تسرّع.

ح: استعجال تحقق الأمور والتهور في اتخاذ القرار باب للندامة والحسرة.

2-2-7/ باب الجرذ والستور

هذا الباب يوضح حال الضعيف الذي تكثّر حوله الأعداء، فيلزم موالة واحد من أعدائه لغاية

النجاة والأمن، " ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربتة والاستنجاد به على دفع

37- كلية ودمنة، ص164.

38- المصدر نفسه، ص166.

مرهوب أو جرّ مرغوب، ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بجاحته³⁹. وقد وجّه الفيلسوف (بيدبا) هذا الرأي للملك (دبشليم) على سبيل النصيحة حين يكثر الأعداء، ويصبح المخرج والمنفذ موالاة أشدهم قوة وأقربهم نفعا.

ن النتيجة: موالاة أشدّ الأعداء قوة وأكثرهم نفعا وأوفرهم أمنا.

ح: الضعيف الذي تتكالب عليه الأعداء وتقل حيلته لمواجهةهم.

2-2-8/ باب الملك والطائر فترة

هذا الباب استدراك لما قبله، فإن كان لزاما أن يوالي الضعيف أقوى أعدائه، فعليه أن يكون شديد الحذر من والى منهم، لأن الأمور متغيرة والطبائع غالبية على أصحابها، فقد يضعف العدو الذي والاه واستجار به، فيجتمع على الضعيف ضعفه وضعف مجيره أمام أعدائه فيكون هلاكه، أو قد يغدر العدو وينتقم من الضعيف الذي أظهر موالاته له، لأن " الأحقاد مخوفة حيث كانت وأخوفها وأشدّها ما كان في أنفس الملوك، فإن الملوك يدينون بالانتقام ويرون الدرك والطلب بالوتر مكرومة وفخرا⁴⁰ .

ن النتيجة: حذر الضعيف من عدوه إن هو طلب موالاته.

ح: تقلب موازين القوى وتغلب طبائع الأعداء في وجه الضعيف.

39- كلية ودمنة، ص167.

40- المصدر نفسه، ص174 و 175.

2-2-9/ باب الأسد وابن آوى الناسك

في هذا الباب حال " الملك الذي يراجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب"⁴¹، ويرى الفيلسوف (بيدبا) أنه على الملك والسلطان مراجعة أحكامه وقراراته وبخاصة ما ارتبط منها بوزرائه وأعوانه، من الذين لحقتهم منه مضرة وعقوبة دون ذنب اقترفوه، لأن " المُلْك لا يستطيع ضبطه إلا مع ذوي الرأي وهم الوزراء والأعوان، ولا يُنتفع بالوزراء والأعوان إلا بالمودعة والنصيحة، ولا مودعة ولا نصيحة إلا لذوي الرأي والعفاف"⁴².

ن النتيجة: ضرورة مراجعة الملك لأحكامه الصادرة في أعوانه حتى لا يتفرق جمعه.

ح: الوشاية والضغينة سبيل لمعاقبة من لا جرم له ولا ذنب اقترفه.

2-2-10/ باب الإسوار واللبؤة والشعهر

أراد الفيلسوف (بيدبا) في هذا الباب أن يبين للملك (دبشليم) حال الإنسان الذي يتعظ مما لحقه من ضرر وأذى من الناس، فيظهر اعتباره وأتعاضه بكف يده عن الناس، لأنه ذاق مرارة الظلم

41- كلية دمنة، ص178.

42- المصدر نفسه، ص178.

والضرر، و"ربما أتعتظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن أن يعشى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان، وحصل له نفع ما كفّ عنه من ضرره في العاقبة" ⁴³.

ن النتيجة: كفّ الأذى عن الناس منفعة لصاحبه.

ح: ما يلقاه الإنسان من ضرر وأذى الناس كفيل بأن يردعه عن ظلمهم والإساءة إليهم.

11-2-2 / باب إيلاذ وشادرم وإيراخت

هذا الباب يعرض أسباب بقاء المُلك، ودعائم تثبيته، ولعل أهمها كما يبرز ذلك الفيلسوف (بيدبا) الحِلْم، لأن "أحقّ ما يحفظ به المَلِكُ مُلْكُهُ الحِلْمُ، وبه تثبت السلطنة، والحلم رأس الأمور، وملاكها وأجود ما كان في الملوك" ⁴⁴.

ن النتيجة: الحِلْم في كل المواقف سبب لبقاء المُلك والسؤدد.

ح: الغضب والعجلة في تنفيذ الأمور ضياع ومهلكة وندم وحسرة.

43- كلية دمنة، ص187.

44- المصدر نفسه، ص190.

2-2-12 / باب الناسك والضيف

هذا الباب مثل الإنسان الذي يتخلى عن طباعه وصفاته الأصيلة، ويتكلف غيرها فلا يقدر عليها، ليعود عليه الأمر خسرانا ووبالا، فلا هو عاد سيرته الأولى، ولا هو استطاع التوفيق في الثانية. وحبس نفسه بذلك في دائرة التردد والخوف: " زعموا أن غرابا رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلمها، فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامها وأيس منها، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها، فإذا هو قد اختلط مشيه وتجلع فيه وصار أقبح الطير مشيا⁴⁵ .

ن النتيجة: هلاك المرء حسرة وندما وترددا بسبب التطبع.

ح: محاولة التطبع على حساب الطباع.

2-2-13 / باب السائح والصانع

في هذا الباب تفصيل لحال الإنسان الذي يصنع المعروف في غير أهله ويرجو ثناءهم وشكرهم على صنيعه، لأنه كما أورد الفيلسوف (بيدبا) " ليس أضيع من جميل يُصنع مع غير شاكر ولا أخسر من صانعه⁴⁶ .

45- كلية ودمنة، ص204.

46- المصدر نفسه، ص205.

ن النتيجة: التمييز بين الناس فيمن يستحق صنيع المعروف.

ح: من الناس من لا يشكر صنائع المعروف ولا يقدر حقها.

2-2-14/ باب ابن الملك وابن الشريف

هذا الباب يعرض مفارقة موجودة في الحياة، تتمثل في نيل الجاهل للخير والرفعة أحيانا، بينما يصيب الحكيم العاقل البلاء والضرر في أحيان كثيرة، وقد أقرّ الفيلسوف (بيدبا) أن هذا الأمر من تدبير القضاء والقدر الذي لا بدّ من التسليم به. فأمر الحياة وأرزاقها لا تجري على العقول وعلى المعرفة، وإنما للجاهل وللبهائم نصيب ينالها من هذه الأرزاق " فليعرف أهل النظر في الأمور أن جميع الأشياء بقدر الله وقضائه، وأن الإنسان لا يجلب إلى نفسه محبوبا ولا يدفع عنها مكروها إلا بإذن الله تعالى "47.

ن النتيجة: التسليم بالقضاء والقدر في تسيير الأمور.

ح: عجز الإنسان في حياته عن جلب أمر مرغوب فيه ودفع آخر مرغوب عنه.

2-2-15/ باب الحمامة والتعلب ومالك الخزين

هذا الباب خاتمة أبواب كتاب (كليلة ودمنة)، وقد أراد الفيلسوف (بيدبا) من خلاله أن ينبّه إلى فائدة عظيمة يغفل عنها الكثير من الناس، وبخاصة أصحاب الرأي والنصيحة، وهي تتمثل " في شأن الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه " ⁴⁸. وكان الفيلسوف (بيدبا) يخصّ ذاته بهذا الأمر قبل الملك (دبشليم)؛ فقد وقف منه موقف الناصح الأمين المخلص للملكه، فلم ينس نفسه في هذا الصدد، ووجه الأمر للملك ولنفسه، بضرورة التماس النصيحة للنفس قبل الغير، فلا خير في نصيحة ينتفع بها الناس ولا ينتفع بها صاحبها، ونفس المرء أولى وأوجب بالخير والمنفعة.

ن النتيجة: ضرورة أن ينتفع الإنسان بنصائحه قبل غيره.

ح: نفع الناس بالنصيحة قبل نفس الناصح منقصة ومهلكة له.

محصولة السلام الحجاجي لأبواب كتاب (كليلة ودمنة):

اعتمادا على ما سبق عرضه وتفصيله، يرى الباحث أن أبواب كتاب (كليلة ودمنة) تمثل مجتمعة حججا متداخلة، لتشكل النتيجة الحجاجية العامة لهذا الكتاب، وعلى هذا يمكن للباحث أن يشير إلى أن بنية الحجاج في كتاب (كليلة ودمنة) قد تأسست على حجج كبرى هي أبواب ذلك الكتاب، ثم توزّع مضمون كل باب في سلسلة من الأمثال المترادفة والمتتابعة، التي تضافرت فيما بينها لتشكل الحجة الكبرى. وغاية الوصول إلى المغزى العام وإلى النتيجة النهائية لكتاب (كليلة ودمنة)، وفق الرؤية الآتية:

(ن) ← النتيجة العامة لكتاب (كليلة ودمنة): معارضة الملك في شؤون تسيير الحكم، والسعي لصفه

عن الظلم، وإعادته للعدل والإنصاف.

ح15 ← ضرورة أن ينتفع الإنسان بنصائحه قبل غيره.

ح14 ← التسليم بالقضاء والقدر في تسيير الأمور.

ح13 ← التمييز بين الناس فيمن يستحق صنيع المعروف.

ح12 ← هلاك المرء حسرة وندما وتردداً بسبب التطبع المردود على حساب الطبايع.

ح11 ← الحلم في كل المواقف سبب لبقاء الملك وسؤدد الإنسان.

ح10 ← كف الأذى عن الناس منفعة لصاحبه.

ح9 ← ضرورة مراجعة الملك لأحكامه الصادرة في أعوانه حتى لا يتفرق جمعه.

ح8 ← حذر الضعيف من عدوه، إن هو طلب موالاته واستجار به.

ح7 ← موالاته أشد الأعداء قوة وأكثرهم نفعا وأمنا، حينما تتكالب الأعداء على الفرد.

ح6 ← التريث والتدبر في عواقب الأمور دون تهور أو تسرع.

ح5 ← الخوف والحذر من ضياع المكتسبات بسبب الطمع والجشع.

ح4 ← العدو عدو مهما أظهر من تقرب وتودد، ولا يمكن مصاحبته وملازمته.

ح3 ← ضرورة اختيار الإخوان والأصدقاء والاستعانة بهم في الشدائد.

ح2 ← جرم التمام المحتال مكشوف لا محالة، وعاقبته الهلاك بعد التحقق والتقصي.

ح1 ← ضرورة احتراس المتحايين من النمام الكذوب الذي يسعى لإفساد المودة والمحبة.

خلاصة الفصل:

سعى الباحث في هذا الفصل إلى تفصي السلام الحجاجية المؤلفة للبنية العامة لكتاب (كليلة ودمنة)، فأفضى به التحليل إلى جملة من الاستنتاجات الجزئية المتعلقة بالسلم الحجاجي العام لذلك الكتاب، أو تلك المرتبطة بالسلام الحجاجية الجزئية المشكّلة لكل باب من أبواب كتاب (كليلة ودمنة). ومن أبرز الاستنتاجات وأهمها الآتي:

- 1 - عناوين أبواب كتاب (كليلة ودمنة) دالة على مجال القصد، فكلما ذكر (الأسد) مثلا كان المقصود الملك ودائرة السياسة والحكم، وكلما ذكر حيوان أقل وأضعف دلّ ذلك على أن المقصود شخص أبعد ما يكون عن شؤون الحكم، أو خارج محيط السياسة.
- 2 - تفاوت أبواب كتاب (كليلة ودمنة) من حيث عدد الأمثال المدرجة فيها، فكلما كان الأمر متعلقا بالسياسة وشؤون الحكم كلما كثرت أمثال الباب، وحينما تتعلق الأمور بالحياة الاجتماعية تقلّ الأمثال. وهذا راجع إلى طبيعة المجالين؛ فالسياسة أمورها كثيرة ومتداخلة ومعقدة، لذا تفرز قضايا كثيرة. أما الجانب الاجتماعي فبالرغم من تعقيداته إلا أنه يمثل علاقة فرد بآخر أو جماعة بآخرى، وهذه العلاقة تتجسد في قضية معينة دون بقية القضايا الأخرى.
- 3 - أبواب كتاب (كليلة ودمنة) ترسم في ذهن المتلقي حلقات متداخلة فيما بينها، وكلما اتسعت حلقة منها انصهرت في الحلقة الموالية لها. وفصل واحدة منها كفيلا بتغيب مقاصد وأهداف الكتاب، بالرغم من إمكانية دراسة كل باب على حدة، غير أن هذه الدراسة لا تفضي إلا لجزء لا لكل مقصود من الكتاب.
- 4 - سلم الحجاج في كتاب (كليلة ودمنة) منسوج على منوال ما نسجت عليه أبواب الكتاب وأمثال الباب الواحد منه، والتداخل الحاصل بين الأمثال والأبواب ولّد بدوره تداخلا بين السلام الحجاجية الجزئية التي تشكّل في آخر المطاف السلم الحجاجي العام لهذا الكتاب.

- 5 - اتجاه السلام الحجاجية في كتاب (كليلة ودمنة) يسير تصاعديا، فكلما ارتقى سلم الحجاج كانت الحججة أقوى من سابقتها، وفي هذا تدعيم للنتيجة الحجاجية، وتأثير في المتلقي لقبول تلك النتيجة الحجاجية.
- 6 - بنية أبواب كتاب (كليلة ودمنة) من حيث مضامينها تكاد تتكرر بنفس الطريقة داخل الباب الواحد أو بين الأبواب، بالرغم من اختلاف موضوعاتها، إلا أنها تصبّ في معين واحد، وهو هدف الكتاب.
- 7 - الغاية من التكرار المقصود في بناء كتاب (كليلة ودمنة) أو بناء محتوياته هو توجيه المتلقي نحو المقاصد المرجوة من الكتاب؛ إذ يصبح شكل البناء المتكرر على نفس النسق بمثابة قوالب مرسومة في ذهن المتلقي، وهذا ما يساعده على تقبل وفهم ما يُصبّ في تلك القوالب.
- 8 - عنصر السرد آلية من آليات الحجاج، فالحكاية التي تتفرع إلى أمثال يربط بينها هذا العنصر، ولا تصبح النتائج الحجاجية مجرد توجيهات عامة تلقى في ذهن المتلقي، وإنما ترسم له واقعا وفضاء تحركه شخصيات وأحداث تدور حول النتائج الحجاجية المقصودة.

الفصل الرابع

أنواع الحجج في كلية ودمنة:

1 الحجج شبه المنطقية

2 الحجج المؤسّسة على بنية الواقع

3- الحجج المؤسّسة لبنية الواقع

تمهيد:

يشير الباحث في هذه الدراسة إلى أن تحديد البنية الحجاجية العامة لكتاب (كليلة ودمنة) يكون من زاويتين؛ الأولى متعلقة بمراتب الحجج في ذلك الكتاب، وهذا ما تمّ عرضه في الفصل السابق، من خلال إبراز السلاّم الحجاجية ومراتب الحجج فيها. أما الزاوية الثانية فهي مرتبطة بأنواع الحجج المعتمدة في كتاب (كليلة ودمنة)، وهذا ما سيتطرق إليه الباحث في هذا الفصل. لأن تحديد نوع الحجة كليل بتوضيح مقاصد المتكلم، وكذا القضية التي يريد عرضها، إضافة إلى قدرة هذا المتكلم على التأثير في المتلقي، وتوجيهه إلى فعل معين، تبعا لطبيعة ونوع الحجة المعتمدة أثناء الحجج.

وبالنظر إلى الجانب الحجاجي الوارد في كتاب (كليلة ودمنة)، فإن الحجج قد تنوّعت وتفرّعت تبعا لمقاصد ذلك الكتاب، فنتيجته العامة تمثلت في معارضة الفيلسوف (بيدبا) للملك (دبشليم) في شؤون السياسة، ومحاولة صرفه عن الظلم ودعوته إلى العدل والإنصاف، دونما جهر أو إعلان بهذه النتيجة، وإنما عُرضت على الملك (دبشليم) بطريقة غير مباشرة تعتمد التلميح والتضمين. ولغاية تحقيق هذه الطريقة يعمد الفيلسوف (بيدبا) إلى اختيار وانتقاء الحجج التي تؤدي دور التلميح والتضمين، حتى تساعد على الانتقال مما يُعرض إلى ما هو مقصود.

وعلى هذا الأساس فإنّ أنواع الحجج المختارة أثناء الحجج لها ارتباط وثيق بالنتائج المقصودة، خلافاً لقوة الحجج أو ضعفها، ففعل الإقناع لا يتحقق بالقوة أو الضعف بالنسبة للحجج، وإنما يتدخل عامل نوع الحجة في عملية التأثير والإقناع. وهذا ما يمكن أن يسجّله الباحث في هذه الدراسة، وهو ارتباط الحجة أثناء بناء الحجج بثلاثة معايير أساسية هي: مرتبة الحجة في سلم الحجج، ثم قوة وضعف الحجة قياساً بمحتواها ودلالاتها، أما المعيار الثالث فهو نوع الحجة المعتمدة في الحجج.

وإذا ما عاد الباحث إلى كتاب (كليلة ودمنة) يلاحظ أنّ أنواع الحجج المدرجة فيه متنوّعة ومتفرّعة، وتمييزها عن النتيجة يتطلب إشارة خاصة، لهذا يشير الباحث في هذا الصدد أنّ اعتماد خط متقطع أسفل النتيجة (_____) دال عليها، أما الحجة فيدل عليها خط مستمر (_____) أسفلها، وفق الآتي:

1 - الحجج شبه المنطقية:

هذا النوع من الحجج لا يلزم المتلقي أثناء الحجج بالدعوى الحجاجية، لأنه لا يسعى إلى إحداث فعل الإقناع والتأثير في المتلقي بالإكراه والإجبار، وإنما يعتمد قوالب منطقية وشكلية بعيدة عن الإلزام، فالحجج شبه المنطقية تستمد "قوتها الإقناعية من مشابقتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة"¹. وعلى هذا فالحجج شبه المنطقية على وجهين؛ منها ما يأخذ شكل البنية المنطقية، ومنها ما يعتمد العلاقات الرياضية القائمة على الاستدلال والاستنتاج.

وبالعودة إلى كتاب (كليلة ودمنة) فإن الحجج شبه المنطقية توزعت على أشكال متعددة، تطلبت من الباحث دراستها كل على حدة:

1 4 - حجة التناقض وعدم الاتفاق *Incompatibilité*:

أثناء الحجج يعتمد المتكلم إلى استعمال قضيتين متناقضتين، الأولى صحيحة والثانية خاطئة، وهو يقصد الأولى منهما، وهي غايته ودعامته للوصول إلى دعوى الحجج، فيضع المتلقي أمام الأمرين المتناقضين، ليسعى هذا المتلقي اعتماداً على المنطق إلى تقبل الصحيح من الأمرين المتناقضين ورفض الخاطئ منهما، وهو عين ما يهدف إليه المتكلم. وقد عمد الفيلسوف (بيدبا) في كتاب (كليلة ودمنة) إلى توظيف هذا النوع من الحجج، لغاية إقناع الملك (دبشليم) ودفعه لتقبل النتائج الحجاجية بإعمال الفكر والمنطق، وتحديد الصحيح من القضايا المعروضة عليه. ويسوق الباحث في هذا الإطار نماذج لحجة التناقض وعدم الاتفاق، مع تبيان مدى تأثيرها في المتلقي في كتاب (كليلة ودمنة)، ومن هذه النماذج:

1- عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجج - الخطابة الجديدة لبيلمان وتيتيكاه"، كتاب أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، مجلد XXXIX، ص 325.

✓ "قد سمعتُ ما ذكرت، وليس كلُّ من يدنو من الملوك يقدِّر على صاحبتهُم ويفوز بقرهم"².

في باب (الأسد والثور) يخاطب (دمنة) أخاه (كليلة) ويعرض عليه قضيتين متناقضتين، تتمثلان في السعي للدنو والتقرُّب من الملوك وعدم القدرة على مصاحبتهُم. وهو بهذا يريد إقناع نفسه بضرورة التقرُّب من الملوك، لغاية في نفسه، علماً أن العقل يميل إلى فكرة التقرُّب من الملوك أكثر من إظهار العجز عن مصاحبتهُم.

✓ "ودخل دمنة عليه، فقال له الأسد: ماذا صنعت، وماذا رأيت؟. قال: رأيت ثورا، وهو صاحب

الحوار والصوت الذي سمعته. قال: فما قوته؟ قال: لا شوكة له، وقد دنوت منه وحاورته محاوراة الأكفء

فلم يستطع لي شيئا"³.

في هذا المثال يضع (دمنة) الأمرين المتناقضين أمام الأسد، ليوجهه نحو المقصد المرجو؛ فقد أقرّ (دمنة) أنه عرف مصدر الصوت الذي أربع الأسد وهو الثور، وادّعى أنه أمر هيّن لا يستحق هذا الذعر، ودليله في ذلك أنه حاور الثور فلم يغلبه هذا الثور، وبالتالي يضع (دمنة) الأسد بين خوفه من الثور وبين قدرة (دمنة) التغلب على الثور، وكأنه يدفع الأسد إلى مجابهة الأمر والخروج من الوهم والخوف، فتزداد بذلك مكانة ابن آوى عند الأسد وهو مقصده وغايته.

2- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007، ص60.

3- المصدر نفسه، ص68.

✓ " قال الغراب: قد عزمتُ أن أذهبَ إلى الأسود إذا نام فأنقرَ عينيه فأفقأهما لعلني أستريح منه، قال ابن

آوى: بئس الحيلة التي احتلت، فالتمس أمرا تصيبُ فيه بُعيتك من غير أن تُعَرِّرَ بنفسك وتخطر بها "4.

ينصح ابن آوى الغراب ويضعه أمام المتناقضين، إذ يطلب منه أن يتخلص من عدوّه الثعبان، وفي الوقت

ذاته يحذره من مغبة المخاطرة بالنفس لأنه غير كفاء لعدوه، وهذا ما يجعل الغراب يقتنع بما يشير إليه ابن

آوى بعد ذلك حين ينصحه باللجوء إلى الحيلة للتخلص من الأسود من غير مجاهته.

✓ " فلسْتُ مُتَّخِذِك بعد اليوم خليلا، ولا مُفَشِّح لك سراً ، لأن العلماء قد قالوا: تباعُد ممن لا رغبة لك

فيه "5.

هذا حوار بين الأخوين (كليلة) و(دمنة)، فالأول يقرر الابتعاد عن الثاني بسبب جرمه ونميمته التي

أودت بحياة الثور (شتربة)، ويقدم في ذلك أمرين متناقضين؛ أولهما الابتعاد عن (دمنة)، والثاني عدم إفشاء

أسرار أخيه، لكن منطق العقل يفيد أن المتباعدين هم أكثر وأقرب المعنيين بإفشاء الأسرار بعد القطيعة.

✓ " قال الغراب: إنَّهُ أَكَلِي إِيَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ لِي طَعَامًا لَا يُعْنِي عَنِّي شَيْئًا "6.

4- ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص74.

5- المصدر نفسه، ص102.

6- المصدر نفسه، ص121.

يحاور الغراب الجرذ ليقنعه بقبول صداقته، بالرغم من العداوة المتأصلة بينهما، ويدّعي أن أكله للجرذ لا يفيد في شيء، وهذا ما يضع الجرذ أمام المتناقضين؛ خوفه من عدوّ الغراب، وإدّعاء الغراب أنّه لا فائدة من أكله إياه.

✓ " وإنّ العدوّ الذليل الذي لا ناصر له أهلٌ لأن يُؤمّن ولا سيما المستجير الخائف، والعدوّ إذا صدرت

منه المنفعة ولو كان غير متعمّد لها أهلٌ لأن يُصنّف عنه بسببها"⁷.

هذا حوار بين ملك البوم وأحد وزرائه في مصير عدوهم وزير الغراب، إذ يشير وزير البوم على ملكه أن يبقى الغراب المستجير ويستفيد منه للتغلب على أعدائه من الغراب، وهذا ما يضع ملك البوم بين حرصه وحذره من العدو المتربص، وبين الصفح وحماية هذا العدو الذي إن تمكّن خرّب مملكة البوم. وهو ما حدث بعد ذلك.

✓ " وأما من أراد أن يُخدّم السلطان بالصدق والعفاف غير خالطٍ ذلك بمصانعيه فقلّ أن يسلم على

ذلك، لأنّه يجتمع عليه عدوّ السلطان وصديقه بالعداوة والحسد، أما الصديق فينافسه في مترته ويغيي عليه

فيها ويُعاديه لأجلها ويشي عليه كذبا [..] وأما عدوّ السلطان فيضنّغون عليه لنصيحته لسلطانه [..] فإذا

اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرّض للهلاك"⁸.

يريد الناسك ابن آوى أن يرفض طلب الأسد لملازمته ومعاونته في تدبير شؤون مملكته، فعرض على

الأسد أمرين متناقضين؛ أولهما أن خدمة السلطان تتطلب الصدق والعفاف، والثاني أن خادم السلطان

7- كلية ودمنة، ص146.

8- المصدر نفسه، ص180 و 181.

بالصدق والعمارة عرضة للخطر من الصدق بالحسد ومن العدو بالتربص، وغاية ابن آوى من ذلك رفض المنصب الذي عُرض عليه من قبل الأسد وإقناعه بذلك.

2 1 حجة التماثل والحد في الحجج L'Identité:

هذا النوع من الحجج يفتقر إلى الوضوح والدقة، لأنه يقوم على " تعريف المفاهيم أو الأشياء أو الأحداث والوقائع، ولكن ما يقدمه من تعريفات لا تنتمي البتة إلى نظام شكلي، بل تدعي قيامها بدور الضبط والتحديد " ⁹ لتقويم المفاهيم تقويماً ايجابياً أو سلبياً من المتلقي، تبعاً لقدراته الذهنية وللقيم الدلالية التي تقدمها تلك الحجج، فهي تخضع لنوع من المنطق الذي يفرضه المتلقي لتقبل الحجج أو رفضها. ومن حجج التماثل التي استعملها الفيلسوف (بيدبا) في كتاب (كليلة ودمنة) يدرج الباحث نماذج منها: ✓ " فكان فيما قال كلية دمنة: لقد ارتكبت مركباً صعباً ودخلت مدخلاً ضيقاً وجنيت على نفسك جنايةً موبقاً وعاقبتها وخيمة " ¹⁰.

إن الباحث يلحظ في هذا المثال أن (مركباً صعباً) و (مدخلاً ضيقاً) و (جناية موبقة) تأخذ نفس الدلالة في هذا السياق، إلا أن هذه الدلالة تختمل الإيجاب أو السلب؛ فقد يكون المركب الصعب للأمر العظيم الجليل، وقد يكون للمأزق العويص. لذا يرى الباحث أن استعمال هذه الحجج من (كليلة) كان لغاية وضع (دمنة) أمام تحدٍ لأمر عظيم أو مأزق يعجز الخروج منه، و(دمنة) هو من يحدد ذلك تبعاً للسياق الذي يبرز قناعته وتوجهه.

9- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيت وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط01، 2008، ص200.

10- كلية دمنة، ص101.

✓ " قال الفيلسوف: إن العاقل لا يُعدَّلُ بالإخوان شبيحاً فالإخوان هم الأعوان "11.

يجد الباحث أن المقصود بالأعوان غير دقيق، فقد يدل على معنى المتعاضدين والمعينين على الخير، كما يدل أيضا على معنى المؤثرين على فعل الشرِّ، إلا أن القرائن السياقية الدالة على المقصود تؤخذ من المثال نفسه، فكلٌّ من لفظي (الفيلسوف، العاقل) تبينان أن القصد ما دلَّ على الخير.

✓ " والتَّاسُ أَحَقُّ بِحَسَنِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ: مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تَصْنَعُهُ لغيرِكَ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ

رَضَى اللَّهُ تَعَالَى وَرَضَى النَّاسُ "12.

تظهر للباحث حجة التماثل هنا من خلال ما يرفضه المرء لنفسه، وهذا المرفوض لا يجب أن يقدمه لغيره. سواء كان أمرا إيجابيا أو سلبيا، غير أن المتلقي يصل بواسطة المنطق إلى النتيجة وهي العدل أثناء التعامل مع الناس.

✓ " قال الفيلسوف: أُثِيهَا الْمَلِكُ، لَيْسَ أَضْيَعُ مِنْ حَمِيلٍ يُصْنَعُ مَعَ غَيْرِ شَاكِرٍ وَلَا أَخْسَرَ مِنْ صَانِعِهِ، كَمَا

أَنَّهُ لَا بَدْرَ أُنْمَى مِنْ بَدْرِ الْجَمِيلِ فِي قُلُوبِ الشَّاكِرِينَ، وَلَا تِجَارَةَ أَرَبِيحٍ مِنْ تِجَارَتِهِ "13.

11 - كلية ودمنة، ص 119.

12 - المصدر نفسه، ص 189.

13 - المصدر نفسه، ص 205.

يرى الباحث أن النتيجة في هذا المثال تكمن في ضرورة اختيار أهل المعروف، والحجة الدالة على هذه النتيجة تحتاج على وضوح أكثر، فقد يفهم المتلقي أن ضياع المعروف مع غير الشاكرين عليه هو خسارة لصانعه، وهذا ما قد يدفعه إلى الكف عن صناعته.

✓ "قال بيدبا: كما أن الأعمى لا يُبصر إلا بقلبه، ولا يمشي إلا بجسده مع المهلة والثاني"¹⁴.

يعتقد الباحث أن الإبصار بالقلب والمشي بالحس يتنافى مع منطق المعقول وبخاصة إذا كان مرتبطا بالضرير، إلا أن المتلقي يدرك من خلال هذا المثال أن المقصود هو الدراية والبصيرة، وتعيينه على ذلك الإدراك قدراته الذهنية لاستنباط النتيجة، بالرغم من افتقار الحجة للدقة والوضوح.

1 3 - الحجة القائمة على العلاقة التبادلية Réciprocité:

تقوم هذه الحجة على مبدأ العدل والمساواة بين أمرين متماثلين، والغاية من ذلك أثناء الحجج هو جعل المتلقي بين أمرين يشدان انتباهه وتركيزه ويوجهانه إلى المقصود من الحجج، معتمدا في ذلك على السياق المحيط من أجل " معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة "¹⁵، إذ تقابل هذه المعالجة بين الوضعيتين المتعاكستين أثناء الحجج.

وتوضيحا لهذه المسألة يسوق الباحث نماذج من الحجج القائمة على العلاقة التبادلية التي وردت توظيفها في كتاب (كليلة ودمنة) ومنها:

14 - كلية ودمنة، ص 209.

15 - عبد الله صولة، " الحجج أطره ومنطقاته وتقنياته "، ص 328.

✓ " قال له كليلة: ما شأنك أنتَ والمسألة عن هذا؟ نحن على باب مَلِكِنَا آخذين بما أحبُّ وتاركين ما

يكره، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم، فأمسك عن هذا" ¹⁶.

في هذا المثال يجد الباحث أن الأمرين المتعاكسين في كلام (كليلة) هما: الوقوف على باب الملك وموالاته في كل أوامره ونواهيه، ثمّ عدم الخوض في أمور السياسة، وهذا تضاد في محتوى الحجة لأنّ العامل في خدمة السلطان لا بدّ له أن يتعرّض لأمر السياسة ويخوض فيها. إلا أن معرفة علاقة الأخوة بين (كليلة) و(دمنة) تبين أن المقصود دافعه النصح، ولذا كانت دعوى الحجاج متمثلة في الإعراض عن الخوض في أمور الملوك.

✓ " فلما سمع دمنة ذلك قال: من ههنا تقيسون الكلام وتركون العلم، فاسمعوا مني ما أقوله لكم

وتدبروا بعقولكم، فقد وعيتم ما قال هذا، فإن كان يزعم أن ما في جسمي من هذه العلامات هو الدليل

على صدق ما رُميتُ به، فأني إذا أكون قد وسِمتُ بسمات وعلامات اضطررتني إلى الإثم فعمِلتُ بها ما

عمِلتُ، ففي ذلك براءة لي وعذر مما عمِلتُه" ¹⁷.

عند تحديد المتضادين في هذه الحجة وهما القياس على كلام القائلين وترك العلم والبحث والتحري عن الحقيقة، يتضح للباحث أن (دمنة) قد برأ نفسه مما نُسب إليه من تهم، بشهادة الخنزير الذي يرى أنّ للإجرام علامات دالة قد ظهرت جلية في (دمنة) وهي دليل إدانته. وعلى هذا الأساس بنى (دمنة) براءته من ذنب النميمة التي أودت بحياة الثور (شترية).

16 - كليلة ودمنة، ص 60.

17 - المصدر نفسه، ص 111 و 112.

✓ "ثم إنَّ ملكَ الغربان قال لذلك الغراب: كيف صَبِرْتَ على صُحْبَةِ البوم ولا صَبِرَ للأخيار على

صحبة الأشرار"¹⁸.

يجد الباحث أن التضاد واقع في الحجة بين عدم قدرة الأخيار مصاحبة أهل الشرِّ، وبين صبر وقدرة الغراب على معايشرة البوم وهم ألدُّ أعدائه ، وفي هذا الأمر اعتراف من ملك الغربان بحنكة وزيره، ليصل المتلقي إلى المقصود وهو ضرورة الصبر على مخالطة العدو إذا كان في ذلك منفعة.

✓ "قال الفيلسوف: إنَّ المودَّةَ والعداوة لا تثبتان على حالة أبداً، وربما حالت المودَّة إلى عداوة وصارت

العداوة ولايةً وصداقةً [..]، أمَّا من قِبَل العدو فبالبأس، وأمَّا من قِبَل الصديق فبالاستئناس"¹⁹.

يرى الباحث أن الفيلسوف يقرُّ بحقيقة عدم دوام المودَّة والعداوة على وجه واحد، إلا أنه يعارض هذه الحقيقة، حينما رأى أن العدو يتطلب البأس، والصديق يتطلب الموانسة، فربما يتحوَّل الصديق إلى عدوٍّ أو يتحوَّل العدوُّ إلى صديق، مما يستدعي تغيُّر المتطلبات، وهذا ما يدعو المتلقي إلى أخذ الحذر والحيطه في كلِّ المواقف.

✓ "قال ابن آوى: [..] فإني قد علمتُ أنَّ صاحب السلطان يصلُّ إليه من الأذى والخوف في ساعة

واحدة ما لا يصلُّ إلى غيره في طول عمره"²⁰.

18- كليلة ودمنة، ص152.

19- المصدر نفسه، ص167.

20- المصدر نفسه، ص181.

يوضح الباحث أن التضاد حاصل بين ملازمة السلطان وما يوفره من أمن وحماية، وبين ما يلحق مصاحب السلطان من خوف وأذى بسبب هذه الصحبة، وهذا ما تحجج به الناسك ابن آوى من أجل أن يقنع الملك الأسد برفضه المنصب الذي عرضه عليه.

4 1 - حجة التعديّة Transitivity:

تتخذ هذه الحجة شكلا رياضيا يقوم على أطراف متعددة وعلاقة ما تجمع بين هذه الأطراف، والانتقال من طرف إلى آخر يعتمد مبدأ الاستنتاج والقياس، ويتجسّد غالبا في شكل مقدمة كبرى تليها مقدمة صغرى تؤديان إلى نتيجة نهائية. وتهدف هذه الآلية الاستنتاجية في حجة التعديّة إلى إشراك ذهن المتلقي للوصول إلى النتيجة الحجاجية المرجوة، انطلاقا من تسليمه بصحة المقدمتين الكبرى والصغرى. ومن النماذج التي يمكن للباحث أن يعرضها من كتاب (كليلة ودمنة) الآتي:

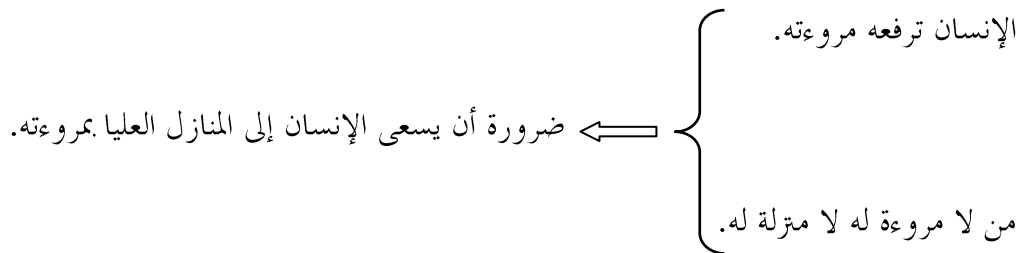
✓ " قال دمنة: إنّ المنازل متنازعة مشتركة على قَدَر المرء، فالمرء ترفعه مروءته من المتزلة الوضيعة إلى

المتزلة الرفيعة، ومن لا مروءة له لم يحط نفسه من المتزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هيّن كالحجر الثقيل

رفعه من الأرض إلى العاتق عَسِرَ ووضعهُ إلى الأرض هيّن، فنحن أحقّ أن نروم ما فوقنا من المنازل وأن

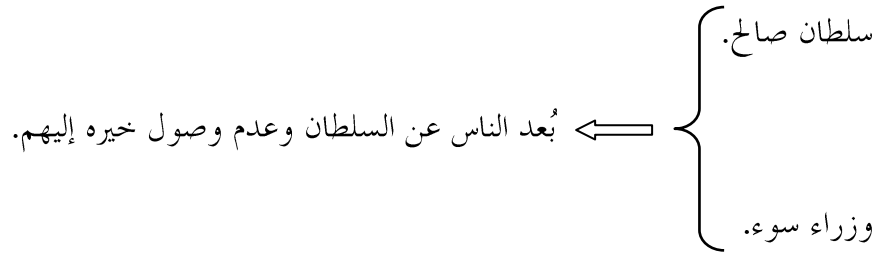
نلتمس ذلك بمروءتنا"²¹.

يمكن للباحث أن يشرح هذه الحجة وفق المخطط الآتي:



✓ " إنَّ السلطان إذا كان صالحاً ووزرائه وزراء سوء، منعوا خيره، فلا يقدر أحد أن يدنو منه "22.

هذه الحجة يحددها الباحث وفق الآتي:



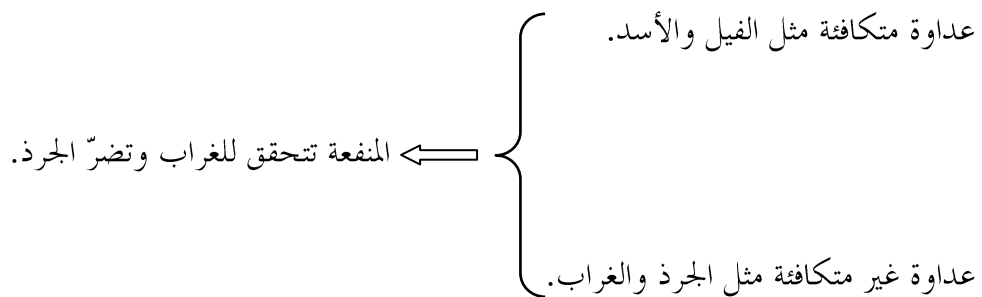
✓ " قال الجرذ: إنَّ أشدَّ العداوة عداوة الجوهرة وهي عداوتان: منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والأسد،

فإنه ربما قتل الأسد الفيل أو الفيل الأسد، ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كالتى بينى وبين

السُّنور وبينك وبينى، فإنَّ العداوة التى بيننا ليست تضرُّك وإنما ضررها علىّ، فإنَّ الماء لو أُطيلَ إسْحانُه لم

يمنعه ذلك من إطفائه النَّار إذا صُبَّ عليها "23.

تتجسد هذه الحجة وفق الآتي:



22- كليلة ودمنة، ص95.

23- المصدر نفسه، ص121.

✓ " قال فترة: إن الرجل الذي في باطن قدمه قُرْحَةٌ إن هو حرصَ على المشي لا بدَّ أن تُنكَأَ قرحته ،

والرجل الأرممُ العين إذا استقبل بها الريحَ تَعَرَّضَ لأن تزداد رمداً ، وكذلك الواترُ إذا دنا من الموتور فقد

عَرَّضَ نفسه للهلاك²⁴ .

يمثل الباحث هذه الحجة على النحو الآتي:

الرجل الذي يمشي بقدم متقرحة يزداد قرحها. ← الواتر إذا تقرب من الموتور هلك.

أرمد العينين في مواجهة الريح يزداد رمده.

✓ " ثم قال: يا عدوَّ نفسه، ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها، وتعجزُ عن ذلك لنفسك، حتى

يتمكن منك عدوك، ثم قتله وأكله²⁵ .

يرسم الباحث شكل هذه الحجة كما يلي:

نصيحة مالك الحزين للحمامة. ← تمكن الثعلب منه وقتله.

عجزه عن نصيحة نفسه.

24- كلبيلة ودمنة، ص176.

25- المصدر نفسه، ص215.

1 5 حجة الاشتمال (إدماج الجزء في الكل) :Inclusion

تقوم هذه الحجة على المقايسة بين الكلّ وأجزائه المكوّنة له، فما ينطبق على الكلّ منطبق بالضرورة على جزء أو أجزاء منه، لأن الجزء يعدّ قيمة مناسبة داخل الكلّ؛ فالحكم الذي يُطلق على هذا الكلّ يمكن سحبه يُطلق على الجزء. وغاية هذا النوع من الحجج أثناء الحجج هو توجيه المتلقي واستدراجه إلى المقصود من نتائج الحجج، فاعتقاد المتلقي بالحكم الموجه إلى الكلّ لا يمنعه من أن يعتقد الجزء منه، وبهذا تصبح حجة الاشتمال أقرب إلى منطق الإقناع والتأثير في المتلقي.

وبالنظر إلى كتاب (كليلة ودمنة) يجد الباحث أنّ الفيلسوف (بيدبا) قد اعتمد هذا النمط من الحجج

لإقناع الملك (دبشليم) في سياقات حجاجية متنوّعة منها:

✓ " قال دمنة: إنّ كلّ كلام يكرهه سامعه لا يجسّر عليه قائله، وإن كان ناصحا مُشفقا، إلا إذا كان

المقول له عاقلا²⁶.

يبين الباحث أنّ كلّ الكلام المكروه لدى السامع لا يستطيع قائله التفوّه به أمام هذا السامع، وبأنّ

النصيحة جزء من الكلام، إذن لا يتفوّه القائل بالنصيحة أمام السامع الذي يكره سماع كلّ الكلام.

✓ " قال الأسد: إنّ أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة ، فإنّهم قد قالوا أيضا: من اطّلع على

ذنوب المذنبين فكتمها عن السلطان فلم يُعاقبوا على ذنوبهم، عُوقب هو يوم القيامة²⁷.

26- كليلة ودمنة، ص78.

27- المصدر نفسه، ص103.

تفيد هذه الحجة أن كل أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة، ومن أقوالهم أن العارف بذنوب المجرمين والكاظم لها يعاقب يوم القيامة، وهذا وجه من الوجوه الكثيرة ومعنى من المعاني المختلفة.

✓ " وقد قيل: ينبغي للمرء أن يتحفظ من عدوه في كل شيء حتى في الماء الذي يشربه ويغتسل به

والفراش الذي ينام عليه والحلّة التي يلبسها والدابة التي يركبها ²⁸.

تبرز هذه الحجة واجب الحذر والتحفظ من العدو في كل شيء، والماء والفراش والحلّة والدابة جزء من ذلك الكلّ، لذا وجب التحفظ والحذر من العدو في الماء والفراش والحلّة والدابة.

✓ " قال فترة: أعلم أن الأحقاد لها في القلوب مواضع ممكنة موجعة، فالألسن لا تصدق في خبرها عن

القلوب، والقلب أعدل شهادة على اللسان من اللسان على القلب، وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك

بصدقه ولا قلبك للساني ²⁹.

تبين هذه الحجة أن القلوب عموماً أعدل في الشهادة من الألسن، لهذا فالألسن لا تصدق في خبرها عن القلوب، ومادام قلب (فترة) واحداً من تلك القلوب، فبالتالي فإن قلبه لا يشهد للسان الملك بالصدق.

ولسان الملك لا يصدق في الخبر عن قلب (فترة).

28- كليلة ودمنة، ص152.

29- المصدر نفسه، ص174.

✓ " قال ابن آوى: إنَّ الملوكَ أَحَقَّاءَ باختيار الأَعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأُمورهم ممن لهم الخبرة

بذلك، وهم أحرى ألا يُكرهوا على ذلك أحداً ، فإنَّ المُكره لا يستطيع المبالغة في العمل ، وإني لعمل

السلطان كاره وليس لي به تجربة ولا بالسلطان رفق "30.

هذه الحجة تبين أن الملوك لا يُكرهون أحداً على خدمتهم، لأنَّ المكره لا يستطيع التوفيق في تلك الخدمة، وابن آوى الناسك واحد من المُكرهين على خدمة الأسد الملك، لذا لا يستطيع تأدية ما عُرض عليه على أكمل وجه.

1 6 - حجة الاحتمال Probable:

هذا النوع من الحجج شبه المنطقية قائم على " حظوظ المرء في تحقيق أمر ما أو إنجاز حدث معين أو اتخاذ موقف محدد "31 من خلال ترجيح الغالب من القضايا المدرجة في الحجاج؛ إذ يترك مجال الترجيح في هذا الأمر للمتلقى كي يربط الواقعي بالمتحمل من تلك القضايا، وغاية ذلك استمالاته إلى النتائج الحجاجية المرجوة، على أساس أنها تعبير صريح منه عن قناعاته وأفكاره التي اعتمدها في مجال الترجيح تبعاً للسياق المحيط بالحجاج، وما يفرزه من قرائن مساعدة على الترجيح.

وقد وردت حجج الاحتمال في كتاب (كليلة ودمنة) سعياً لإقناع الملك (دبشليم)، وفيما يلي يعرض

الباحث جانباً منها:

30- كليلة ودمنة، ص180.

31- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص213.

✓ " قال دمنة: لا تنظر إلى صغري وضعفي، فإن الأمور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبير

في الجنة، فربَّ صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه الكثير من الأقوياء³² .

في هذه الحجة يقرّ (دمنة) بالنتيجة وهي أن أمور الحياة لا تتحقق بالضعف أو القوة أو الصغر أو الكبير في الجنة. لكن يستدرك ذلك ويبين أن الصغير الضعيف قد يصل في بعض الأحيان إلى تحقيق ما يعجز عنه القوي، وهذا احتمال قد يحدث أحيانا، يقصد من خلاله (دمنة) إقناع أخيه (كليلة) أنه يستطيع الوصول والتقرب من الأسد الملك وأن ينال عنده مكانة عالية، بالرغم من ضعفه وصغر حجمه إذا ما قيس بالآخرين.

✓ " وقد قالت العلماء: ربّما جُزِيَ المتكلم بقوله، والكلام بين أيديكم، فانظروا لأنفسكم³³ .

في هذا المثال يعرض (دمنة) احتمال أن يعاقب المرء عن كلام يخرج عن حدّه، وقد وضع هذا الاحتمال حينما طلب الأسد التحقق من أمر (دمنة) بعد نعيمته التي كانت سببا في قتل الثور (شترية).

✓ " قالت: إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تملّ وتكسل في قطع ما بقي، وعرفت أنك إن

بدأت بهنّ قبلي وكنت أنا الأخريرة لم ترّض، وإن أدركك الفتور أن أبقى في الشرك³⁴ .

هذه الحجة تبرز حرص الحمامة المطوقة واحتمال تخوّفها من أن يفشل ويتعب الجرذ من تقطيع الشبكة

التي وقع فيها سرب الحمام، وبخاصة أنه بدأ بها دون بقية سرب الحمام، فوضعت الحمامة المطوقة هذا

32- كليلة ودمنة، ص74.

33- المصدر نفسه، ص111.

34- المصدر نفسه، ص121.

الاحتمال في ذهنها، وعليه أمرت الجرذ أن يبدأ ببقية الحمام قبلها ويؤخرها إلى النهاية. فكانت بذلك هذه الحجة سببا في اقتناع الجرذ بنتيجة الحمامة وتأخيرها إلى آخر المطاف.

✓ " هذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم، وأما القتال فقد علمت رأيي فيه وكراهتي له، ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إن شاء الله تعالى، فإنه رُبَّ قوم قد احتالوا بأرائهم حتى ظفروا بما أرادوا"³⁵.

في هذه الحجة يستشير ملك الغربان أحد وزرائه في الكيفية التي تمكّنه من التغلب على أعدائه البوم، ويرى أن القتال وسيلة لذلك، مع علمه أن الغربان لا طاقة لهم بمواجهة البوم، إلا أن الغراب الوزير يستبعد القتال، ويضع احتمال الحيلة بديلا عن المواجهة المباشرة، محاولة منه إقناع ملك الغربان بهذا الرأي الذي أخذ به فيما بعد وكان سببا في هلاك البوم.

✓ " وربما أتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدح عن أن يغشى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان، وحصل له نفع ما كف عنه من ضرر في العاقبة"³⁶.

هذه الحجة تبرز احتمال اعتبار وأتعاظ الجاهل بما يلّم به من مصائب وأضرار من غيره، فتكون سببا في كفه عن ظلم وإلحاق الضرر بالناس، لأنه ذاق طعمهما. فتكون نتيجة هذا الاعتبار منفعة يحققها لنفسه بين الناس.

35- كلبلة ودمنة، ص143.

36- المصدر نفسه، ص187.

من خلال هذا التفصيل لأنواع الحجج شبه المنطقية، يشير الباحث أنّ هذا النوع في كتاب (كلية ودمنة) قائم على المنطق وعلى إعمال الفكر والنظر، ويدفع بالمتلقي إلى استنتاج النتائج الحجاجية المقصودة، بعيدا عن الإلزام والإلزام، ويترك له حرية الاقتناع بها، لتظهر في تصرفاته وأفعاله أو في أقواله وقناعاته. كما يشير الباحث في هذا المقام أنّ الحجج شبه المنطقية تضع المتلقي أمام أمرين قد يكونا متماثلين أو متضادين، أو أحدهما واقعي والآخر محتمل. ويرى الباحث أنّ مرد ذلك راجع إلى الاستراتيجية التي يتبناها المتكلم لبناء حججه؛ فوضع المتلقي بين أمرين يعدّ نوعا من التوجيه غير الملزم له، والغاية منه شدّ انتباهه وتركيزه للوصول به إلى الغاية المرجوة من الحجج.

2 - الحجج المؤسّسة على بنية الواقع:

يُستعان بهذا النوع من الحجج أثناء الحجج للربط بين الأحكام المُسلّم بها وبين مقاصد الحجج، لأنّها تتأسس على التجارب الواقعية وعلى العلاقات الحاضرة بين مكونات العالم الخارجي. فهي تضمن بذلك " تفسيراً للأحداث والوقائع وتوضيحا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشياءه"³⁷، وتُعرّض هذه العناصر بطريقة تجعل معطيات الواقع أقرب إلى التسليم والتصديق لدى المتلقي، كونها مأخوذة من طبيعة واقعه المعيش، فلا يجد فيها المتلقي صعوبة لتقبّلها والتسليم بها، وبهذا يتحقق فعل الإقناع لديه. وتجدر الإشارة في هذا المقام أنّ الباحث قد وجد كثرة وتنوعا في اعتماد هذا النوع من الحجج في كتاب (كلية ودمنة)، ولعل الأمر راجع إلى طبيعة الموضوع المُعالج فيه، فجُلّ قضاياها مستمدة من الواقع؛ سواء المُصرّح به وهو عالم الحيوان أو الضمني وهو عالم الإنسان، وما يدور في العالمين من علاقات وأحداث ترتبط بجوانب كثيرة من الحياة، تُسهّم بشكل كبير في تأسيس هذا النوع من الحجج. علما أنّ لها أشكالا متنوّعة، يتولى الباحث في هذا الكتاب الكشف عن نماذجها الواردة فيه، وهي:

37- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم، ص214.

2-1- الحجة السببية Cause:

تتأسس هذه الحجة على مبدأ تسلسل الأحداث الواقعية، التي يربط بينها رابط سببي يكون بين الحجة والنتيجة المقصودة، أو بين النتيجة المقصودة والحجة، لأن التقديم والتأخير بينهما خاضع لمقاصد المتكلم أثناء الحجج. وغاية هذا النوع من الحجج هو التأثير في المتلقي من خلال تهمين النتيجة الحجاجية في ذهنه وجعلها مطابقة لحقائق الواقع، باعتماد استدلال حجاجي مباشر.

وفيما يلي يقدم الباحث نماذج لهذه الحجة السببية الواردة في كتاب (كليلة ودمنة):

✓ "قال بيدبا: إذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا، وآفة المودة النميمة"³⁸.

حجة ← نتيجة

✓ "ألا ترى أن الكلب يُصبصُ بذنبه حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها وتُقنعه منك"³⁹.

حجة ← نتيجة

✓ "وقد قيل: إنَّ حصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة وعظيم خطر، منها: صحبة السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو"⁴⁰.

نتيجة → حجة

38- كلية ودمنة، ص57.

39- المصدر نفسه، ص61.

40- المصدر نفسه، ص64.

✓ " قال الأسد: لا يُعزِّتُكَ ذلكَ منه ولا يصعُرُنَّ عندك أمره، فإنَّ الرِّيحَ الشَّديدةَ لا تعباً بضعيف الحشيش

لكنها تُحطِّمُ طوال النخل وعظيم الشجر وتقلع الدوحة العاتية من موضعها "41.

نتيجة → حجة

✓ " قال دمئة: لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك "42.

نتيجة → حجة

✓ " وإنما مُصاحب العدوِّ ومُصالحه كصاحب الحيَّة يحملها في كُفِّه ، والعاقل لا يستأنس إلى العدوِّ

الأريب "43.

حجة ← نتيجة

✓ " فإن وزراء المَلِكِ إذا كانوا صالحين وكان يطيعهم في آرائهم لم يضرَّ في مُلكِه كونه جاهلاً "44.

حجة ← نتيجة

41- كلية ودمنة، ص68.

42- المصدر نفسه، ص91.

43- المصدر نفسه، ص122.

44- المصدر نفسه، ص138.

✓ " قالت العلماء: إذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبةً فلأخذ بالحزم في التحفظ منه وليتفقد ذلك في لحظاته وحالاته "45.

حجة ← نتيجة

✓ " قال الملك: ألا تعلم أن الضعائن والأحقاد تكون بين كثير من الناس؟ فمن كان ذا عقل كان في إمانة الحقد أحرص منه على تربيته "46.

حجة ← نتيجة

✓ " قال الفيلسوف: إن الملك لو لم يُراجع من أصابته منه جفوة عن ذنب أو غير ذنب ظلم أو لم يُظلم لأضر ذلك بالأمور "47.

حجة ← نتيجة

✓ " قال ابن آوى: إنما يُقدّم على خدمة السلطان غير هائب، رجلاً لست بواحد منهما: إما مُصانع ينال حاجته بفسوره ويسلم مُصانعه، وإما هين لا يحسده أحد "48.

نتيجة → حجة

45- كلية ودمنة، ص160.

46- المصدر نفسه، ص174.

47- المصدر نفسه، ص178.

48- المصدر نفسه، ص180.

✓ " قال الفيلسوف: إِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ النَّاسَ وَمَا يَسُوؤُهُمْ إِلَّا أَهْلَ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَهَةِ وَسُوءِ

النظر في العواقب من أمور الدنيا والآخرة "49.

نتيجة → حجة

✓ " قال إيلاذ: اثنان ينبغي لهما أن يجزنا: الذي يعمل الإثم في كل يوم والذي لا يعمل الخير أبدا "50.

نتيجة → حجة

✓ " فقد قيل: لم يُؤجَرْ مأجور بأعظم من أجر من استحيا نفسا هالكة ، ولا عُوقِبَ مُعاقِبٌ بأشد من

عقاب من كف عن ذلك وهو قادر عليه ولو بمشقة مما نحلا ذهاب نفسه "51.

نتيجة → حجة

✓ " فليعرف أهل النظر في الأمور أن جميع الأشياء بقدر الله تعالى وقضائه ، وأن الإنسان لا يجلب إلى

نفسه محبوبا ولا يدفع عنها مكروها إلا بإذن الله تعالى "52.

نتيجة → حجة

49- كلية ودمنة، ص187.

50- المصدر نفسه، ص198.

51- المصدر نفسه، ص206.

52- المصدر نفسه، ص213.

2-2- حجة التبذير Gaspillage:

تتأسس هذه الحجة على العلاقة القائمة بين الوسيلة والغاية، ففي مواقف حجاجية معينة يضطر المتكلم إلى استعمال ضرورات سياقية في شكل حجج للوصول إلى النتائج المقصودة، وبخاصة إذا علم هذا المتكلم أن المتلقي سيعارضه من البداية لتقبُّل تلك النتائج، إلا أن عامل الحرص والتأكيد لدى المتكلم هو ما يجعل المتلقي يقتنع ويميل إلى الأخذ بتلك الحجج لتقبُّل النتائج.

وقد لاحظ الباحث في كتاب (كليلة ودمنة) وجود هذا النوع من الحجج بكثرة، ومردّد ذلك إلى طبيعة العلاقات المتداخلة والمتشابكة سواء في عالم الحيوان أو عالم الإنسان، فلكلّ مصلحة ومنفعة وقناعة يريد فرضها على الآخر، وهذا ما يتطلّب وجود الوسيلة المقنعة لذلك، فتكون معطيات الواقع أرضية ملائمة تساعد المتكلم على تشكيل هذا النوع من الحجج، كما يُسهم حرص المتكلم ومنفعته وقناعته إسهاما كبيرا في التأثير على المتلقي.

ومن نماذج هذه الحجة الواردة في كتاب (كليلة ودمنة)، يسوق الباحث جانبا منها وفق الآتي:

✓ " قال دمنة: أريد أن أعرّض للأسد عند هذه الفرصة لأنّه قد ظهر لي أنّه ضعيف الرأى قد التبس عليه

أمره وعلى جنده أيضا، ولعلي على هذه الحال أدنو منه فأصيّب عنده مترلة ومكانة فيبتدري بالكلام"⁵³.

يرى الباحث في هذه الحجة أنّ (دمنة) أراد أن يبرر مصلحته الخاصة المتمثلة في التقرب من الأسد، لينال عنده حظوة ومكانة عالية، فتدرّع بما رآه من ضعفٍ وهونٍ ظاهرٍ على الأسد بسبب خوفه من حوار الثور (شترية)، ويبيّن لأخيه (كليلة) أنّ استثمار موقف كهذا من شأنه أن يحقق غايته ومقصده. من باب الغاية تبرر الوسيلة.

✓ " قال: آيها الملك إن رعية الملك تحضر بابه رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر، كالزرع المدفون

الذي لا يُعرفُ فضله حتى يخرج ويظهر على قدر رأيه وعلى قدر ما يجد عنده من المنفعة، وقد قيل: أمران

لا ينبغي لأحد أن يأتيهما مثل أن يُجعل الخلخال قلادة للعتق، ومثل أن تُجعل القلادة خلخالاً في

الرجل⁵⁴.

أراد (دمنة) من هذه الحجة أن يقنع الأسد الملك بما يملكه من قدرات ومعارف يحتاجها الملك لتساعده على تدبير أمور مملكته، وتبّنه إلى ضرورة الاستعانة بالجميع دون النظر إلى صغرهم أو إلى حجم مكانتهم الدنيا في الحياة، ولتبرير هذه الرؤية وضّح (دمنة) أنه على الملك ألا يضع الأمور إلا في مواضعها المناسبة، وأتخذ (دمنة) وضع الخلخال قلادة، أو وضع القلادة خلخالاً وسيلة لإقناع الأسد بتلك الرؤية.

✓ " قال دمنة: أما أنا فلست اليوم أرجو أن تزداد مترلتي عند الأسد فوق ما كانت عليه. ولكن ألتمس

أن أعود إلى ما كانت حالي عليه فإن أموراً ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتياط لها بجهد⁵⁵.

وجد الباحث في هذا المثال أن (دمنة) يتخذ من الحيلة والاحتياط وسيلة، من أجل استعادة مكانته التي كان عليها قبل أن يزاخه فيها الثور (شتربة)، فقد اقتنع بأنه لن يزداد علواً ومكانة عند الأسد الملك، لأنّ الأمر صار إلى غريمه الثور، وبالتالي ما عليه إلا السعي للعودة إلى الماضي الذي كان عليه.

54- كليلة ودمنة، ص65.

55- المصدر نفسه، ص72.

✓ " قال دمنة: ما ترك الأول للآخر شيئاً، لأنه يقال: أشد الناس توقي الشر يُصيبه الشرّ قبل المُستسلم له.

فلا يكوننَّ الملك وخصته وجنوده المثل السوء. ولقد صدق من قال: كلما ازداد الإنسان في الخير اجتهاداً

كان الشرُّ إليه أسرع⁵⁶.

في هذه الحجة قصد (دمنة) تبرير تصرفه الذي أودى بحياة الثور (شترية) حينما وشى به للأسد الملك، ورأى أن الأسد وحاشيته قد اقتنعوا بعظم ذلك الجرم المنسوب إليه، فبين (دمنة) أن هذا حال المرء الذي يسعى إلى الخير ويجتهد فيه مع الغير، لكن هذا السعي يعود عليه بالشر العظيم. ويرى الباحث أن هذه الحجة مأخوذة من الواقع ولكن يتخذها البعض لتغيير حقائق هذا الواقع من سبيل الغاية تبرر الوسيلة.

✓ " قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه: ما تقول في أمر الغراب؟ قال: أرى أن تستبقيه وتحسن إليه

فإنه خليق أن ينصحك، والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضاً ظفراً حسناً، ويرى اشتغال بعض أعدائه

ببعض خلاصا منهم ونجاة⁵⁷.

لقد أراد وزير ملك البوم أن يقنع ملكه برأيه ونصيحته في هذا المثال، وجعل من استبقاء الغراب العدو والإحسان إليه مشغلة للغربان فيما بينهم، لأن هذا الغراب المستجير بالبوم يعدّ خائناً في نظر الغربان، وهذا ما يشغلهم عن عدوهم الأصلي ولو إلى حين، وفي هذه المشغلة نفع وصلاح للبوم كي يتدبروا أمورهم في قابل الأيام. ولذا يرى الباحث أن هذه النصيحة وسيلة لصرف ملك البوم عن قتل الغراب، وهو رأي بقية وزراء ملك البوم.

56- كلية دمنة، ص104.

57- المصدر نفسه، ص147.

✓ " فلما ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد منه فلا

يأكل منه شيئاً، ثم إنَّ الأسد رجع إلى مكانه، فقال لابن آوى: أين قلب الحمار وأذناه؟ قال ابن آوى: ألم

تعلم أنه لو كان له قلب يعقلُ به وأذنان يسمع بهما لم يرجع إليك بعدما أفلتَ ونجا من الهلكة⁵⁸.

أراد ابن آوى أن يحتال على الأسد ويأخذ طعامه الذي اصطاده، وفيه علاجه من مرض ألم به، فقد نصحه أهل الدراية بأكل قلب وأذني حمار كي يشفى من سقمه، إلا أن ابن آوى تحيّن الفرصة وأكل القلب والأذنين في غفلة من الأسد، وحين تفقدتهما الأسد برّر ابن آوى ذلك وادّعى أنّ الحمار لا قلب ولا أذنين له، بدليل أنه لو كان يعقل أو يسمع ما عاد ثانية للأسد ليفترسه بعدما نجا منه في الأولى. وعلى هذا النسق يرى الباحث أن ابن آوى قد اتخذ من حادثة وقعت، وهي هروب الحمار ثم عودته ثانية، وسيلة لتحقيق غايته للظفر بجثة الحمار له خالصة دون الأسد.

✓ " قال الآخر: إن كان الملك مفتشاً منزله فليعجل فإن عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان، ولم يزالوا

في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع في نفس الأسد ذلك، فأمر بابن آوى فحضر⁵⁹.

هذا المثال يبيّن احتيال ومكر أعوان الأسد على ابن آوى الناسك، بعدما أصبح أقرب المقربين منه، فكادوا له، وأبلغوا الأسد بذلك، وأرادوا التعجيل في إثبات التهمة على ابن آوى، فنصحوا الأسد بمباغثة تفتيش منزل ابن آوى، مدّعين أنّ له عيوناً وجواسيس ينهونه إلى ما عزم عليه الأسد، فيحتاط بذلك ويُبعد

58- كليلة ودمنة، ص163.

59- المصدر نفسه، ص183.

عن منزله كلَّ شبهة. لذا يرى الباحث أن طلب الاستعجال في تحقيق أمر التفتيش هو وسيلة لإظهار حرص وتبرير أصحاب المكيدة، من أجل إقناع الأسد وتحقيق هدفهم.

✓ " فتوجه الثعلب حتى أتى مالكا الحزين [..]، قال: فإذا أتتك الريح في كلِّ مكان [..]، قال: أجعله

تحت جناحي [..]، قال: وكيف تستطيع [!..]، فلعمرى يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا إني كنت تدرين

في ساعة واحدة مثل ما ندرى في سنة [..]، فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب

مكانه [..] ودقَّ عنقه⁶⁰.

في هذه الحجة يدعي الثعلب الجهل أمام مالك الحزين من أجل أن يستدرجه إلى ما عزم عليه، ويقرّ أن الطير تملك من القدرات ما يفضلها عن الثعالب، لذا طلب من مالك الحزين أن يريه قدرته على إخفاء رأسه بين جناحيه، وأبدى في ذلك حرصا وحبًا للمعرفة، فتلقى مالك الحزين الحجة ونفذ الأمر، فوثب عليه الثعلب وقتله وحقق غايته. ومن هذا يجزم الباحث أن ادعاء الجهل في مواقف حجاجية يكون وسيلة من أجل تحقيق النتائج، وبخاصة حينما يُلبسُ الادعاء ثوب الحرص.

2-3- حجة الاتجاه Direction:

هذا النوع من الحجج يُعتمد في المواقف الحجاجية لتغيير اتجاه السلم الحجاجي، وذلك عند اعتقاد المتلقي لنتيجة حجاجية غير مقصودة، مما يضطر المتكلم إلى توجيه استنتاج المتلقي إلى ما يهدف إليه من نتائج. وقد يُستعان بحجة الاتجاه أثناء التواصل الحجاجي حينما تكون النتائج وخيمة ولا تحمد عاقبتها بالنسبة للمتلقي، حتى لا يعتقد أن المتكلم يدفعه إليها أثناء التواصل.

وقد ورد هذا النمط من الحجج في كتاب (كليلة ودمنة)، وبخاصة حينما يريد الفيلسوف (بيدبا) توجيه الملك (دبشليم) إلى مقاصد كان يخشى التصريح بها أو معارضة الملك بها مباشرة، فيلجأ إلى حجة الاتجاه كي يستقر ذهن واستنتاج الملك على الغاية المرجوة. ويورد الباحث في هذا الصدد جملة من النماذج الدالة على ذلك في كتاب (كليلة ودمنة)، وهي:

✓ " قال كليلة: وكيف ترجو المتزلة عند الأسد ولم تكن دتوت منه من قبل؟ قال دمنة: [..] اعلم أن

الذين لهم المنازل الرفيعة عند الملوك قد كانوا قبل أن يرقوا إليه ليست بحالتهم فيقربون بعد البعد ويدنون

بعد التناهي، وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدى" ⁶¹.

في هذا المثال يبين (كليلة) استحالة حصول أخيه (دمنة) على مكانة رفيعة عند الأسد وهو لم يتقرب منه أبداً، وهذا ما استقر في ذهن (كليلة) واقتنع به، غير أن (دمنة) يريد أن يغير هذه النتيجة لدى (كليلة)، فاعتمد على حجة تحقق هذا التغيير؛ إذ وضح لأخيه أن من نال المتزلة الرفيعة عند الملك لم يكن في سابق عهده صاحب رفعة، وإنما نالها بعد قرب ودنو من الملك، ولذا فقد قرر (دمنة) المضى على نفس الدرب ليحقق مراده. وعلى هذا الأساس يرى الباحث أن الحجة قد غيرت الاستنتاج من جهة إلى أخرى.

✓ " وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد، [..] وإن كنت لا تخاف

من شترة فحف غيره من جنك الذين حرشهم عليك وحملهم على عداوتك . فوقع في نفس الأسد كلام

دمنة فقال: فما الذي ترى إذن وبماذا تشير؟ " ⁶².

61- كليلة ودمنة، ص62.

62- المصدر نفسه، ص82.

اعتمد (دمنة) في هذا المثال حجة الاتجاه لتغيير قناعة الأسد، فقد كان هذا الأخير يطمئن ويتقن بالثور (شترية)، إلا أن (دمنة) يؤكد تحذيره للملك؛ فإن لم يكن من الثور، فليكن ممن يوالي الثور ويأتمر بأمره من الجند والأعوان. لهذا يقرّ الباحث أن (دمنة) قد استطاع بهذه الحجة أن يوغر صدر الأسد، ويحوّل الثقة والصدقة إلى خيانة وعداوة بين الأسد والثور.

✓ " قال القاضي: إنا نجد في كتب الأولين أن القاضي العدل ينبغي له أن يعرف عمل المحسن والمسيء ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته [..]، فأجابه دمنة: إن صالحى القضاة لا يقطعون بالظن ولا يعملون به لا في الخاصة ولا في العامة لعلمهم أن الظن لا يغني عن الحق شيئاً ، وأنتم إن ظننتم أنني مجرم فيما فعلت فإني أعلم بنفسي منكم، وعلمي بنفسى يقين لا شك فيه، وعلمكم بي غاية الشك" ⁶³.

أراد (دمنة) في هذا الحوار أن يؤثر على القاضي ويغيّر من قناعاته بشأن المجرمين والحكم عليهم، وبخاصة أن (دمنة) أضحي محلّ شبهة بسبب وشايته التي كانت سببا في قتل الثور، فقد جزم القاضي أن معرفته بكتب الأولين تؤكد جرم (دمنة)، إلا أن هذا الأخير أقرّ أن ذلك الأمر ظنّ وشكّ، وعلمه بنفسه وبنية عمله يقين. وهذا ما يستدعي القول من الباحث أن (دمنة) غيّر اتجاه نتيجة الحجاج بالاعتماد على معطيات أقوال القاضي ومعرفته بأحوال المذنبين.

✓ " وقد كنت أسمع من بعض مشاهير اللصوص يقول: من عَفَّ عن متاع فقير فلم يسرقه وهو قادر عليه

غَفَرَ له ذلك سرقة مئة غنِّي، وإنَّ أولى السرقة وأحلها سرقة الأغنياء [..]، وإنَّ الرجل لما سمع كلامهم وثَقَّ

به واطمأنَّ إليه واعتقد أنهم خرجوا فسكنَ ونام، ولبت اللصوص حتى أيقنوا أنه قد نام فناروا إلى الأحمال

فاحتملوها وفازوا بها⁶⁴.

هذه الحجة تبين مدى تأثيرها في المتلقي ليغيّر استنتاجاته، فقد تيقن واقتنع صاحب الدار أن اللصوص يسرقون متاعه وأغراضه، وحينما عرف اللصوص بذلك ادعى كبيرهم وجهر بأن الكفَّ عن سرقة الفقراء يغفر ذنب سرقة الأغنياء، وبهذا اطمأنَّ صاحب الدار ونام وتغيّرت قناعته عما كانت عليه أولاً. فالباحث في هذا المقام يسجّل قدرة حجة الاتجاه على تغيير استنتاج المتلقي من نتيجة إلى نتيجة مضادة.

✓ " قال الأسد: لا يكوننَّ بغي أصحابي عليك وحسداهم إياك وعداوة أعدائي لك مما يعرضُ في نفسك،

فأنت معي وأنا أكفيك ذلك [..]. قال ابن آوى: إن كان الملك يريد الإحسان إليّ فليدعني [..]، فإنني قد

علمتُ أنّ صاحب السلطان يصل إليه من الأذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل إلى غيره في طول

عمره⁶⁵.

أراد ابن آوى الناسك في هذا المثال أن يغيّر اعتقاد الملك الذي يرى أنه يقدر على حماية وزرائه

وأعوانه، ومن أجل ذلك أقرَّ ابن آوى الناسك أن ما يصل من الأذى لصاحب السلطان في ساعة واحدة

64- كليلة ودمنة، ص149.

65- المصدر نفسه، ص181.

يضاهي ويتجاوز ما يمكن أن يلاقه غيره من عامة الناس طوال حياته، والغاية من هذه الحجة هو إقناع الملك بإعفائه مما يريد توليته من مناصب. فالحجة في هذا السياق كما بيّن الباحث جاءت لتغيير الاتجاه من نتيجة سابقة غير مقصودة إلى أخرى مقصودة.

✓ " قال الملك: ينبغي لنا أن نتباعدَ منك يا إيلاذ، ونأخذ الحذر ونلزم الأتقاء، قال إيلاذ: اثنان ينبغي أن

تبتاعدَ منهم: الذي يقول لا برّ ولا إثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شيء عليّ مما أنا في ه، والذي لا يكاد

يصرفُ بصره عما ليس له بمحلّل، ولا أذنه عن استماع السوء، ولا نفسه عن خاصة غيره، ولا قلبه عمّا

تُهمُّ به نفسه من الإثم والحرص"⁶⁶.

في هذا المثال يقرر الملك أن يتباعد عن معاونه (إيلاذ) ويحذر من سعة علمه، حتّى يغيّر مجال الحوار

بينهما، إلا أن (إيلاذ) بيّن للملك أن من يجب الابتعاد عنه ليس شخصه، وإنما يجب الابتعاد عن كل

شخص لا يرى قيمة للأشياء ولا هدف منها، وكذا الشخص الذي لا أخلاق له. وبهذه الحجة استطاع

(إيلاذ) - كما يرى الباحث- أن يعدّل الملك عن قراره، ويتابع الحوار معه فيما يلي هذا الموقف.

2-4- حجة السلطة **Autorité**:

هذه الحجة دعامة للمتكلم لإثبات صحة دعواه الحجاجية أمام المتلقي، من خلال الاستناد إلى

القوانين أو التعليمات أو الشرائع السماوية، فهي تعدّ مرجعية سياقية يخضع لها طرفا الحجاج. وعلى هذا

تصبح حجة السلطة أقرب إلى البرهان واليقين الذي لا جدال فيه، وتدفع المتلقي إلى تقبّل النتائج الحجاجية

المرجوة، تبعاً لاعتقاده وتشبّهه بتلك المرجعيات الدينية أو القانونية أو العلمية.

وبالنظر إلى كتاب (كليلة ودمنة) فإن حجة السلطة قد تجسدت في مظهرين اثنين؛ أولهما متعلق بالعلماء وأهل العقل فيما نُقِلَ عنهم من أقوال وآراء وتوجيهات، أما الثاني فيجمع سلسلة من الحكم والمواعظ والأمثال التي تمثل قاعدة سلوكية في الحياة، تعارف الناس عليها وأضححت من موروثهم الثقافي. وفيما يأتي يعرض الباحث نماذج من حجة السلطة:

1/ ما يمثل أقوال العلماء:

✓ " وقد قالت العلماء: إن ثلاثة لا يجترئ عليهنّ إلا أهوج ولا يسلم منهنّ إلا قليل ، وهي صحبة

السلطان، وائتمان النساء على الأسرار، وشرب السمّ للتجربة "67.

✓ " فقد قالت العلماء: إن فساد عامة الأشياء يكون من حالتين: إحداهما إفشاء السرّ والأخرى ترك

عقوبة من يستوجب العقوبة "68.

✓ " وقد قالت العلماء: لا تجزع من العذاب إذا وقفت منك على خطيئة، ولأن تُعذبَ في الدنيا بجرمك

خير من أن تُعذبَ في الآخرة بجهنّم مع الإثم "69.

✓ " فإنّ العلماء قد قالت: من كتّم حجة مبيّت، أخطأ حجته يوم القيامة "70.

67- كليلة ودمنة، ص63.

68- المصدر نفسه، ص103.

69- المصدر نفسه، ص108.

70- المصدر نفسه، ص118.

✓ "وقد قالت العلماء: إذا دخل قلب الصديق من صديقه ريباً فليأخذ بالحزم في التحفظ منه وليتقأ

ذلك في لحظاته وحالاته، فإن كان ما يظنُّ حقاً ظفراً بالسلامة، وإن كان باطلاً ظفر بالحزم" 71.

ب/ ما يمثّل الحكم والمواعظ:

✓ "وقد قيل: لا يواظب على باب السلطان إلا من يطرح الأنفة، ويحمل الأذى، ويكظم الغيظ، ويرفق

بالتناس، ويكتم السرّ" 72.

✓ "والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوع" 73.

✓ "غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا يئس على حال ولا يدع الرأي والجهد" 74.

✓ "وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظلّ الغمامة في الصيف، وخبلة الأشرار، وعشق النساء،

والنبا الكاذب، والمال الكثير" 75.

✓ "ويقال في الأمثال: قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كلّ المقاربة فيجترئ

عليك ويضعف جندك وتذلّ نفسك" 76.

71- كلیلة ودمنة، ص160.

72- المصدر نفسه، ص63.

73- المصدر نفسه، ص79.

74- المصدر نفسه، ص80.

75- المصدر نفسه، ص129.

76- المصدر نفسه، ص136.

✓ "فإنه قد قيل: إنه يُعدُّ جاهلاً من تكلف من الأمور ما لا يُشاكله وليس من عمله، ولم يُؤدبه عليه

آبأؤه وأجداده من قبل" 77.

وانطلاقاً من دراسة أنواع الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع، وجد الباحث أن هذا النوع في كتاب (كليلة ودمنة) كثير ومتنوع، لأنه ينقل التجارب الواقعية، ويجعل منها أرضية لبناء قناعات يتم بواسطتها التأثير في المتلقي، ونقله من واقعه المعيش إلى المقاصد الحجاجية. كما وجد الباحث في هذا الصدد أن أشكال الحجج التي تعتمد الانتقال من النتيجة إلى الحجة وفق هذا الشكل (نتيجة \Rightarrow حجة) غالباً ما تكون سبباً لاستعمال عنصر السرد؛ إذ تُذكر النتيجة من البداية، ليصبح تدعيمها بالحجج سرداً للأحداث والوقائع والأمثال، وهذا النسيج كان الغالب في كتاب (كليلة ودمنة).

كما يشير الباحث أنه بالرغم من الصبغة الدينية الإسلامية التي ألبسها (عبد الله بن المقفع) لكتاب (كليلة ودمنة)، وبالرغم من الإضافات التي أضافها لهذا الكتاب، إلا أنه لم يستعن بآيات القرآن الكريم أو بالأحاديث الشريفة، ولعل الأمر عائد إلى مقصده من ترجمة الكتاب، فقد أراد أن يعارض به الخليفة (أبا جعفر المنصور)، لما رأى من شبه الاستبداد والظلم بينه وبين الملك (دبشليم). غير أن الموقف لا يستدعي عنده المواجهة بآيات القرآن الكريم أو بالحديث الشريف، لأن تربية الخلفاء وتأديبهم آنذاك كفيلة بتزويدهم بهذه المرجعية، ثم إنَّ وقوف (ابن المقفع) أمام الخليفة (المنصور) على هذه الهيئة يُنقص من فاعلية الحجج، لأنه سُنظرُ إلى (ابن المقفع) متطاولاً ومتجاوزاً حدّه؛ إذ كيف ينصح ويعلم بالقرآن الكريم من تأدّب به. لذا يرى الباحث أن (ابن المقفع) لجأ إلى بديل ذلك وهو اعتماد أقوال العلماء والحكماء وأهل التجربة، وعلى الأمثال والمواعظ المتعارف عليها، حتى يضمن استمرارية الحجج وتصاعديّة سلالته لتحقيق المقاصد.

3 - الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

تدعم هذه الحجج النتائج الحجاجية لدى المتلقي، لأنها تنقل التصورات والمدرجات التي يود المتكلم تثبيتها في ذهن المتلقي من واقعه المعيش، وعلى هذا فهي " تؤسس هذا الواقع وتبنيه، أو على الأقل تكملّه وتُظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه " ⁷⁸، من خلال الربط بين الأحداث والوقائع ربطاً زمنياً أو مكانياً أو رمزياً.

وتأسس هذه الحجج على نوعين اثنين من الحجج هما:

3-1- الحجج المؤسسة بواسطة الحالات الخاصة:

في كثير من الأحيان يقصد المتكلم أثناء الحجج استعمال حالات منفردة مأخوذة من الواقع ليبنى على منوالها نتائج الحجاجية، فتتحوّل تلك الحالات المنفردة من حالة خاصة إلى قاعدة عامة يُبنى على أساسها الواقع المقصود تصويره في ذهن المتلقي.

وبالعودة إلى كتاب (كليلة ودمنة) يجد الباحث أن الكتاب قد قام على هذه الحجة، بدليل الألفاظ والعبارات المتكررة بين الأمثال في كل باب، نحو: (اضرب لي مثلاً..، ومن أمثال ذلك..، كيف كان ذلك..، زعموا أنّ...)، فهذه الصيغ المتكررة تشير إلى اعتماد حالة خاصة تؤسس لحجة، يعتمدها الفيلسوف (بيدبا) في كتاب (كليلة ودمنة) لإقناع الملك (دبشليم)، سواء كانت هذه الحالة الخاصة شاهداً أو مثلاً أو قدوة مدرجة في ذلك الكتاب.

وفيما يلي يورد الباحث نماذج من هذه الحالات الخاصة التي استعان بها الفيلسوف (بيدبا) في كتاب

(كليلة ودمنة) لإثبات صحة نتائجه الحجاجية:

78- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم، ص242.

✓ " قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة: اضرب لي مثل المتحائنين يقطع بينهما

الكذوب المحتال [..]. قال بديبا: [..] ومن أمثال ذلك [..]"⁷⁹.

✓ " قال دمنة: ليس الملك بحقيق أن يدع مكانه لأجل صوت، فقد قالت العلماء: ليس من كل الأصوات

تجيب الهيبة، قال الأسد: وما مثل ذلك؟ قال دمنة: زعموا أن [..]"⁸⁰.

✓ " وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن [..]"⁸¹.

✓ " [..] فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث، قال

الأسد: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة: زعموا أن قملة [..]"⁸².

✓ " وإنما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا [..]"⁸³.

✓ " قال الفيلسوف: [..] ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب ، قال الملك:

وكيف كان ذلك؟ قال بديبا: زعموا أن [..]"⁸⁴.

79- كلية ودمنة، ص 57.

80- المصدر نفسه، ص 66.

81- المصدر نفسه، ص 76.

82- المصدر نفسه، ص 82.

83- المصدر نفسه، ص 111.

84- المصدر نفسه، ص 119.

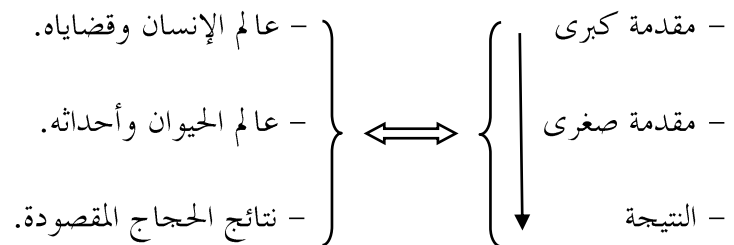
✓ " قال الفيلسوف: من اغترّ بالعدو الذي لا يزال عدوًا أصابه ما أصاب البوم من الغربان، قال الملك:

وكيف ذلك؟ قال بيدبا: زعموا أنه [..] "85.

3-2- الحجج المؤسسة بواسطة التمثيل L'Analogie:

تعتمد هذه الحجج تسخير صور البيان وبخاصة التشبيه، والغاية من ذلك التأثير في المتلقي أثناء الحجاج، وتأسس هذه الحجج وفق قياس منطقي يتألف من مقدمتين كبيرى وصغرى ثم نتيجة تمثل دعوى الحجاج. علما أن المتكلم أثناء الحجاج يستخدم قضايا من واقع المتلقي تشكل المقدمتين الكبيرى والصغرى، وهذا ما يدفعه لاستنتاج المقصود من ذلك.

وحيث التطرق لكتاب (كليلة ودمنة) يجد الباحث أن الكتاب ككل يمثل حجة قائمة على التمثيل، ذلك أن مغزاه يعالج قضايا سياسية واجتماعية ترتبط بعالم الإنسان، إلا أنه مُثَّلَ لذلك بمجريات وأحداث عالم الحيوان، ليستنتج المتلقي عن طريق إعمال الفكر والنظر، المقصود من كتاب (كليلة ودمنة). ويمثّل الباحث ذلك التصوّر وفق الرؤية الآتية:

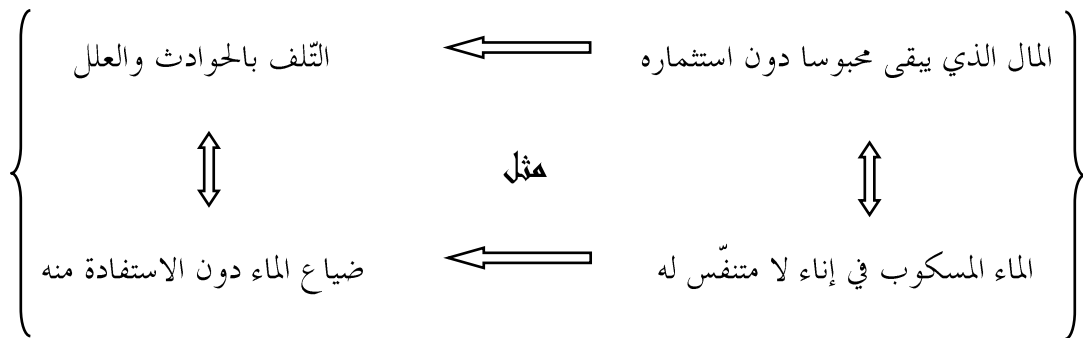


غير أن التقصي والبحث في محتوى كتاب (كليلة ودمنة) وفي أبوابه وأمثاله، يتبيّن منه للباحث كثرة اعتماد هذا النوع من الحجج المؤسّسة للواقع بواسطة التمثيل، ولتأكيد هذه المسألة يسوق الباحث نماذج لذلك، ويرسم لها أشكالا توضيحية، منها:

✓ "[..] ثم لم يمنع ذلك أيضا ما له من التّلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه، كمحبس الماء الذي لا

تزال المياه تنصبّ فيه، فإن لم يكن له مخرج ومفاسدٌ ومتنفّسٌ يخرج منه بقدر ما ينبغي ، خربَ وسالَ ونزّ

من نواح كثيرة⁸⁶.

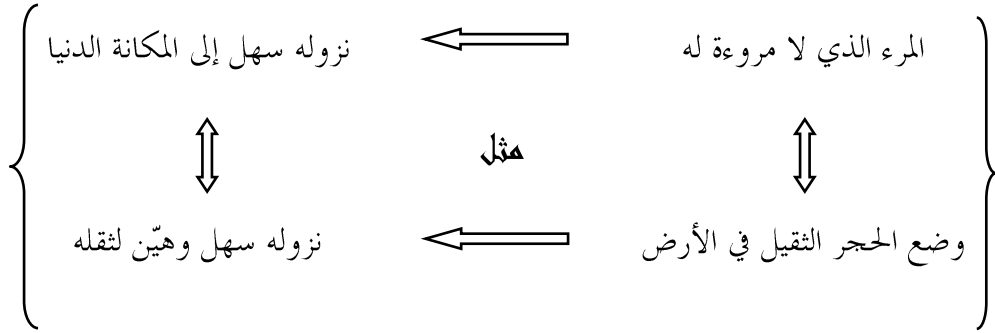


✓ "ومن لا مروءة له يحط نفسه من المترلة الشريفة شديد والانحطاط هيين، كالحجر الثقيل رفّعه من

الأرض إلى العاتق عسرٌ ووضعهُ إلى الأرض هيين⁸⁷.

86- كلية ودمنة، ص58.

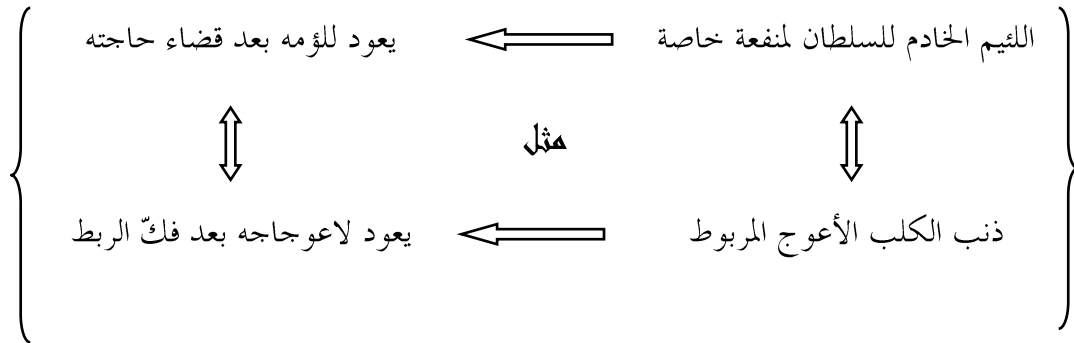
87- المصدر نفسه، ص61.



✓ " فإن اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرق أو حاجة، فإذا استغنى وذهبت الهيبة

والحاجة عاد إلى جوهره، كذنب الكلب الذي يُربط ليستقيم، فلا يزال مستويا مادام مربوطا، فإذا حُلَّ

انحنى وتعوّج كما كان" 88.



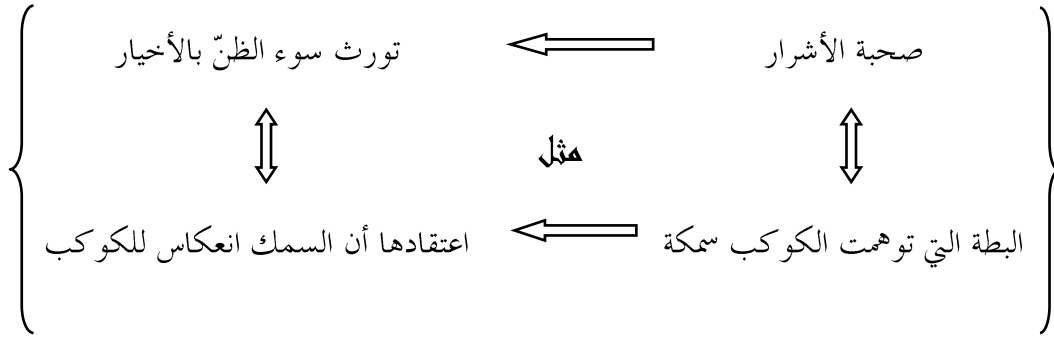
✓ " فإن صحبة الأشرار ربما أورثت صاحبها سوء الظن بالأخيار، وحملة ما يختبر منهم على الخطأ في

حق غيرهم، كخطأ البطّة التي زعموا أنّها رأت في الماء ضوء كوكب فظننته سمكة فحاولت أن تصيدها،

[..] ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظننت أنّها مثل الذي رآته بالأمس فتركتها ولم تطلب صيدها" 89.

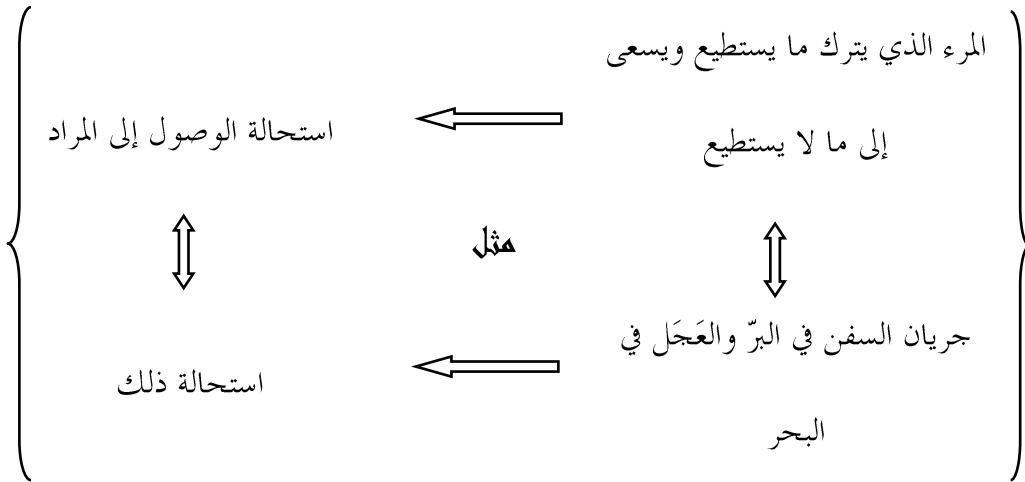
88- كلية ودمنة، ص80.

89- المصدر نفسه، ص85.



✓ " وإِذَا العَاقِلُ يَبْغِي لَه أَن يَلْتَمِسَ مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَيَتْرَكَ التَّمَاسَّ مَا لَيْسَ لَهُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، كَمَنْ أَرَادَ

أَنْ يُجْرِيَ السُّفْنَ فِي الْبَرِّ وَالْعَجَلِ فِي الْبَحْرِ⁹⁰ .

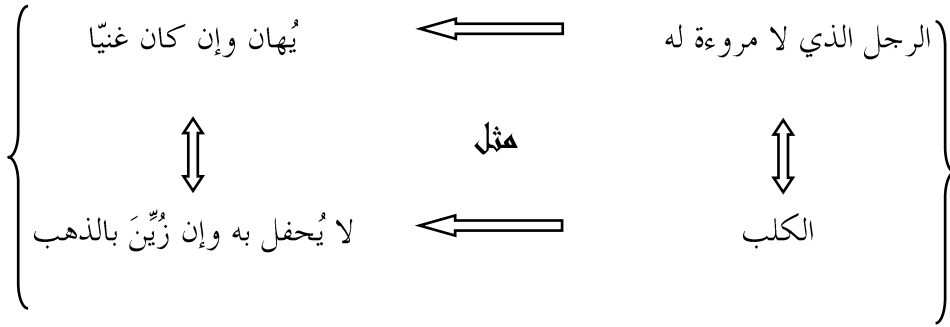
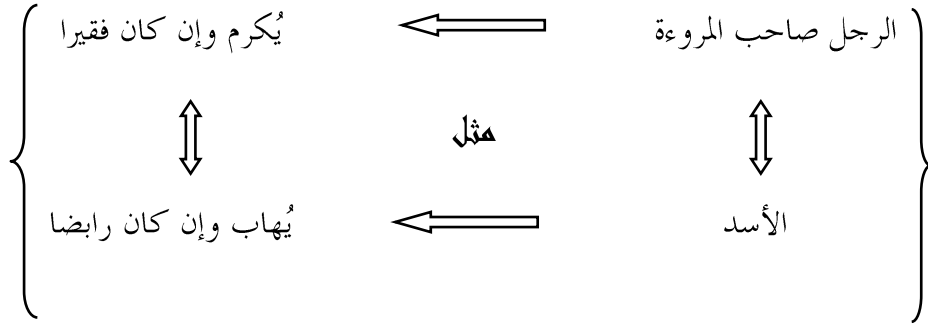


✓ " فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا الْمَرُوءَةَ قَدْ يُكْرِمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا ، وَالْغَنِيِّ الَّذِي

لَا مَرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ كَالْكَلْبِ لَا يُحْفَلُ بِهِ وَإِنْ طَوَّقَ وَخُلِجِلَ بِالذَّهَبِ⁹¹ .

90- كلية ودمنة، ص121.

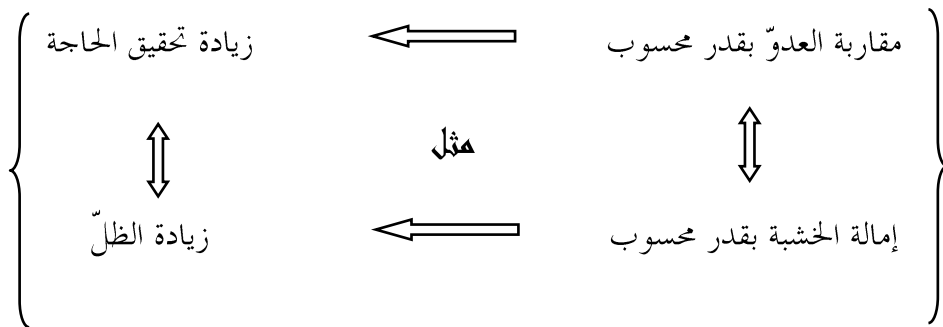
91- المصدر نفسه، ص129.

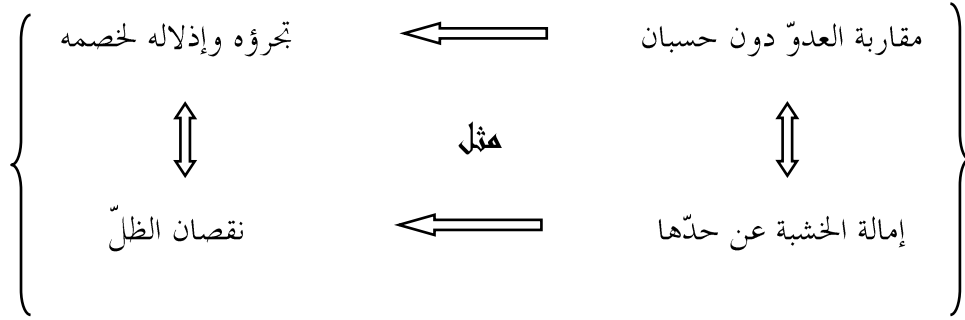


✓ "قاربُ عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تُقاربه كلَّ المقاربة فيجترئ عليك ويُضعف جنلك

وتذلل نفسك، ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملتُها قليلا زاد ظلُّها، وإذا جاوَزتَ بها الحدَّ

في إِمالتها نقصَ الظلُّ⁹².





اعتمادا على ما سبق من دراسة أنواع الحجج المؤسّسة لبنية الواقع، وجد الباحث أنّ هذه الحجج

في كتاب (كليلة ودمنة) مأخوذة من الواقع، ولكن يُراد بها في الحجاج التأسيس للواقع المقصود إنشاؤه من

خلال النتائج الحجاجية، فالاستعانة بالحالات الخاصة وبالتمثيل المستنبط من الواقع يجعل المتلقي يتقبّل

النتائج، لأنها انطلقت من مسلّمات يؤمن بها، أو هي من تجاربه أو تجارب غيره. فالحالة الخاصة التي تتحوّل

إلى قاعدة عامة تصبح بعد ذلك نموذجا وقدوة، يسعى المتكلم التأثير بها في المتلقي، كما تصبح أيضا الهيكل

الذي بُني على منواله كتاب (كليلة ودمنة)، لأنه حكايات وأمثال وقصص مأخوذة من عالم الحيوان،

ومقصود بها عالم الإنسان للاعتبار والموعظة والتوجيه من خلال الحجاج.

خلاصة الفصل:

يشير الباحث في نهاية هذا الفصل إلى جملة من النتائج التي توصل إليها بعد دراسة أنواع الحجج في

كتاب (كليلة ودمنة)، وتبيان مدى قدرتها على التأثير في المتلقي، ودفعه إلى إنجاز فعل معين من خلال

مقاصد الحجج. ومن أهم تلك النتائج:

1- لا يقوم الحجج على نوع واحد من الحجج في كتاب (كليلة ودمنة)، وإنما تتداخل أنواع الحجج

وتتضافر من أجل تحقيق الغاية المرجوة من الحجج.

2- تنوع وتعدد أنواع الحجج المستعملة خاضع لطبيعة المتلقي، ولتحتوى الموضوع المعالج في الحجج، ثم إلى

السياق المحيط بالحجج.

3- الحجج المؤسسة على بنية الواقع أكثر تأثيراً في المتلقي، لأنها مستمدة من واقعه المعيش، ولا يجد هذا

المتلقي حرجاً في الأخذ والتسليم بها، فهي تعدّ مسلمات وبديهيات تشكّل محيط حياته.

4- يتأسس هيكل الحجج في كتاب (كليلة ودمنة) في غالبه على تقديم النتيجة ثمّ الحجة، قصد توظيف

عنصر السرد لإدراج القصص والحكايات والأمثال، فهي تؤسس دعامة العملية الحججية في هذا الكتاب.

- 5 - اعتماد المنطق وإعمال الفكر في الحجج، كانت غايته في كتاب (كليلة ودمنة) إشراك المتلقي في استنتاج المقاصد، ليصبح هذا المتلقي عنصراً فاعلاً في توجيه سلم الحجج، وهذه المشاركة هي التي تساعد على عملية التأثير في المتلقي وتقبُّله للنتائج.
- 6 - الحجج المؤسَّسة لبنية الواقع تجمع عالمين؛ عالم الواقع الموجود، وعالم الواقع المقصود إنشاؤه من خلال العملية الحجاجية، وانتقال المتلقي بين العالمين رهين بمدى تقبُّله للنتائج المعروضة عليه.
- 7 - حضور عنصر الحوار في الحجج كفيل باستمراريته، وبتوجيه المتلقي إلى المقاصد، لأن الحجج الذي يقوم على طرف واحد وهو المتكلم غالباً ما ينقطع، وقد يحدث نتائج عكسية.

الفصل الخامس

الوسائل الإقناعية في كلية ودمنة:

1 المقياس وأنواعه في كلية ودمنة

2 الوسائل اللسانية في كلية ودمنة

3- الوسائل اللغوية في كلية ودمنة

تمهيد:

يسعى الباحث في هذا الفصل إلى دراسة أهم الوسائل الإقناعية المعتمدة في كتاب (كليلة ودمنة)، فبعد أن بيّن الباحث في هذا الكتاب مراتب الحجج انطلاقاً من السلاّم الحجاجية، ثم حدّد أنواع الحجج المعتمدة للإقناع والتأثير في المتلقي. يبرز في هذا المقام بيان الوسائل الإقناعية، لأنّ مرتبة الحجة ونوعها لا يكفیان لإقناع المتلقي، وإنما يحتاجان إلى تقنيات إقناعية تبرز هذه الحجة، وتضعها موضعها اللائق لتحقيق الهدف من الحجاج.

إنّ الوسائل الإقناعية في مجملها، سواء كانت منطقية أو لسانية أو لغوية، تهيم المتلقي لتقبّل نتائج الحجاج بوصفه "دراسة لطبيعة العقول، ثمّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها"¹، وهذا ما يُسهّل على المتكلم تحقيق فعل التأثير في المتلقي. علماً أنّ الحجاج لا يعتمد على الإلّبار والإلّزام، وإنما يُشرك المتلقي في بناء سلّمه وحجته ونوعها لتقبّل نتائجه. ولذا يضع المتكلم في تصوّره أثناء الحجاج طبيعة المتلقي وقدرته على فهم الحجج، والإمكانات التي يوفرها السياق المحيط، لتصبح عملية توجيه المتلقي مُفَنّنة وفق آليات وتقنيات تُمثّل وسائل الإقناع في الحجاج.

وإذا ما عاد الباحث إلى كتاب (كليلة ودمنة) يجد أنّ وسائل الإقناع المعتمدة فيه تتفرّع إلى أنواع، يَفْصِلُ الباحث بينها في هذه الدراسة، لأنّ حقيقة الأمر أنّ وسائل الإقناع تأتي متضافرة ومتداخلة لتحقيق الغاية من الحجاج، وما فصلها في هذا المقام إلا لإبراز أشكالها وصورها التي ترد عليها في كتاب (كليلة ودمنة). وهذه الوسائل الإقناعية هي:

1- Chaim. Perelman et O. Tyteca, Traité de L'Argumentation, Edition de l'Université de Bruscelles, 5^{ème} Edition, 1992, P18.

1- القياس وأنواعه في كلية دمنة Syllogisme :

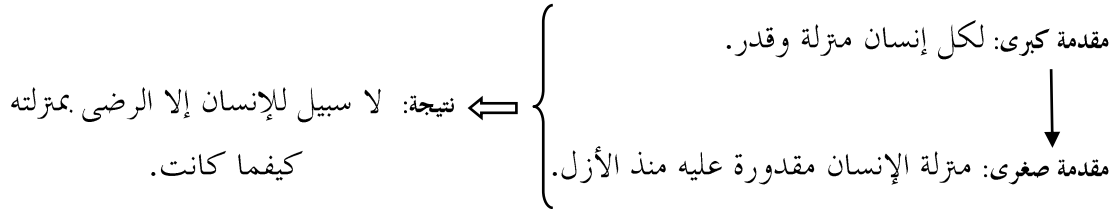
القياس صيغة شكلية منطقية، تهدف أثناء الحجاج إلى ربط النتيجة بالحجة المدرجة فيه؛ إذ يتأسس القياس - غالباً - من مقدمتين: كبرى وصغرى، ثم نتيجة. وتمثل المقدمتان مجموع الحجج المعتمدة في الحجاج، وهي تربط ربطاً دلالياً ومنطقياً، وتساعد المتلقي على الوصول إلى المقصود.

وفيما يلي يعرض الباحث نماذج متنوعة للقياس في كتاب (كلية دمنة)، تبين الهدف من استعمال هذه الوسيلة الإقناعية فيه، مع العلم أن للقياس أشكالاً هي:

1 4 القياس المنطقي Syllogisme logique: وهو ما تُذكر فيه المقدمتان والنتيجة معاً، مثل:

✓ "قال كلية: قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم أن لكل إنسان منزلة وقدرًا، [..]، ثم إن منزلة

الإنسان مقدورة عليه منذ الأزل، فلا سبيل له إلا الرضى بها كيف كانت"².

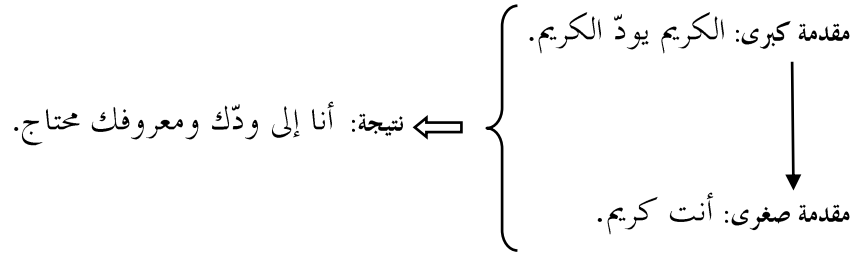


في هذا المثال يقنع (كليلة) أخاه (دمنة) بالرضى وقبول منزلته التي هو عليها، ليشبهه عن سعيه المتمثل في التقرب من الأسد الملك. ويرى الباحث أن مضمون المقدمتين مسلمات من الواقع، والربط بينهما كان دلالياً ومنطقياً، يوصل إلى النتيجة المرجوة لغاية الإقناع.

✓ "والكريم يؤدُّ الكريم [..]، وأنا إلى ودك ومعروفك محتاج لأنتك كريم"³.

2- عبد الله بن المقفع، كلية دمنة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007، ص61.

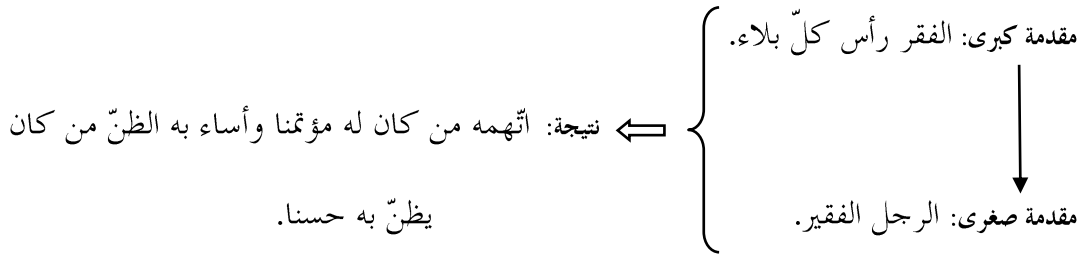
3- المصدر نفسه، ص122.



بالرغم من العداوة الحاصلة بين الجرذ والغراب، إلا أنّ هذا الأخير استعمل القياس المنطقي ومعطيات الواقع، ليقنع الجرذ قبول صداقته، لما رآه منه من صنيع المعروف مع الحمامة المطوقة.

✓ " ووجدتُ الفقر رأس كلِّ بلاءٍ وجالبا إلى صاحبه كلِّ مَقْتٍ، ومعدنَ النميمة، ووجدتُ الرجل إذا

افتقر اتَّهمُهُ من كان له مُؤْتَمِنًا وأساء الظنَّ به من كان يظنُّ به حسنًا⁴.



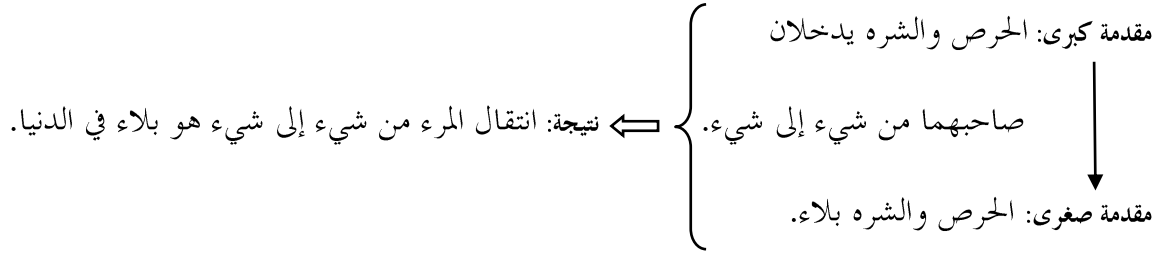
في هذا المثال أراد الجرذ أن يقنع الغراب بما آل إليه حاله بعدما افتقر، ونتيجة الحجاج مبنية على قياس منطقي مقدمته من الواقع. وهذه الواقعية هي من يدفع بالمتلقي إلى تقبل النتيجة.

✓ "ثمّ تذكرتُ فوجدتُ البلاء في الدنيِّ إثمًا يسوقه الحرص والشرُّه لأثهما لا يزالان يُدخلان صاحبهما

من شيء إلى شيء، والأشياء لا تنفذ ولا تنتهي⁵.

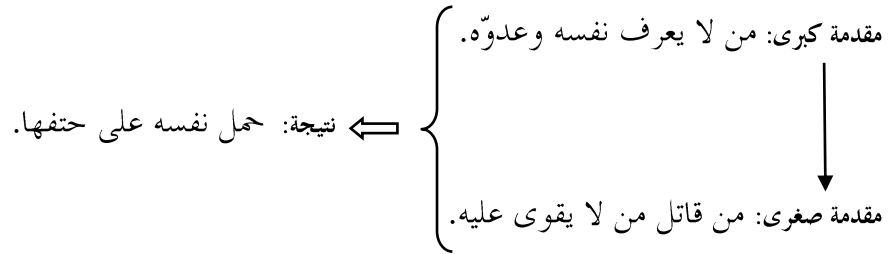
4- كليلة ودمنة، ص127.

5- المصدر نفسه، ص128.



هذا المثال على نحو سابقه، إذ أراد من خلاله الجرذ أن يقنع الغراب - بعد صداقتهم - إلى ما تعلمه بعدما أصبح فقيراً.

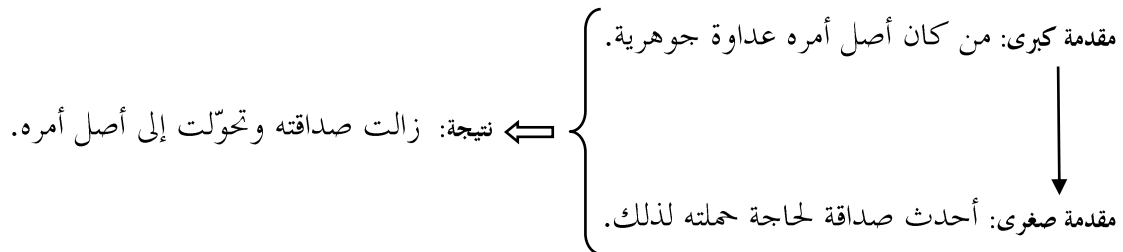
✓ "وقد قيل: إنه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى علي حمل نفسه على حتفها"⁶.



في هذا المثال أراد وزير الغراب أن يصرف نظر ملكه عن مقاتلة أعدائه اليوم، فاستعان بهذا القياس المنطقي كي لا يُظهر خوفاً أو يقلل من همة الملك، واعتمد في ذلك على المسلمات.

✓ "فأما من كان أصل أمره عداوة جوهرية، ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك، زالت صداقته

فتحوّلت وصارت إلى أصل أمره"⁷.



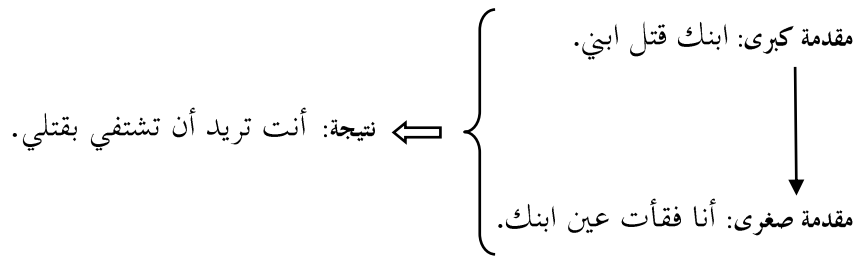
6- كلية دمنة، ص136.

7- المصدر نفسه، ص171.

في هذا المثال أراد الجرذ أن يقنع عدوّه السنور بعدم جدوى الصداقة بينهما، وإن كان قد خلّصه من الصياد. ومقدمتا هذا القياس من حقائق الواقع.

✓ " وأنا أعلم أنّك تكلمني بغير ما في نفسك، والأمر بيني وبينك غير صغير، لأنّ ابنك قتل ابني وأنا

فقأت عين ابنك، وأنت تريد أن تشتفي بقتلي وتختلني عن نفسي، والنفس تأتي الموت "8.

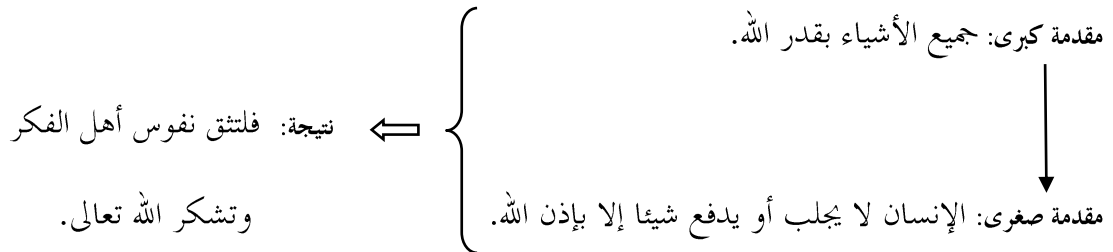


أراد الطائر (فترة) أن يقنع الملك من خلال قياس منطقي، أنّه لا يأمنه ولا يثق به، ولن يعود إلى إلفه وصداقته، لأنّه استنتج أنّ الملك يريد قتله. ومقدمات هذا الحجاج واقعية، أسهم القياس في ربطها بالنتيجة.

✓ " فليعرف أهل النظر في الأمور أنّ جميع الأشياء بقدر الله وقضائه ، وأنّ الإنسان لا يجلب إلى نفسه

محبوباً ولا يدفع عنها مكروها إلا بإذن الله تعالى ، فلتشقّ نفوس أهل الفكر بذلك وتطمئنّ إليه. فإنّ في ذلك

راحة للمبتلى وداعياً لمن تواتيه المقادير على شكر ربّ العالمين "9.



8- كلية دمنة، ص176.

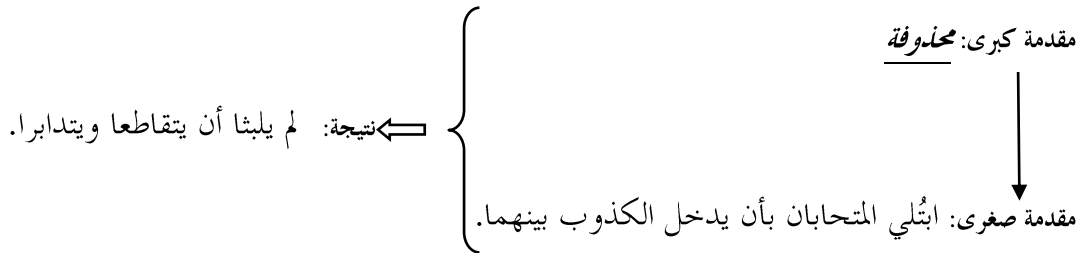
9- المصدر نفسه، ص213.

اعتمادا على الأمثلة السابقة، يرى الباحث أن القياس المنطقي وسيلة إقناعية توصل إلى النتيجة المقصودة من الحجاج، وبخاصة أنها تعتمد في المقدمتين على معطيات ومسلمات الواقع، مع الإشارة إلى أن المتكلم يركز بدرجة كبيرة على المقدمة الصغرى، لأن المقدمة الكبرى قضية عامة مُسلم بها ولا اختلاف حولها، أما المقدمة الصغرى فهي التي يدرجها المتكلم في الحجاج ليوجّه المتلقي نحو مقاصده.

1 2 القياس المضمّر Syllogisme Implicite :

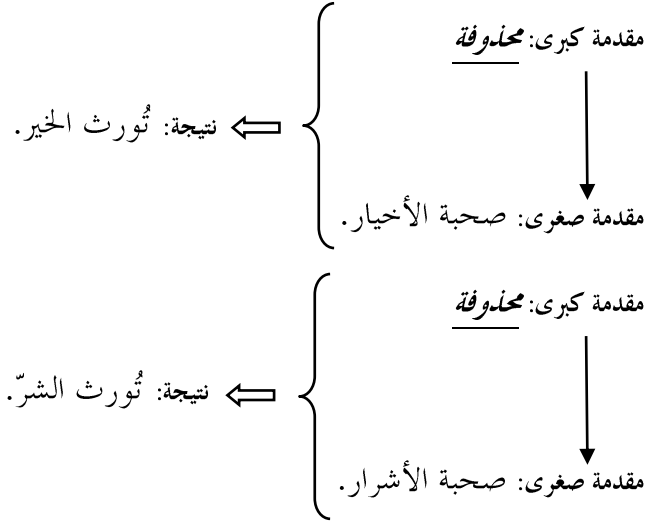
في هذا النوع من أنواع القياس تكون المقدمة الكبرى محذوفة، وتذكر فيه المقدمة الصغرى مع النتيجة، والغاية من حذف المقدمة الكبرى هو إشراك المتلقي في عملية الاستنتاج. ومما ورد من هذا النوع من القياس، بوصفه وسيلة إقناعية، يسوق الباحث نماذج من كتاب (كليّة ودمنة) وفق التصوّر الآتي:

✓ "قال بيدبا: إذا أُبْتَلِيَ المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا"¹⁰.



ويكون تقدير المقدمة المحذوفة كالآتي: (الكذوب سبب التقاطع والتدابر). ولذا يرى الباحث أن هذا المثال يُقرأ في أصله: (الكذوب المحتال سبب التقاطع والتدابر بين الناس، الكذوب يدخل بين المتحابين، إذن يؤدي الكذوب إلى تقاطعها وتدابرها). ففي هذا القياس المضمّر يُترك المجال للمتلقي لاستنتاج المقدمة المحذوفة، وتقديره لها وقدرته على ذلك هو أثر نتيجة الحجاج فيه.

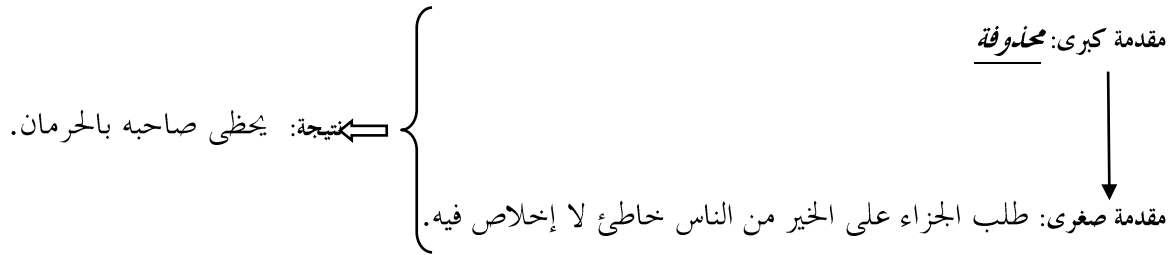
✓ " وإن صحبة الأختيار تُورثُ الخير، و صحبة الأشرار تُورثُ الشر "11 .



تقدير المقدمة الكبرى: (الصحة تُورث الطباع. والأصل: الصحة تُورث الطباع، والخير طبيعة الأختيار / والشرُّ طبيعة الأشرار، إذن صحة: الأختيار تورث الخير / الأشرار تورث الشر). ففي المثالين السابقين، المقدمة الكبرى المحذوفة نفسها عند التقدير، وتضاد النتيجة يساهم في إقناع المتلقي.

✓ " ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقاً أن يحظى بالحرمان إذ يحظى الصواب في خلوص

العمل لغير الله وطلب الجزاء من الناس "12 .

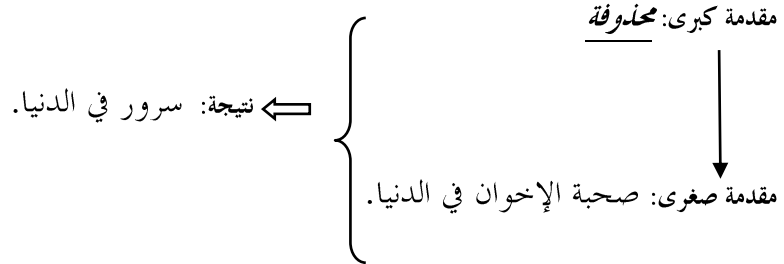


والأصل: (من لم يخلص عمله لله تعالى يحظى بالحرمان، طلب الجزاء على الخير من الناس لا إخلاص فيه، إذن طلب الجزاء على الخير من الناس يحظى صاحبه بالحرمان). وتقدير المحذوف هو تقبل النتيجة.

11- كلية ودمنة، ص99.

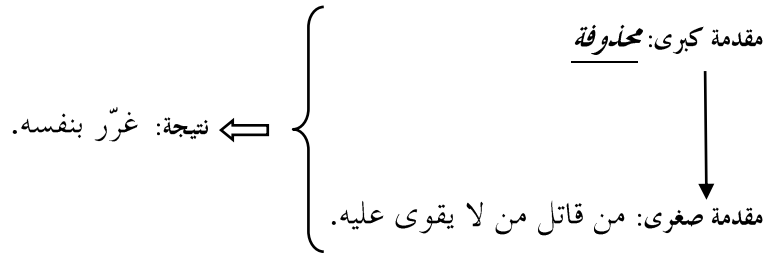
12- المصدر نفسه، ص104.

✓ "فإنَّه لا شيء من سرور الدنيا يَعْدِلُ صحبة الإخوان" 13.



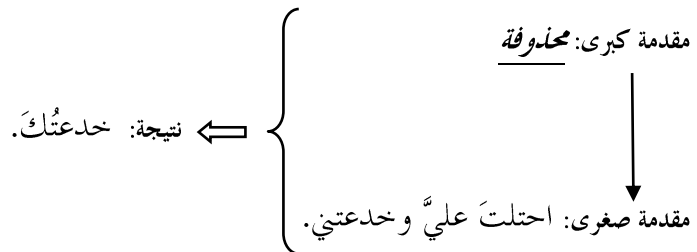
والأصل: (الصحبة تجلب السرور في الدنيا، الإنسان يصحب الإخوان في الدنيا، إذن الإنسان مسرور في الدنيا). فالإقناع بسرور الدنيا يعين على أن تقدير ذلك سببه الصحبة، وهو عين التأثير في المتلقي.

✓ "فلا يكونن القتال لليوم من رأيك أيها الملك، فإنَّ من قاتل من لا يقوى عليّ فقد غرَّ بنفسه" 14.



والأصل: (العجز عن فعل الأشياء تغيير بالنفس، الشخص الذي يقاتل من لا يقوى عليه، إذن يُغرَّ بنفسه). فالقياس المضمر في هذا المثال يشرك ذهن المتلقي لتقدير المحذوف، والإقناع بالنتيجة.

✓ "ولكنك احتلت عليّ وخذعتني فخذعتك بمثل خديعتك واستدركتُ فارطُ أمري" 15.



13 - كلية ودمنة، ص 128.

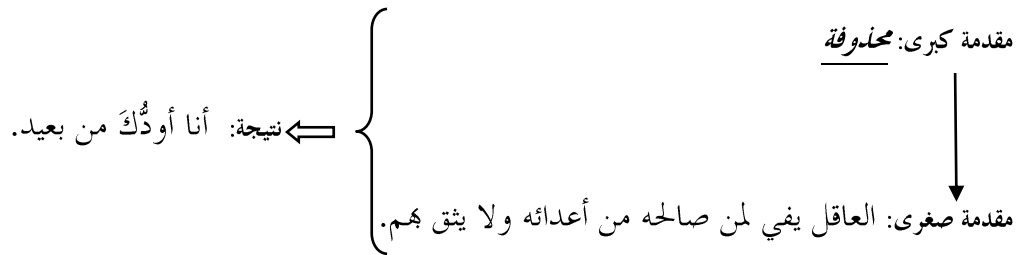
14 - المصدر نفسه، ص 137.

15 - المصدر نفسه، ص 163.

وأصل التقدير: (كلّ خادع مخدوع، وأنت احتلت عليّ وخدعتني، إذن خدعتك). وهذا خطاب القرد للغيلم، بعدما رأى منه الخديعة. وهو ما أفتع الغيلم بفداحة جرمه، فتقبّل نتيجة الواقع مما جناه بمكره.

✓ "والعاقل يفني لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كلّ الثّق [..]، وأنا أوّدك من

بعيد وأحبّ لك البقاء والسلامة" 16.



وعند التقدير: (كلّ عاقل ودود لغيره، العاقل يفني لعدوّه حين مصالحته ولا يثق به كلّ الثقة، إذن أنا أوّدك من بعيد). والأخذ بصحة النتيجة يوصل إلى تقدير المحذوف.

من خلال هذه الأمثلة، يسجّل الباحث أنّ حذف المقدمة الكبرى من القياس المضمر يدفع بالمتلقي إلى تقديرها والكشف عنها، وهذا بإعمال فكره ونظره فيها. وبالتالي يساعد هذا المتلقي في عملية بناء هذه الحجّة المقدّرة، وهي صورة ظهور فعل التأثير والإقناع فيه عن طريق القياس المضمر.

1 3 القياس المتدرّج Syllogisme Progressif :

هذا النوع من القياس معقد ومتداخل جدا، لأنّه ينبي من مجموعة أقيسة منطقية؛ إذ تصبح فيه نتيجة قياس منطقي سابق مقدمة كبرى لقياس منطقي تال له، ويتدرّج هذا الأمر على نفس المنوال. وبالعودة إلى كتاب (كليلة ودمنة) يذكر الباحث في هذا المقام مثالين مختلفين: الأول منهما مثال من كتاب (كليلة ودمنة) يبيّن الباحث من خلاله شكل القياس المتدرّج باتجاه تنازلي يوافق ترتيب جمل المثال. أمّا المثال الثاني

فيتعلق بشكل الأمثال الواردة في أبواب كتاب (كليلة ودمنة)، فهذه الأمثال هي شكل من أشكال التدرّج المنطقي في بناء نتيجة الباب الواحد من ذلك الكتاب، غير أنّ القياس فيها يكون باتجاه تصاعدي يخالف ترتيب الكتاب لتلك الأمثال. وفيما يلي بيان ذلك:

المثال الأول:

✓ "لأنّ من نزل به الفقر لا يجد بداً من ترك الحياء ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب

سروره مَقَتَ نفسه ، ومن مَقَتَ نفسه كُثِرَ حزنه ، ومن كُثِرَ حزنه قَلَّ عقله وارْتَبَكَ في أمره ، ومن قَلَّ

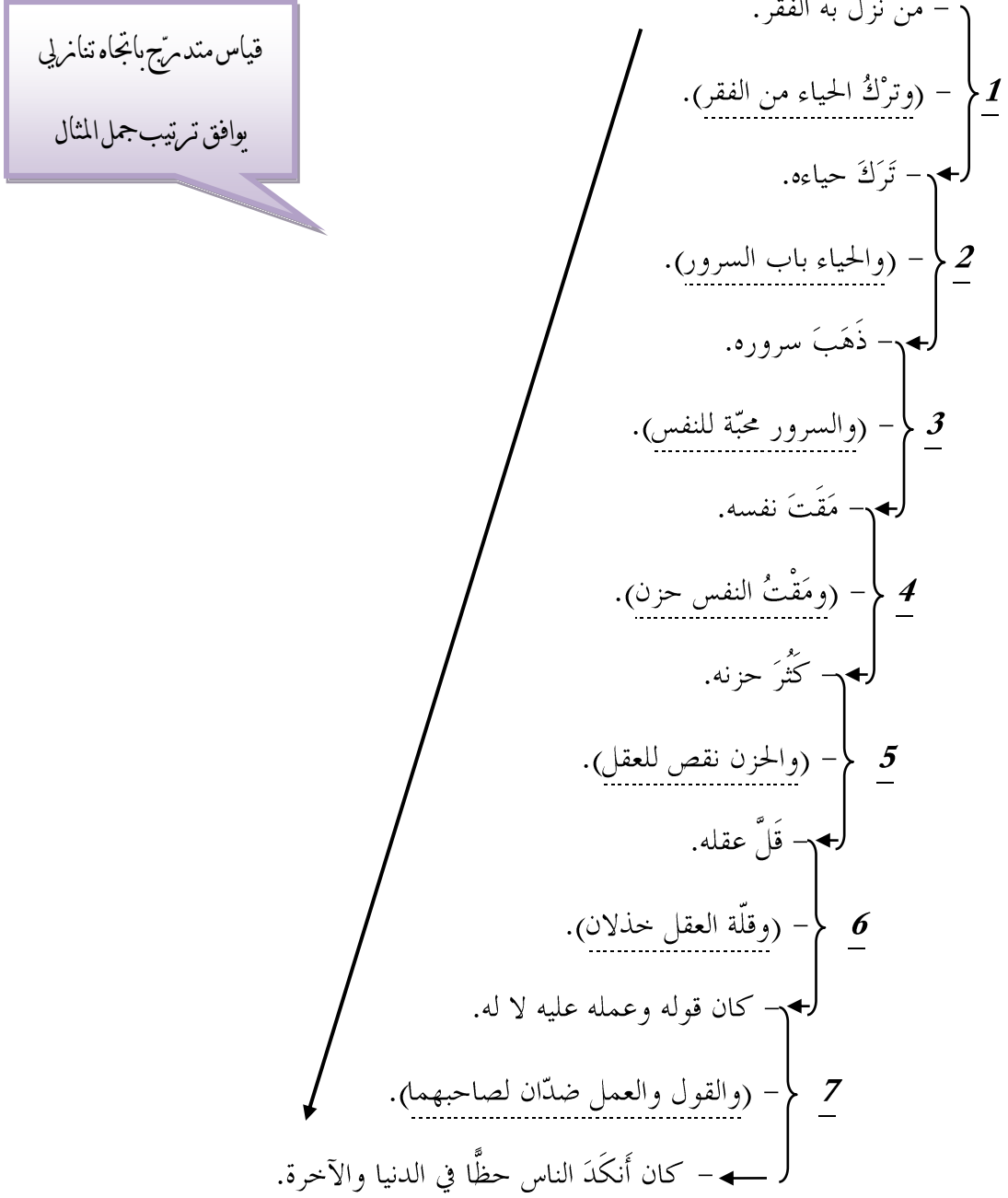
عقله كان أكثر قوله وعمله عليه لا له ، ومن كان كذلك فأحرى به أن يكون أنكد الناس حظاً في

الدنيا والآخرة"¹⁷. في هذا المثال يُسطر الباحث جملة القضايا المعتمدة في القياس المتدرّج على النحو الآتي:

- من نزل به الفقر.
- ترك حياؤه.
- ذهب سروره.
- مَقَتَ نفسه.
- كُثِرَ حزنه.
- قَلَّ عمله.
- قوله وعمله عليه لا له.
- كان أنكد الناس حظاً في الدنيا والآخرة.

وبالنظر إلى هذه القضايا، تبني سلسلة من الأقيسة المنطقية، يحددها الباحث كل على حدة، علماً أن

باب التقدير لما هو محذوف وارد في هذا السياق، وفق التصور الآتي:



إذن فقد بُني القياس المتدرج في هذا المثال من سبعة أقيسة منطقية، وهذا التدرج يساعد المتكلم على

الانتقال بالمتلقي من جزء إلى آخر، واقتناعه بالأول منها ضماناً لتقبل ما يتدرج بعد ذلك من تلك الأجزاء.

وعليه يرى الباحث أنّ التدرّج في القياس عملية إقناعية محضّة، تستدرج المتلقي من بعيد لتقبّل النتيجة النهائية، بسبب تسليمه بالنتائج الجزئية التي كانت دعامة لبناء هذه النتيجة أثناء الحجاج.

المثال الثاني: (باب اليوم والغربان)¹⁸:

يرى الباحث أنّ أبواب كتاب (كليلة ودمنة) تمثّل شكلا من أشكال القياس المتدرّج، كما تمثّل أمثال الباب الواحد ذلك الشكل. فمثلا باب (اليوم والغربان)؛ يبدأ بقوله: "قال دبشليم الملك لبديبا الفيلاسوف: قد سمعتُ مثلَ إخوان الصّفاء وتعاونهم. فاضرب لي مثلَ العدو الذي لا ينبغي أن يُغتَرَّ به وإن أظهرَ تضرّعا وملقا"¹⁹، وينتهي هذا الباب عند قوله: " فهذا مثلُ أهلِ العداوة الذين لا ينبغي أن يُغتَرَّ بهم وإن هم أظهرُوا تَوُدُّدًا وتَضَرُّعا"²⁰. وبين البداية والنهاية تألّف هذا الباب من الأمثال الآتي ذكرها على منوال ترتيب الكتاب:

- 1 - مثل ملك الفيلة ورسول الأرانب.
- 2 - مثل الصفرد والأرنب والسنّور والصوّام.
- 3 - مثل الناسك والغريص واللصوص.
- 4 - مثل الرجل وامراته واللصّ.
- 5 - مثل الناسك واللصّ والشيطان.
- 6 - مثل الرجل واللصوص.
- 7 - مثل الناسك والفأرة المحوّلة جارية.
- 8 - مثل الأسود وملك الضفادع.

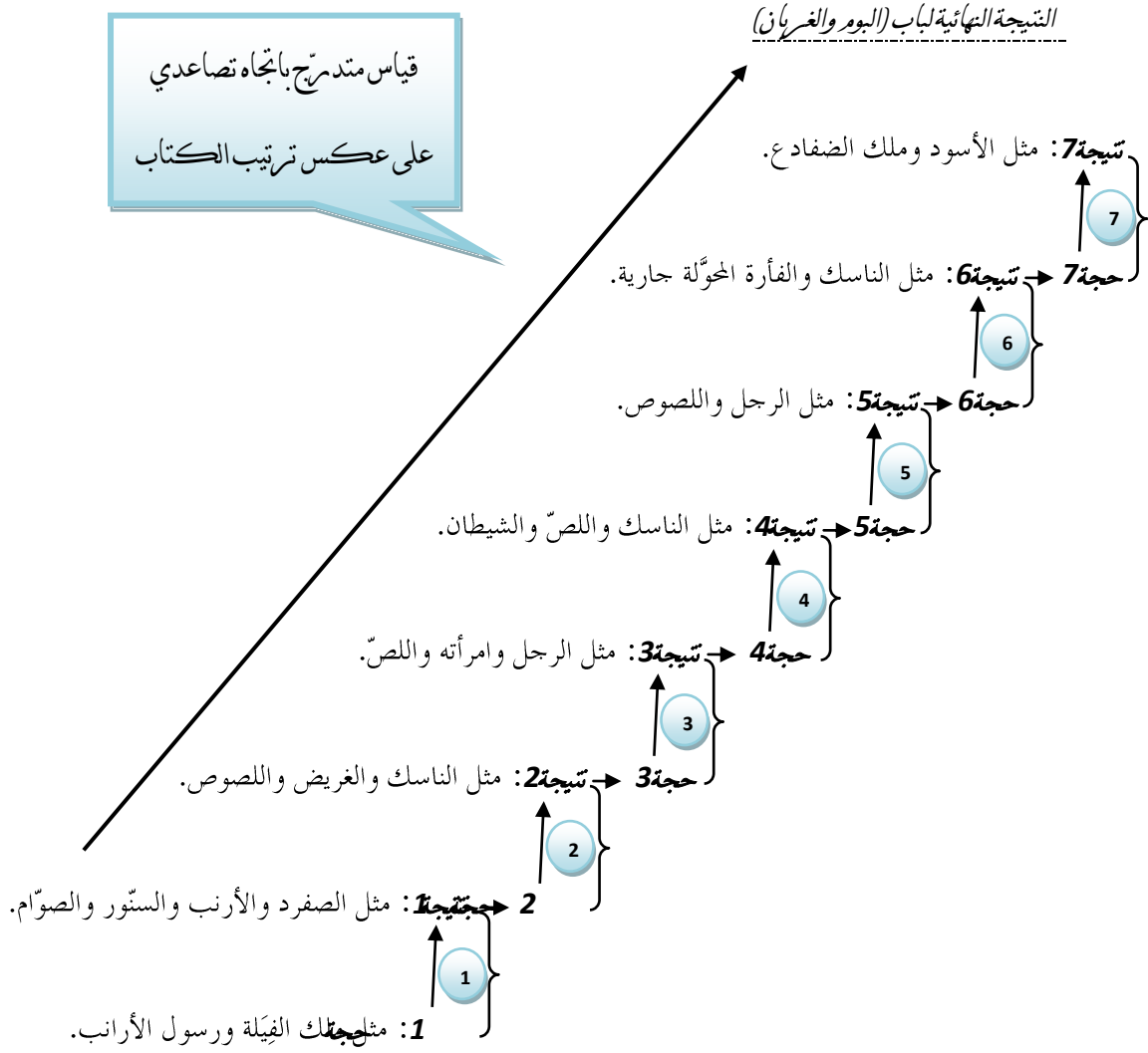
18 - كليلة ودمنة، ص: 134 إلى 157.

19 - المصدر نفسه، ص134.

20 - المصدر نفسه، ص157.

إلا أنّ سلم الحجاج في هذا الباب يُبنى تصاعدياً؛ إذ يصبح المثال الأول قاعدة لبناء المثال الموالي له،

ولهذا يكون اتجاه الحجاج على عكس ترتيب الكتاب لأمثال هذا الباب، وفق التصوّر الآتي:



إنّ المقارنة بين المثالين السابقين، بالرغم من اختلافهما، تثبت حقيقة يسجّلها الباحث في هذا المقام؛

فالمثال الأول يسير الإقناع فيه باتجاه تنازلي يوافق ترتيب جمل المثال، أما المثال الثاني فيسير الإقناع فيه باتجاه

تصاعدي يخالف ترتيب أمثال الباب، والسبب يعود إلى أنّ المتلقي يستطيع في المثال الأول الاكتفاء بجزء

منه، تظهر فيه حجة ونتيجة. غير أنّ المتلقي في المثال الثاني لا يستطيع تحديد الحجة ثم النتيجة انطلاقاً من

مثل واحد، بل يواصل التقصي في بقية الأمثال. وهذا هو تأثير القياس المتدرّج على المتلقي في الحجاج.

2- الوسائل اللسانية في كلية ودمنة :

إنّ الوظيفة الأساسية للحجاج هي إقناع المتلقي والتأثير فيه، انطلاقاً من جملة اعتبارات تتعلق بمقاصد المتكلم، وبطبيعة المتلقي، وكذا اللغة المدرجة في الحجاج. وتعدّ اللغة المعين الذي تتجسد من خلاله عملية الربط بين المقدمات والحجج والنتائج الحجاجية، كما تضطلع بدور أساسي في عملية الإقناع، ويظهر هذا الدور في استعمال الوسائل اللسانية التي تسهم في استمالة المتلقي إلى دعوى الحجاج. وقد تجسدت هذه الوسائل اللسانية في كتاب (كليلة ودمنة)، على اعتبار أنها وسائل إقناعية. ولذا يسعى الباحث في هذا السياق إلى الكشف عن أهم هذه الوسائل اللسانية الإقناعية المعتمدة في ذلك الكتاب، مبرزاً دورها التأثيري أثناء الحجاج. ومن هذه الوسائل:

2-1- الإحالة **Référence** :

إنّ دور الإحالة يكمن في الإشارة إلى المقصود أثناء التواصل، سواء تعلقت هذه الإشارة بما هو داخل النص أو الخطاب، أو بما يحيط بهما. وقد وجد الباحث ثراء وتنوعاً في اعتماد الإحالة داخل كتاب (كليلة ودمنة) يسوق نماذج لها، مع تحديد ما تحيل إليه، وفق التفصيل الآتي:

2-1-1- الإحالة الداخلية **Endophora** :

يرتبط هذا النوع بداخل النص أو الخطاب، وقد يحيل إلى أمر سابق أو إلى أمر لاحق، والهدف منه هو شدّ انتباه المتلقي وربط تركيزه بالمقصود من القضايا المعروضة أثناء الحجاج. وتتخذ الإحالة الداخلية في كتاب (كليلة ودمنة) مظاهر متعدّدة هي:

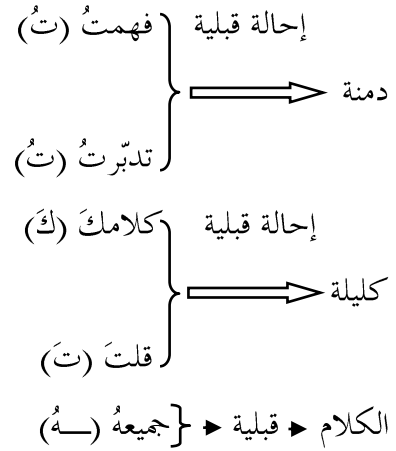
2-1-1-أ - الضمير بأنواعه:

للضمائر بأنواعها أثر كبير في تحقيق تماسك النص " بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية " ²¹، كما تسهم هذه الضمائر في تحديد ما تحيل إليه لدى المتلقي أثناء التواصل. وفي الحجاج تظهر وظيفة الضمائر في توجيه المتلقي إلى معرفة المقصود من خلال ما تحيل إليه، لذا تعدّ الضمائر وسيلة إقناعية بحكم تلك الوظيفة.

وقد ورد الضمير بأنواعه في كتاب (كليلة ودمنة) للغاية نفسها، ويدرج الباحث نماذج منها وفق الآتي:

❖ الضمير المتصل: من أمثلته:

✓ " قال دمنة: قد فهمتُ كلامكُ جميعهُ وتدبّرتُ ما قلتُ وأنتَ صادقٌ" ²².



✓ " وإني لما نظرتُ في الأمر الذي به أرجو أن تعودَ مترتبي وما غلبتُ عليّ مما كرتُ فيهِ، لم أجدُ حيلة

ولا وجهاً إلا الاحتيال لأكل العشب هذا حتى أفرّقَ بينهُ وبين الحياة" ²³.

21- إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور الملكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،

مصر، ط01، 2000، ج01، ص137.

22- كليلة ودمنة، ص62.

23- المصدر نفسه، ص73.

إِئْتِي (ي) }
 نظرتُ (تُ) } إحالة قبلية
 متزلي (ي) } → دمنة
 غلبتُ (تُ) }
 كنتُ (تُ) }

بِه (ه) } إحالة قبلية
 عليه (ه) } → الأمر

المتزلة → قبلية → {فيه (ه)
 آكل العشب → قبلية → {بينه (ه)

✓ " فلما سمع دمنة ذلك قال: من ههنا تقيسون الكلام وتتركون العلم، فاسمعوا مرّي ما أقولُ لكم، وتدبروا

بعقولكم²⁴.

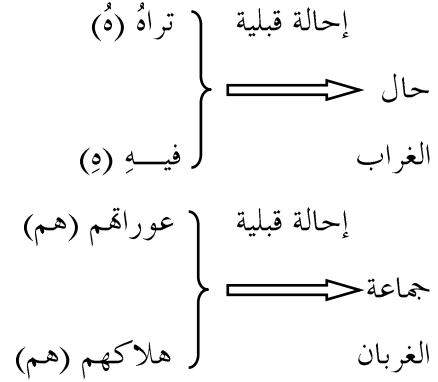
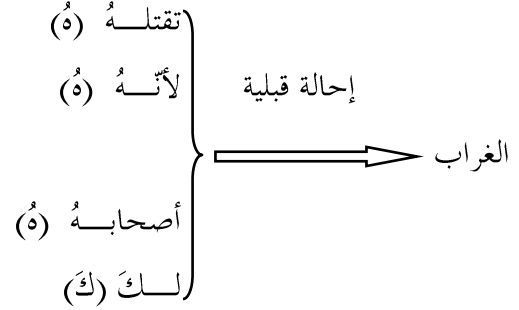
تقيسون (واو الجماعة) }
 تتركون (واو الجماعة) }
 اسمعوا (واو الجماعة) } إحالة قبلية
 تدبروا (واو الجماعة) } → شهود
 لكم (كم) } محاكمة
 عقولكم (كم) } دمنة

دمنة → قبلية → {منّي (ي)

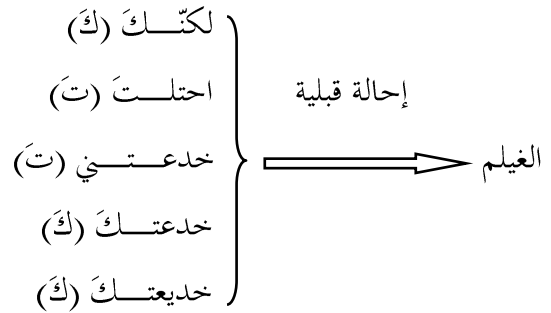
أقولهُ (ه) ← إحالة بعدية ← الكلام

✓ " قال الملك لوزير آخر: ما ترى أنت في هذا الغراب؟ قال: أرى ألا تقتلُهُ لِأَنَّهُ قد لقي من أصحابهِ ما

تراهُ، فهو خليقٌ أن يكون دليلاً لِكِ على عوراتهم ومعينا لِكِ على ما فيهِ هلاكهم²⁵.

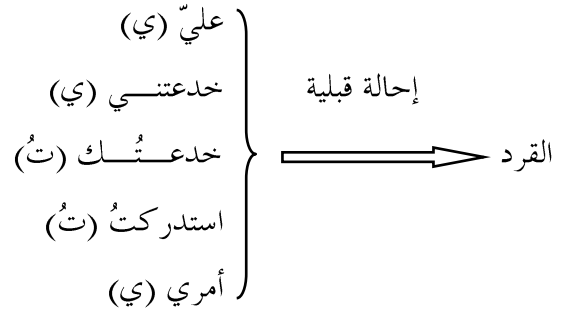


✓ " ولكرتك احتلت عليّ ونحديتني فخدعتك بمثل خديعتك واستدركت فارت أمرى²⁶.



25- كليلة ودمنة، ص146.

26- المصدر نفسه، ص163.



❖ الضمير المستتر: من أمثلته:

✓ "قال دمنة: لا تهابنَّ __ أيها الملك منه شيئاً، ولا يكبرنَّ __ عليك أمره، فأنا على ضعفي آتيك به،

فيكون __ لكَّ عبدا سامعا مطيعا" ²⁷.

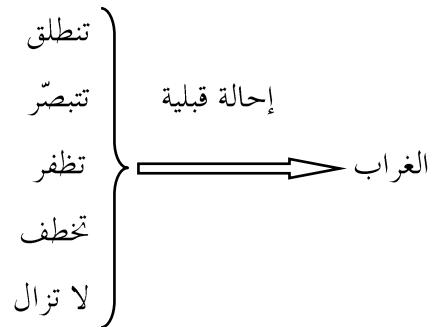
لا تهابنَّ { ← إحالة بعدية ← الأسد

الأسد ▶ قبلية ▶ { يكبرنَّ

الشور ▶ قبلية ▶ { يكون

✓ "قال ابن آوى: تنطلقُ __ فتبصّر __ في طيرانك لعلك تظفرُ __ بشيء من حلّي النساء، فتخطفه

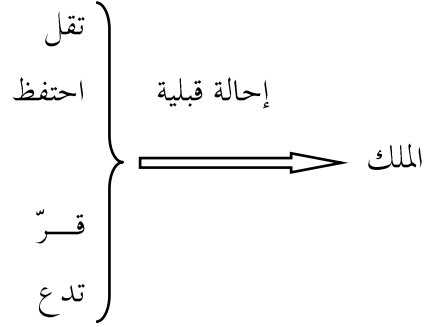
__ ولا تزال __ طائرا واقعا" ²⁸.



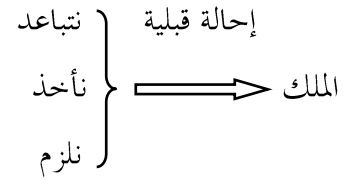
27- كلية ودمنة، ص68.

28- المصدر نفسه، ص76.

✓ "أيها الملك: إنك لم تقلْ __ صوابا [..]، فاحتفظْ __ بنفسك [..]، وقرَّ __ عينا بملكك [..]، ولا تدعْ __ الأمر العظيم [..]"²⁹.



✓ "قال الملك: ينبغي لنا أن نتباعد __ منك يا إيلاذ، ونأخذ __ الحذر ونلزم __ الأتقاء"³⁰.



❖ الضمير المنفصل: من أمثله:

✓ "من صحب الأشرار وهو يعلمُ حالهم كان أذاه من نفسه"³¹.

منْ → إحالة قبلية → }هو

✓ "الغادر هو [..]، الكذوب هو [..]"³².

الغادر → حالة قبلية → }هو

29- كلية ودمنة، ص199.

30- المصدر نفسه، ص199.

31- المصدر نفسه، ص104.

32- المصدر نفسه، ص107.

✓ "وأنت أيها الملك كذلك" ³³.

أنت ← إحالة بعدية ← {الملك

✓ "قال ابن آوى: إنَّ صحبتي إياكَن لا تؤلمني [..]" ³⁴.

السَّبَّاع → حالة قبلية → {إياكَن

يلاحظ الباحث أنَّ معظم الإحالات الداخلية بواسطة الضمير هي إحالات قبلية، مما يشير إلى أنَّ المتكلم في هذا السياق يعرض القضية الحجاجية أولاً، ثم يبدأ بتفصيلها والاحتجاج لها. وهو ما يجعل المتلقي مستعداً من البداية للتركيز، بحكم معرفته المسبقة إلى ما يتطرق إليه الموضوع.

2-1-1- ب - أسماء الإشارة:

تنوب أسماء الإشارة عن الاسم وعن الفعل وعن الجملة، وفي كتاب (كليلة ودمنة) ناب اسم الإشارة عن المثل وعن الباب، ويسوق الباحث نماذج تؤكد دور اسم الإشارة بوصفه وسيلة إقناعية، ومن ذلك:

ذلك ← إحالة بعدية ← المثل الموالي لهذا السؤال

✓ "وكيف كان ذلك؟" ³⁵.

✓ "وما مثل ذلك؟" ³⁶.

✓ "وكيف كان ذلك؟" ³⁷.

✓ "فحاشني إن رأيتَ بـ ما كان من حال دمنة" ³⁸.

ما ← إحالة بعدية ← حال دمنة بعد تميته

33- كليلة ودمنة، ص137.

34- المصدر نفسه، ص179.

35- المصدر نفسه، ص60.

36- المصدر نفسه، ص66.

37- المصدر نفسه، ص69.

38- المصدر نفسه، ص101.

✓ " وإئتما ضربتُ لك هذا المثل "39.

ما سبق من مثل → إحالة قبلية → هذا

✓ " فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة، فإذا ظفر بها أضعها "40.

محتوى المثل السابق → إحالة قبلية → هذا

✓ " فهذا مثل ذوي الأوتار الذين لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض "41.

محتوى المثل السابق → إحالة قبلية → هذا

✓ " فأمثال هؤلاء لا ينبغي للملك أن يصحبهم "42.

أهل الوشاية → إحالة قبلية → هؤلاء

2-1-1-ج - الاسم الموصول:

للاسم الموصول وظيفة إحالية تساعد على إقناع المتلقي والتأثير فيه، ومن النماذج الواردة في كتاب

(كليلة ودمنة) الآتي:

✓ " قال كليلة: فما الذي اجتمع عليه رأيك؟ "43.

الذي ← إحالة بعدية ← حيلة دمنة للتقرب من الأسد

39- كليلة ودمنة، ص106.

40- المصدر نفسه، ص163.

41- المصدر نفسه، ص177.

42- المصدر نفسه، ص186.

43- المصدر نفسه، ص62.

✓ "فوقع في نفس الأسد كلام دمنة فقال: فما الذي ترى إذن؟"⁴⁴.

الذي ← إحالة بعدية ← رأي دمنة وحيلته في الثور

✓ "قال دمنة: الكذوب هو الذي يقول ما لم يكن ويأتي بما لم يقل ولم يفعل"⁴⁵.

العاقل → إحالة قبلية → الذي

ما ← إحالة بعدية ← الأمر من القول والفعل

✓ "ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مُقَدَّر على مَنْ تصيبه المقادير، وهي التي أوقعتنني"⁴⁶.

من ← إحالة بعدية ← المرء الذي تصيبه المقادير

المقادير → إحالة قبلية → التي

✓ "قال الغراب: لم أجد فيهن عاقلاً إلا الذي كان يُجْثِثُنَّ على قتلي"⁴⁷.

الذي ← إحالة بعدية ← وزير البوم

✓ "قال القرد: إن الذي أعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف"⁴⁸.

الذي ← إحالة بعدية ← الحرص

44- كلية ودمنة، ص82.

45- المصدر نفسه، ص107.

46- المصدر نفسه، ص120.

47- المصدر نفسه، ص152.

48- المصدر نفسه، ص160.

✓ "وليس لك في الذي فعلتَ بابني ذنب ولا لابني فيما صنع بابنك ذنب" 49.

فقاً الطائر لابن الملك → إحالة قبلية → الذي

قتلُ ابن الملك لابن الطائر → إحالة قبلية → ما

✓ "قال إيلاذ: إنّ الذي قوله واحد لا يختلف هو الله الذي لا تبديل لكلماته ولا اختلاف لقوله" 50.

الذي ← إحالة بعدية ← الله تعالى

الله تعالى → إحالة قبلية → الذي

يجد الباحث في هذا الاستعمال المتنوع لاسم الموصول قصداً من المتكلم لشدّ انتباه المتلقي، وتوجيهه

إلى المقصود، من خلال الحضور الذهني.

2-1-2- الإحالة الخارجية Exophora :

يتعلق الأمر في هذا النوع من الإحالة بما يحيط بالنص، وقد كانت الإحالة الخارجية في كتاب (كليلة

ودمنة) كثيرة بوصفها وسيلة للربط بين عالمين؛ عالم الحيوان، وعالم الإنسان. فمجرىات أبواب الكتاب

وأمثالها تسرد أحداثاً وقصصاً للحيوانات، لكن تشير إلى عالم الإنسان وما يحويه من علاقات، ومن النماذج

الدالة على هذا الربط الإحالي يورد الباحث أمثلة، وهي:

✓ "قال دمنة: [..] فإنّ أموراً ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتياط لها بجهد" 51.

49- كليلة ودمنة، ص175.

50- المصدر نفسه، ص198.

51- المصدر نفسه، ص72.

العاقل ← تحيل إلى ← الإنسان (بالرغم من أن الكلام صادر عن حيوان)

✓ "فإن اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرّق أو حاجة" ⁵².

العاقل / السلطان / ينصح ← تحيل إلى ← الإنسان

✓ "إن من العجب أن يطلب الرجل رضى صاحبه ولا يرضى" ⁵³.

الرجل ← تحيل إلى ← الإنسان

✓ "قال الجرذ: إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين [..] وهما: ذات النفس وذات اليد" ⁵⁴.

أهل الدنيا ← تحيل إلى ← بني البشر

✓ "قال الغليم: صدقت إلا أن الرجل الصالح يعترف بزكته" ⁵⁵.

الرجل الصالح ← تحيل إلى ← الإنسان

من خلال هذه النماذج، يتبين للباحث أن الإحالات الخارجية تشير إلى عالم الإنسان، لأنّ

الحيوانات لا تعقل ولا تعي، وهذه الصفات لازمة للإنسان. وبهذا تعدّ الإحالة مظهراً إقناعياً في كتاب

(كليلة ودمنة)، وبخاصة أنها تربط بين العالم المفترَض (الحيوان) والعالم المقصود (الإنسان)، وهذا ما يجعل

المتلقي شديد التركيز لمعرفة إسقاطات وتقابلات عالم الحيوان على عالم الإنسان، ليدرك المقصود من

الحجاج.

52- كلية ودمنة، ص80.

53- المصدر نفسه، ص85.

54- المصدر نفسه، ص122.

55- المصدر نفسه، ص163.

2-2- التكرار Récurrence :

يعدّ التكرار مظهراً لسانياً إقناعياً لما له من دلالة وقدرة على التأثير في المتلقين واستمالته إلى المقصود أثناء الحجاج، وبخاصة أنه يعتمد إلى الحضور الذهني للمتلقى من خلال تكرار المقصود، مما يجعله ماثلاً أمام بصيرته، فيسهل عليه فهمه. إلى جانب أن التكرار يعين المتكلم على استمرارية الخطاب الحجاجي، لما يوفره من إمكانيات للاسترسال والتعبير عن المقاصد.

وتتعدّد مظاهر وأشكال التكرار في كتاب (كليلة ودمنة)، يدرجها الباحث في هذا السياق وفق الآتي:

2-2-1- التكرار التام :

يرتبط بتكرار شكل اللفظ ذاته، وفي الحجاج يكون هذا المظهر وسيلة لتثبيت المقصود في ذهن المتلقي، ومن نماذجه الواردة في كتاب (كليلة ودمنة):

✓ "ولكن اعلم أنّ كلّ من يدنو منهم ليس يدنو منهم لبطنه" ⁵⁶.

✓ "وقد يقال: إنّه الفضل في أمرين: فضل المقاتل على المقاتل والعالم على العالم" ⁵⁷.

✓ "قال كليلة: قد أصابك ما أصاب الناسك" ⁵⁸.

✓ "وشأنك عجبٌ [..] ثمّ العجبُ من جرأتك [..]" ⁵⁹.

56- كليلة ودمنة، ص60.

57- المصدر نفسه، ص65.

58- المصدر نفسه، ص69.

59- المصدر نفسه، ص112.

✓ "قال الجرذ: إنَّ أشدَّ العداوة عداوة الجوهر وهي عداوتان [..]"⁶⁰.

✓ "قال الغراب: إنَّ من علامة الصديق أن يكون لصديق صديق صديق، ولعدو صديق عدو"⁶¹.

✓ "مع أن العاقل لا يستصغر عدو، فإنَّ من استصغر عدوه اغترَّ به"⁶².

✓ "وإنما سمي الصديق صديق لما يُرجى من صدقه ونفعه"⁶³.

2-2-2- التكرار الجزئي :

يتحقق من خلال تكرار الجذر اللساني لعنصرين أو أكثر مع بقاء المعنى نفسه، ومن أمثله:

✓ "لأنَّه إن لم يكتسب [..]، وإن هو كان ذا مال واكتساب"⁶⁴.

✓ "وإن هو أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه [..]"⁶⁵.

✓ "وقد أُعجبَ به الأسد إعجابا شديدا"⁶⁶.

✓ "[..] إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك"⁶⁷.

60- كلية ودمنة، ص121.

61- المصدر نفسه، ص123.

62- المصدر نفسه، ص136.

63- المصدر نفسه، ص170.

64- المصدر نفسه، ص57.

65- المصدر نفسه، ص58.

66- المصدر نفسه، ص69.

67- المصدر نفسه، ص76.

✓ "قال الغيليم: صدقتَ إلا أنّ الرجل [..]، وإذا أذنب ذنبا" 68.

✓ "وبلغ الملك ذلك فجزع أشدّ الجزع" 69.

2-2-3- تكرر المعنى واللفظ مختلف :

يرتبط بالمضمون " ويبنى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى " 70، سواء على

مستوى اللفظة المفردة أو الجملة. ومن مظاهر هذه الوسيلة الإقناعية في كتاب (كليلة ودمنة) الآتي:

2-2-3- أ - الترادف:

يكون بين لفظتين، وفيما يلي يسوق الباحث نماذج له، وهي:

✓ " ما شأن الأسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط خلافا لعادته " 71.

✓ " قال دمنة: لا تنظر إلى صغري و ضعفي " 72.

✓ " قال كليلة: إن قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للأسد [..] " 73.

✓ " فلما بلغني ذلك علمتُ أنّ شترية حوّان غدار " 74.

68- كلية ودمنة، ص163.

69- المصدر نفسه، ص173.

70- محمد العبد، " النص الحجاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع "، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف-خريف 2002، عدد60، ص66.

71- كلية ودمنة، ص60.

72- المصدر نفسه، ص74.

73- المصدر نفسه، ص78.

74- المصدر نفسه، ص79.

✓ " وإِنَّمَا مَصَاحِبُ الْعَدُوِّ وَ مَصَالِحُ كِصَابِ الْحَيَّةِ "75 .

✓ " وَأَنْتَ رَجُلٌ لَا تَبْقِي شَيْئًا وَلَا تَدَّخِرُهُ "76 .

✓ " وَلَقَدْ صَدَّقَ الَّذِي قَالَ: يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِيَ مُسْتَرِيحًا مَطْمَئِنًا وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرْهَ يَعِيشُ مَا عَاشَ

فِي تَعَبٍ وَ نَصَبٍ "77 .

✓ " ثُمَّ قَالَ: قَدْ ذَكَرَتِ الْأَطْبَاءُ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ الِاغْتِسَالِ وَ الطَّهْوَرِ "78 .

2-2-3- ب - شبه الترادف:

ويكون أيضا بين لفظتين، ومن نماذجه في كتاب (كليلة ودمنة) الآتي:

✓ " وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِثْلَةً وَ قَدْرًا "79 .

✓ " وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغُرُ أَمْرُهُ إِلَّا وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْغِنَاءِ وَ الْمَنَافِعِ عَلَى قَدَرِهِ "80 .

✓ " وَقَدْ أُعْجِبَ بِهِ الْأَسَدُ إِعْجَابًا شَدِيدًا لَمَّا ظَهَرَ لَهُ مِنْ عَقْلِهِ وَأَدَبِهِ "81 .

75- كلية ودمنة، ص122.

76- المصدر نفسه، ص125.

77- المصدر نفسه، ص161.

78- المصدر نفسه، ص163.

79- المصدر نفسه، ص61.

80- المصدر نفسه، ص64.

81- المصدر نفسه، ص69.

✓ "فأما الحرمان فإن يحرم من صالحى الأعوان و النصحاء و الساسة من أهل الرأى و النجدة و الأمانة"⁸².

✓ "قال دمنة حين رأى انكساره و بكاءه [..]"⁸³.

✓ "قال الرجل: لا تندمي على شيء أطعمناه و أنفقناه فإن الجمع و الادّخار [..]"⁸⁴.

✓ "فقلتُ في نفسي: ما الإخوان و لا الأعوان و لا الأصدقاء إلا بالمال [..]"⁸⁵.

✓ "ولكن عندي من الرأى و الحيلة غير القتال"⁸⁶.

2-2-3 ج - العبارة الموازية:

وتمثل اشتراكا في المعنى بين جمل متواليّة، و من أمثلة ذلك في كتاب (كليلة ودمنة) مايلي:

✓ "وهم الذين يفرحون بالقليل و يرضون بالدون"⁸⁷.

✓ "فإنّ الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه و باطن أمره بما يظهر [..]"⁸⁸.

✓ "قال الأسد: لا يغرّتك ذلك منه و لا يصغرّ عندك أمره"⁸⁹.

82- كليلة ودمنة، ص73.

83- المصدر نفسه، ص113.

84- المصدر نفسه، ص125.

85- المصدر نفسه، ص126.

86- المصدر نفسه، ص143.

87- المصدر نفسه، ص61.

88- المصدر نفسه، ص62.

89- المصدر نفسه، ص68.

✓ "وقد قيل: لو أن امرءاً تَوَسَّدَ النَّارَ وَاغْتَرَشَ الْحَيَاتِ [..]"⁹⁰.

✓ "وإن غَيَّرْتُ [..] فَقَدْ سَفَهْتُ رَأْيِي وَجَهَلْتُ نَفْسِي وَغَدَرْتُ بَدَمَّتِي وَنَقَضْتُ عَهْدِي"⁹¹.

✓ "ورجوتُ أن يزيد ذلك في قوتي أو يراجعني بسببه بعض أصدقائي"⁹².

✓ "والعاقل يصلح عدوه إذا اضطر إليه و يصانعه و يُظهر له وُدّه و يريه من نفسه الاسترسال إليه"⁹³.

إنّ هذا التكتيف في استعمال التكرار بأنواعه، بوصفه وسيلة إقناعية، يثبت دوره الفعّال في شدّ

انتباه المتلقي أثناء الحجاج، مع حضوره الذهني فيما يُعرض عليه، حتى تبقى المعاني راسخة في ذهنه

يستحضرها كلما شاء، أثناء تقبّل النتائج الحجاجية.

2-3- التوازن (الازدواج) Balance :

ترتبط هذه الوسيلة اللسانية الإقناعية بالجانب الإيقاعي الموسيقي الذي يحدثه تكرار البنية اللغوية ذاتها

بين الجمل المتوالية، بغض النظر إن اختلفت تلك الجمل من حيث المعنى، فتتشكّل بذلك جمل متساوية في

بنيتها. وهذا الاتفاق في البنية يساعد المتلقي على ترتيب معاني المقاصد المدرجة أثناء الحجاج، كما يضمن

أيضا توجيه المتلقي إلى جمل مقصودة دون أخرى.

ومن نماذج التوازن المدرج في كتاب (كليلة ودمنة)، يسوق الباحث الأمثلة الآتية:

90- كلية ودمنة، ص81.

91- المصدر نفسه، ص81.

92- المصدر نفسه، ص127.

93- المصدر نفسه، ص171.

✓ "وقد كانوا قبل أن يرقوا إليه ليست بحالتهم، فيقربون بعد البعد

و يدنون بعد التناهي" 94.

✓ "إنّ خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد[..] منها: صحبة السلطان

و تجارة البحر

و مناجزة العدو" 95.

✓ "فإنّه يقال: من كتم السلطان نصيحته

و الأطباء مرضه

و الإخوان رأيه

فقد خان نفسه" 96.

✓ "قال القاضي: [..] يعرف عمل المحسن والمسيء ليحازي المحسن بإحسانه

و المسيء بإساءته" 97.

✓ "ووجدتُ من لا إخوان له لا أهل له

و من لا ولد له لا ذكر له

و من لا مال له لا عقل له" 98.

✓ "وليس من خلة هي للغني مدح

إلا و هي للفقير ذم

94- كلية ودمنة، ص62.

95- المصدر نفسه، ص64.

96- المصدر نفسه، ص78.

97- المصدر نفسه، ص115.

98- المصدر نفسه، ص126.

فإن كان شجاعا قيل أهوج

وإن كان جوادا سمّي مبذرا

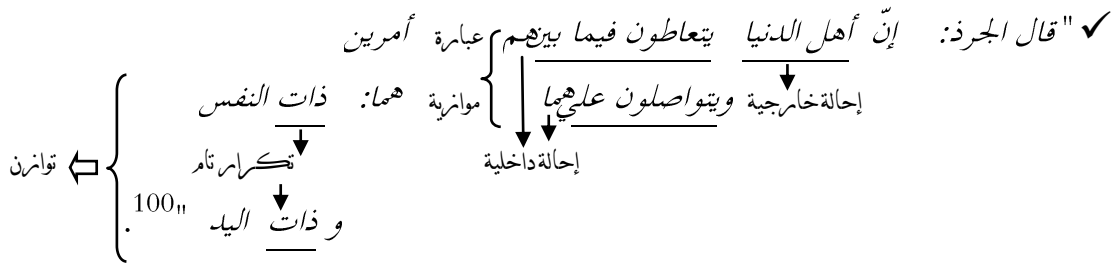
وإن كان حليما سمّي ضعيفا

وإن كان وقورا سمّي بليدا

وإن كان صموتا سمّي عميا

وإن كان كسنا سمّي مهذارا 99.

بعد دراسة الوسائل اللسانية وتبيان أثرها في عملية الإقناع أثناء الحجاج، يرى الباحث في هذا السياق أن التكتيف المستمر لهذه الوسائل الإقناعية يساعد على توجيه المتلقي واستحضاره ذهنيا كلما لزم الأمر، كما يساعده على ترتيب المعاني المقصودة دون غيرها لإقناعه بالنتائج الحجاجية، سواء من خلال اعتماد الإحالة أو التكرار أو التوازن. فهذه الآليات ضرورية في الإقناع، علما أنها تتصافر مجتمعة داخل المثال الواحد من أجل تحقيق الهدف المقصود من نواح متعددة في الحجاج. وفيما يلي يسوق الباحث مثلا يبرز شأن تضافر بعض تلك الوسائل اللسانية في عملية الإقناع:



99- كلية ودمنة، ص127.

100- المصدر نفسه، ص122.

3- الوسائل اللغوية في كلية دمنة :

يتألف الحجاج من مكونات أساسية تشكّل بنيته العامة، وترتبط هذه المكونات فيما بينها ارتباطا منطقيًا ودلاليًا، وتسهم الأدوات والأشكال اللغوية في عملية ذلك الارتباط، لأنّ الحجاج في حقيقته استراتيجية لغوية تستمد أبعادها من الأحوال المصاحبة لسياق استعماله، وإلى اللغة المدرجة فيه؛ نظرا لما تؤديه هذه اللغة من دور بارز سواء في عملية الربط أو عملية التأثير في المتلقي.

وبالنظر إلى كتاب (كليلة ودمنة)، فإنّ الباحث يجد توظيفا مكثفا لهذه الوسائل اللغوية التي تحمل بعدا إقناعيا وتأثيريا في المتلقي، ويسعى الباحث في هذا الصدد إلى الكشف عن أهم هذه الوسائل، مع العلم أنّها تنقسم إلى قسمين أساسيين هما:

3-1- الروابط الحجاجية les Connecteurs Argumentatifs :

تسهم هذه الروابط الحجاجية في إبراز مكونات بنية الحجاج، ودورها لا يكمن في هذا الربط فقط، بل يتعداه إلى تحديد طبيعة كلّ مكوّن من تلك المكوّنات الحجاجية، ويصبح بذلك قاعدة بنائية لإدراج الحجج أو النتائج، كما تساعد هذه الروابط الحجاجية المتلقي على ترتيب ما يُعرض عليه أثناء الحجاج؛ كأن يربط سببا بمسببه أو بنتيجته، أو قد يكون الأمر ربط نتيجة سابقة بحجة لاحقة، وهذا ما يسهل على المتلقي تحديد المقاصد ومعرفة الغايات من الحجاج.

ويبرز الباحث أهم ما ورد استعماله من هذه الروابط الحجاجية في كتاب (كليلة ودمنة)، وما تؤديه من وظيفة سواء النحوية أو الدلالية، وما يمكن أن تشكّله بوصفها قاعدة بنائية لمكونات الحجاج. ومن أبرز هذه الروابط الحجاجية الآتي:

1 لكن:

هذا الرابط الحجاجي في معناه النحوي هو: حرف مشبّه بالفعل، من أخوات (إنّ)، يدخل على

الجملة الاسمية، فينصب المبتدأ اسماً له، ويرفع الخبر خبراً له. أمّا بالنظر إلى معناه الدلالي فهو: يفيد

الاستدراك؛ أي " تعقيب الكلام برفع ما يُتوهمُ ثبوته أو نفيه " ¹⁰¹، كما تعمد (لكنّ) إلى أن " تنسب لما

بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها، ولذلك لا بدّ أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعدها ¹⁰².

وفي الحجاج يستعان بهذا الرابط الحجاجي للاحتياط والتحفّظ من النتيجة، ولذا يكون ما بعدها نتيجة

مناقضة وداحضة لنتيجة سابقة لها أثناء الحجاج، إضافة إلى أن الحجة في النتيجة الثانية (الداحضة) تكون

أقوى منها في النتيجة الأولى. ومن النماذج الواردة في كتاب (كليلة ودمنة)، يسوق الباحث أمثلة

لاستعمال الرابط الحجاجي (لكنّ)، مع تبيان وظيفته في توجيه المتلقي إلى نتيجة دون أخرى، ومن ذلك:

✓ " وإِثْمًا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْحِيلَةِ مَهْلَكَةٌ لِلْمَحْتَالِ، وَ لَكِنِّي أَدْلُكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ قَدَرْتَ

عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَهْلِكَ بِهِ نَفْسُكَ وَتَكُونَ فِيهِ سَلَامَتُكَ " ¹⁰³.

في هذا المثال يعتقد المتلقي أنّ النتيجة المقصودة هي تركّ الحيلة والعجز عن تنفيذ الأمر، والحجة في

ذلك أنّها مهلكة للمحتال، إلا أنّ استعمال الرابط الحجاجي (لكنّ) غيّر مجرى الاستنتاج، وأوجد نتيجة

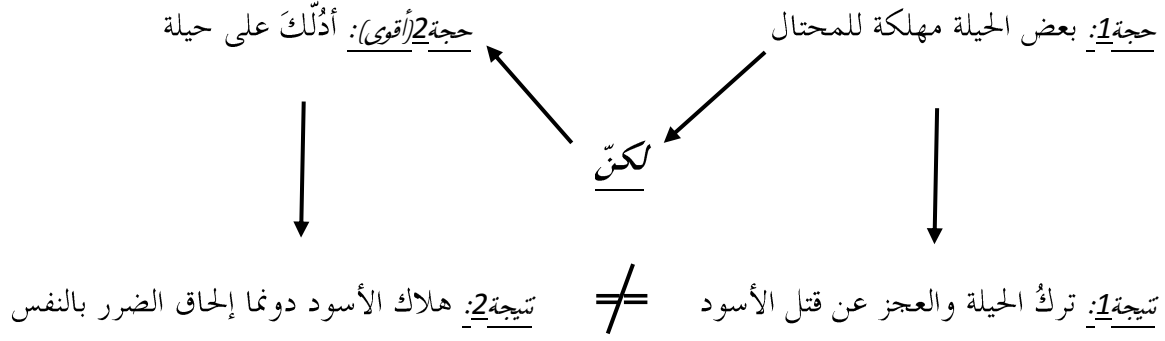
جديدة تالية، وحجتها وجود طريقة لإنفاذ الأمر. وفيما يلي يقدم الباحث تصوّراً يبرز دور (لكنّ)، وفق

الشكل الآتي:

101- ابن هشام الأنصاري (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف)، شرح قطر التدي وبلّ الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة، مصر، ط11، 1983، ص148.

102- ابن هشام الأنصاري، معني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق د/ مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط06، 1985، ص383.

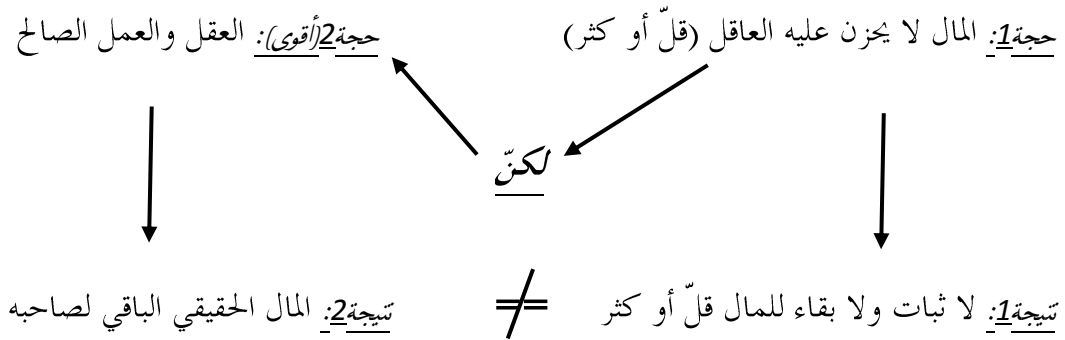
103- كلية ودمنة، ص76.



✓ " وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمامة في الصيف، ونحلة الأشرار، وعشق النساء،

والنبا الكاذب، والمال الكثير. فالعاقل لا يجزن لقلته، و لكن ماله عقله وما قدم من صالح عمله¹⁰⁴.

في هذا المثال يوضح الباحث دور (لكن) على منوال الشكل الآتي:



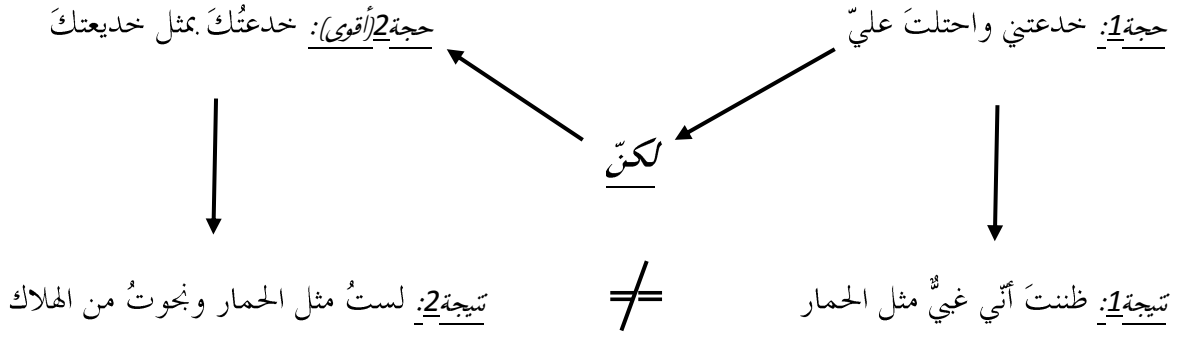
✓ " وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب

ولا أذنان، و لكنك احتلت عليّ فخذعتك بمثل خديعتك واستدركت فارط أمري¹⁰⁵.

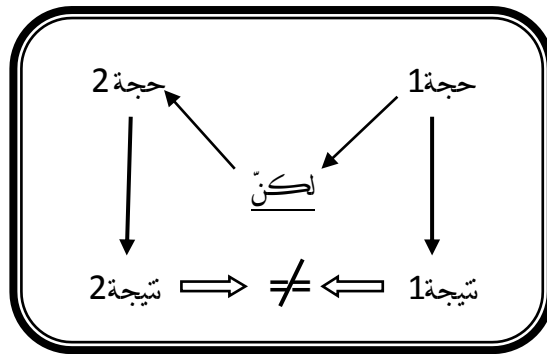
تنجسد وظيفة (لكن) في هذا المثال وفق الشكل الآتي:

104 - كليمه ودمنة، ص 129.

105 - المصدر نفسه، ص 163.



وعلى هذا الأساس يشير الباحث إلى أنّ (لكنّ) لها دور حجائي، وفق هذا المخطط العام:

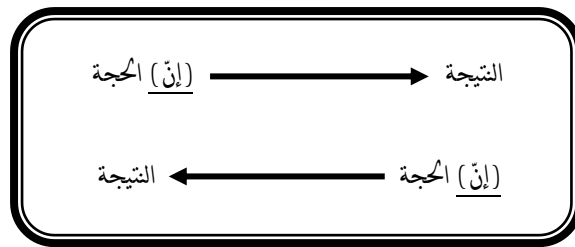


2 بين:

هذا الرابط الحجائي هو: حرف مشبّه بالفعل، يدخل على الجملة الاسمية، فينصب المبتدأ اسماً له،

ويرفع الخبر خبراً له. ومعناه يفيد "نسبة الخبر للمبتدأ، ونفي الشكّ عنها والإنكار لها" ¹⁰⁶.

وأثناء الحجاج يكون الرابط (إنّ) بين الحجة والنتيجة، أو بين النتيجة والحجة، على نحو هذا المخطط العام:



106- محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2002، ص397.

ومن نماذج استعمال هذا الرابط الحجاجي في كتاب (كليلة ودمنة)، يعرض الباحث أمثلة منها:

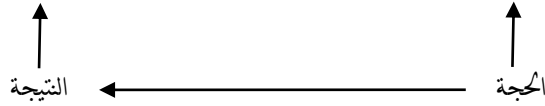
✓ "فقال: إنَّ الرجل ذا النبل والمروءة يكون حامل الذكر منخفض المترلة ، فتأبى مترلته إلا أن تشبَّ



✓ "فإنَّ شتربة إن لم يستطعك بنفسه احتال لك من غيره"¹⁰⁸ .



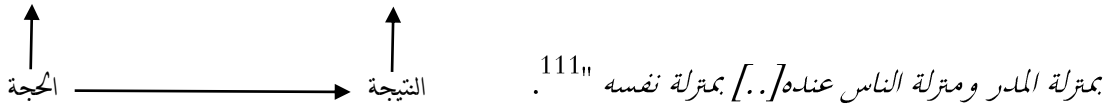
✓ "إنَّ العاقل لا يعدل بالإخوان شيئاً فالإخوان هم الأعوان على الخير كَلِّه والمؤانسون [..]"¹⁰⁹ .



✓ "لا تندمي على شيء أطمعناه وأنفقناه، فإنَّ الجمع والادّخار ربّما كانت عاقبته كعاقبة الذئب"¹¹⁰ .



✓ "فذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه [..] فإنَّ مترلة المال عند العاقل



107- كلية ودمنة، ص64.

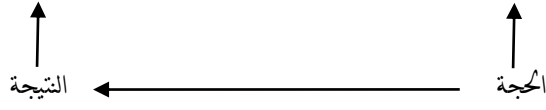
108- المصدر نفسه، ص82.

109- المصدر نفسه، ص119.

110- المصدر نفسه، ص125.

111- المصدر نفسه، ص141.

✓ "فإن رأي الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس" ¹¹².



3 حل:

حرف يفيد الإضراب بمعنى "إبطال الحكم السابق عليها والانصراف عنه إلى الحكم التالي" ¹¹³،

وقد تعني أيضا "ترك الحكم السابق عليها كما هو والانتقال من غرض إلى غرض آخر" ¹¹⁴. وفي الحجاج

تتوسط (بل) حجتين، تكون الثانية أقوى وأشمل من الأولى، وفق المخطط الآتي:

حجة 1 ← بل ← حجة (أقوى وأشمل)

وفيما يأتي يسوق الباحث نماذج من كتاب (كليلة ودمنة) تبرز وظيفة (بل) بوصفها رابطا حجاجيا:

✓ "قالت العلماء: لا ينبغي للإنسان أن يتوانى في الحدّ للثقوى بل لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم" ¹¹⁵.



في هذا المثال أبقّت (بل) على الحكم الأول (حجة 1)، وانتقلت إلى حكم جديد (حجة 2) أقوى

وأشمل من الحكم الأول.

112- كلية ودمنة، ص156.

113- محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، ص612.

114- المرجع نفسه، ص612.

115- كلية ودمنة، ص109.

✓ "قال الملك للرباع: فما رأيك في هذا الصلح؟ قال: لا أراه رأيي بل أن نفارق أوطاننا ونصبر"¹¹⁶.

حجة 2 (أقوى وأشمل) ↑
حجة 1 ↑

في هذا المثال ألغت (بل) الحكم الأول (حجة 1) وأكدت الحكم الثاني (حجة 2).

✓ "فهذا مثل من لا يتثبت في أمره بل يفعل أغراضه بالسرعة"¹¹⁷.

حجة 1 ↑
حجة 2 (أقوى وأشمل) ↑

في هذا المثال أبقت (بل) على الحكم الأول (حجة 1)، وانتقلت إلى الحكم الثاني الأقوى والأشمل (حجة 2).

4 أمثلة:

"حرف شرط وتفصيل وتوكيد"¹¹⁸، وفي الحجاج تمثل (أما) مع جملتها حجة لنتيجة لا تقبل الردّ

أو الشكّ، وفق المخطط الآتي:

← ف ← النتيجة (مؤكدّة) ← (أما) الحجّة ←

ومما ورد من نماذج تؤكد هذا الأمر في كتاب (كليلة ودمنة)، يدرج الباحث الأمثلة الآتية:

✓ "إنّ صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها إلا بأربعة أشياء:

أما الثلاثة التي يطلبُ: فالسعة في الرزق، والمتزلة في الناس، والزاد للآخرة.

الحجّة ↑
النتيجة (مؤكدّة) ↑

116 - كليلة ودمنة، ص 136.

117 - المصدر نفسه، ص 166.

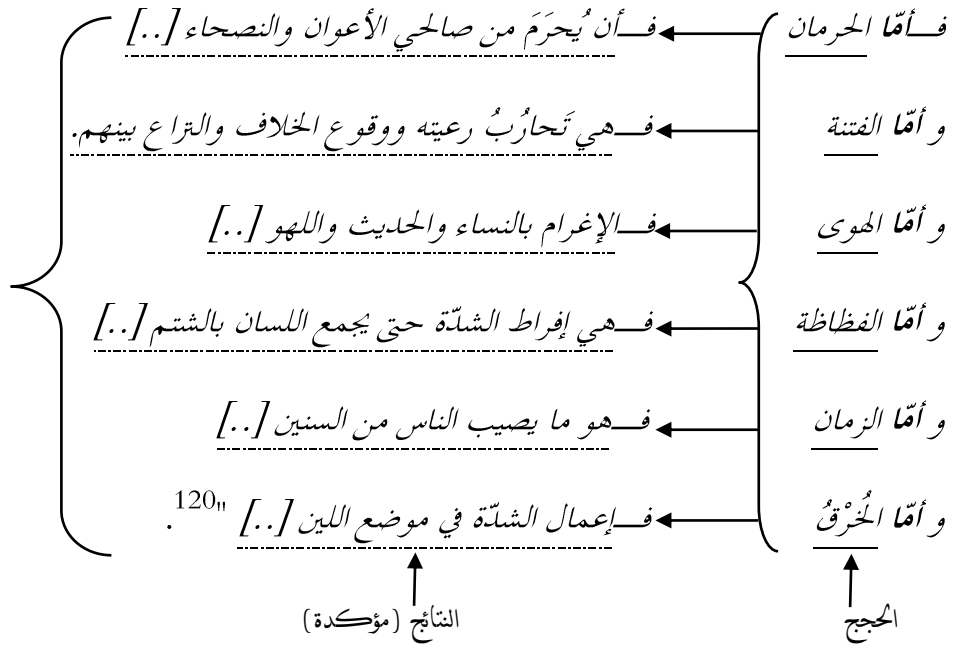
118 - ابن هشام الأنصاري، معني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 80.

وَأَمَّا الأربعة التي يحتاج [..] فإكتساب المال [..] ثم حسن القيام [..] ثم استثماره [..] ثم إنفاقه [..]»¹¹⁹.

↑
النتيجة (مؤكدّة)

↑
الحجة

✓ "قال دمنة: إنّما يؤتَى السلطان ويُفسدُ أمره من قَبْلِ ستة أشياء: [..]"



✓ "قال دمنة: أمّا إذا كان هذا رأي الملك فلا يدخلكنّ عليك شربة إلا وأنت مستعد له»¹²¹.

↑
النتيجة (مؤكدّة)

↑
الحجة

✓ "قال: أمّا القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه»¹²².

↑
النتيجة (مؤكدّة)

↑
الحجة

119 - كلية ودمنة، ص 57.

120 - المصدر نفسه، ص 73.

121 - المصدر نفسه، ص 83.

122 - المصدر نفسه، ص 136.

5 ملحوظة:

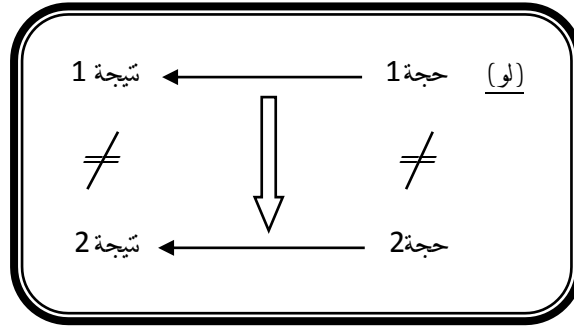
حرف له معان كثيرة، ويكون رابطاً حجاجياً إذا كان بمعنى الشرط. ويفيد وقتئذ ثلاثة أمور هي:

■ " عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها" ¹²³.

■ " تقييد الشرط بالزمن الماضي" ¹²⁴.

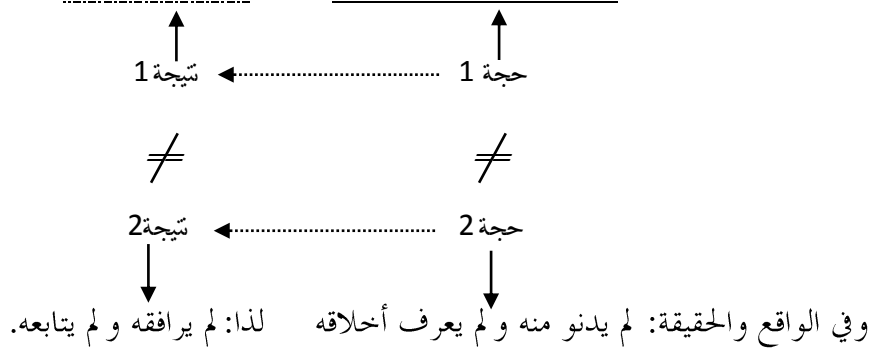
■ " امتناع السبب" ¹²⁵.

وتستعمل (لو) في الحجاج من باب الاحتياط والتحفظ على نتيجة حجاجية، وفق المخطط الآتي:



ومن النماذج الواردة في كتاب (كليلة ودمنة)، يذكر الباحث الأمثلة الآتية:

✓ "قال دمنة: لو دنوتُ منه وعرفتُ أخلاقه لرفقتُ في متابعته" ¹²⁶.



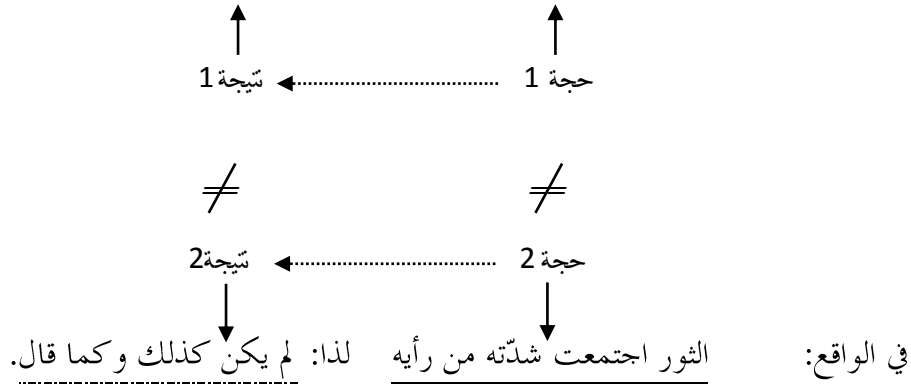
123- ابن هشام الأنصاري، معني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص337.

124- المرجع نفسه، ص337.

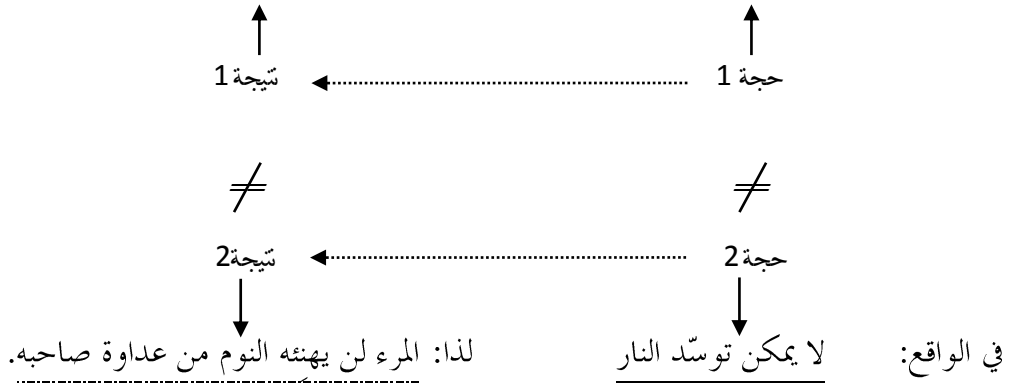
125- المرجع نفسه، ص340.

126- كليلة ودمنة، ص63.

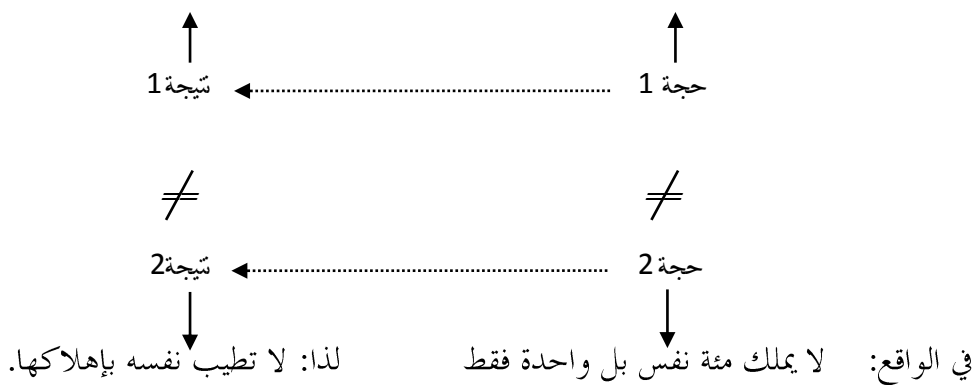
✓ "قال كلية: إنَّ الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول" ¹²⁷.



✓ "وقد قيل: لو أنَّ امرءًا توسد النار [..] كان أحقَّ أن يهنته النوم ممن يحسَّ من صاحبه بعداوة" ¹²⁸.



✓ "ولو كانت لي مئة نفس وأعلم أنَّ هوى الملك في إتلافهنَّ طُبتُّ له بذلك نفسا" ¹²⁹.



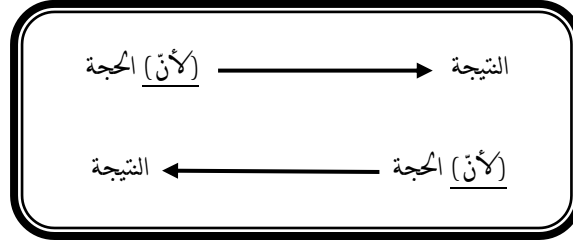
127- كلية ودمنة، ص76.

128- المصدر نفسه، ص81.

129- المصدر نفسه، ص106.

6 لأن:

تفيد (لأن) في الحجاج ربط النتيجة بسببها وبعلةتها، وفق المخطط الآتي:



ومن النماذج الدالة على ذلك في كتاب (كليلة ودمنة)، يسوق الباحث الآتي:

✓ " وإني أخشى عليك ثمرة عملك مع أنك لست بناج من العقوبة، لأنك ذولونين ولسانيين ¹³⁰ .

↑ النتيجة ← الحجة

✓ " لأن من نزل به الفقر لا يجد بداً من ترك الحياء ¹³¹ .

↑ الحجة ← النتيجة

✓ " ولا يأمن على نفسه إلا الثقة الأمين [..] ويكون بعد ذلك كله على حذر منه ، لأن العدو لا يتوصل إليه إلا من جهة ثقاته ¹³² .

↑ النتيجة ← الحجة

✓ " فقالت: هذه ثمرة العجلة لأن الأمر إذا فرط مثل الكلام إذا خرج ¹³³ .

↑ النتيجة ← الحجة

130- كلية ودمنة، ص98.

131- المصدر نفسه، ص126.

132- المصدر نفسه، ص153.

133- المصدر نفسه، ص166.

من خلال هذا البيان المفصّل لأهم الروابط الحجاجية المستعملة في كتاب (كليلة ودمنة)، يرى الباحث دورها التأثيري الإقناعي، لأنها تسهم في إبراز مكونات الحجاج، وتظهر علاقات الربط بين الحجج والنتائج، كما تعين المتلقي على تحديد المقصود والغاية من الحجاج.

3-2- العوامل الحجاجية les Opérateurs Argumentatifs :

إنّ دور العوامل الحجاجية لا يتعلق بربط مكونات الحجاج، وإنّما يرتبط بحصر وتقييد هذه المكونات، وإحالة المتلقي إلى المقصود من النتائج، وبخاصة حينما يكون اعتقاده خلاف ذلك المقصود. ولتوضيح هذه المسألة يسوق الباحث جانبا من هذه العوامل الحجاجية المدرجة في كتاب (كليلة ودمنة)، ويبيّن شكلها في تقييد المقصود من نتائج الحجاج، وفق النحو الآتي:

1 - القصر:

هو " تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريقة مخصوصة " ¹³⁴ ، ويتم القصر غالبا بطرائق متنوعة منها: التقديم أو التأخير، والنفي مع الاستثناء، والأداة (إنّما). وأثناء الحجاج يسهم القصر بطرائقه على تخصيص وتقييد الحجّة بالنتيجة، كما يوجّه المتلقي إلى استنتاج تلك النتيجة اعتمادا على إمكانات الحصر والتقييد الواردة في الحجاج.

ومن نماذج القصر في كتاب (كليلة ودمنة) الآتي:

✓ " إنّ مثل السلطان في إشاره الأفضل دون الأدنى مثل شجر الكرم الذي لا يعلّق إلا بأكرم الشجر " ¹³⁵.

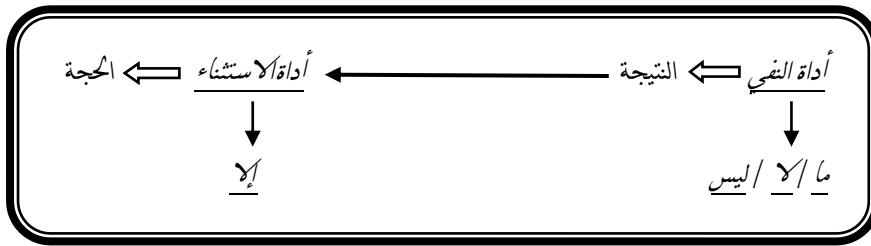
↓ ↓ ↓ ↓
 حجة استثناء نتيجة نفي

134- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984، ص159.

135- كلية ودمنة، ص62.

- ✓ "فإن اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرّق و حاجة" 136 .
 نفي نتيجة استثناء حجة
- ✓ "فلا ملجأ لي في ذلك إلا الله وهو الذي يعلم سرائر العباد وما تكن الصدور" 137 .
 نفي نتيجة استثناء حجة
- ✓ "ما مثلك في ذلك إلا مثل رجل قال لامرأته انظري إلى عريك وبعد ذلك انظري إلى عري غيرك" 138 .
 نفي نتيجة استثناء حجة
- ✓ "ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير" 139 .
 نفي نتيجة استثناء حجة
- ✓ "لست أرى لهذا السرّ على قدر مترته أن يشارك فيه إلا أربعة آذان ولسانان" 140 .
 نفي نتيجة استثناء حجة

إنّ هذه الأمثلة تبرز بنية مكونات الحجاج انطلاقاً من عملية الحصر والتقييد التي يوفرها القصر عن طريق النفي مع الاستثناء. وفيما يلي يرسم الباحث المخطط العام على النحو الآتي:



136 - كلية ودمنة، ص80.

137 - المصدر نفسه، ص105.

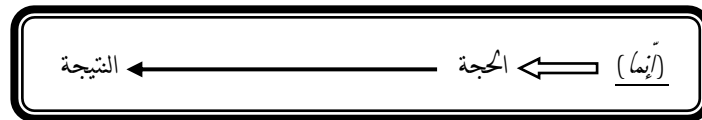
138 - المصدر نفسه، ص112.

139 - المصدر نفسه، ص120.

140 - المصدر نفسه، ص137.

- ✓ " قال دمنة: إئتما يؤتى السلطان ويُفسد أمره من قبل ستة أشياء ¹⁴¹ .
- أداة القصر → إئتما
الحجة → يؤتى السلطان ويُفسد أمره
النتيجة → من قبل ستة أشياء
- ✓ " وإئتما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال ¹⁴² .
- أداة القصر → وإئتما
الحجة → ضربت لك هذا المثل
النتيجة → لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال
- ✓ " وإئتما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الأسد لا أراه لك رأيا ¹⁴³ .
- أداة القصر → وإئتما
الحجة → حدثتك بهذا الحديث
النتيجة → لتعلم أن القتال مع الأسد لا أراه لك رأيا
- ✓ " وإئتما مصاحب العدو كصاحب الحية يحملها في كُمه ¹⁴⁴ .
- أداة القصر → وإئتما
الحجة → مصاحب العدو
النتيجة → كصاحب الحية يحملها في كُمه
- ✓ " وإئتما ضربت لك هذا المثل لتعلمي أن الجمع والادّخار ونخيم العاقبة ¹⁴⁵ .
- أداة القصر → وإئتما
الحجة → ضربت لك هذا المثل
النتيجة → لتعلمي أن الجمع والادّخار ونخيم العاقبة

وعلى أساس هذه الأمثلة التوضيحية، يرسم الباحث المخطط العام للقصر باستعمال الأداة (إئتما):



141- كلية ودمنة، ص73.

142- المصدر نفسه، ص76.

143- المصدر نفسه، ص93.

144- المصدر نفسه، ص122.

145- المصدر نفسه، ص125.

2 - الشرط:

تتأسس الجملة الشرطية وفق الشكل الآتي:

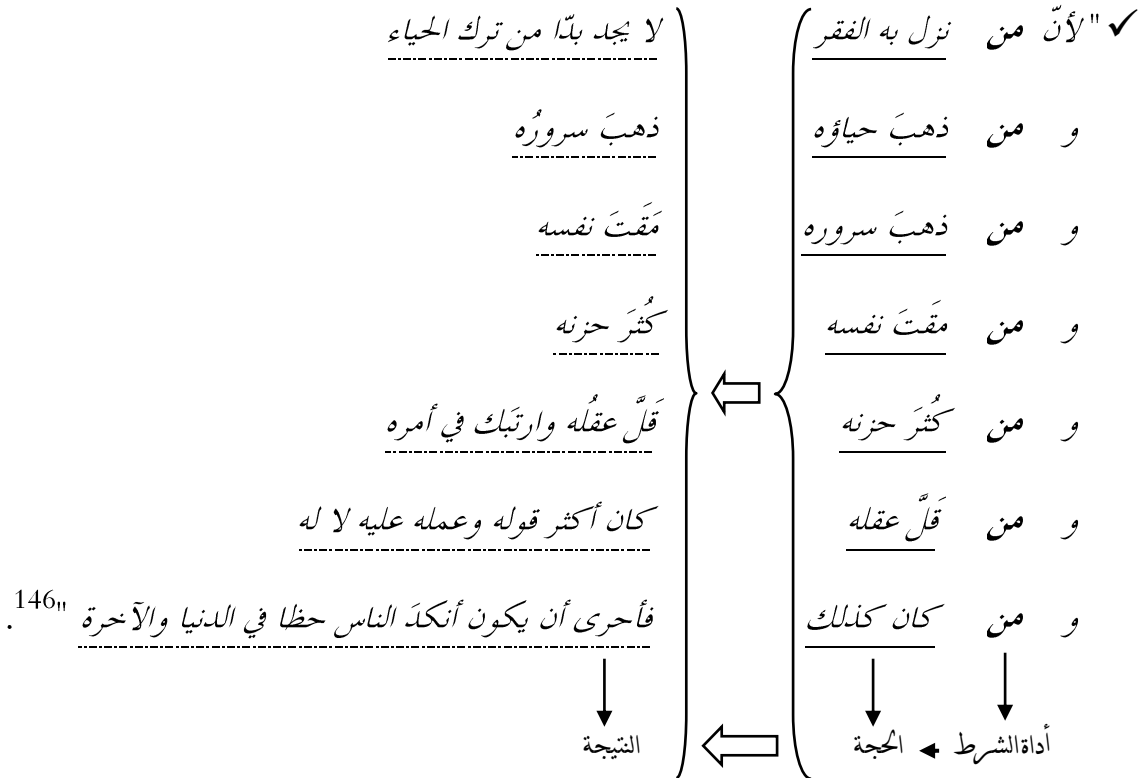
أداة الشرط + جملة الشرط ← جملة جواب الشرط.

وترتبط جملة جواب الشرط بجملة الشرط من حيث الأسباب والنتائج، واستعمال هذا العامل الحجاجي

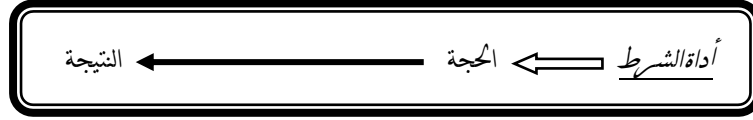
أثناء الحجاج يؤدي إلى ربط النتيجة بمحتجها ربطا منطقيًا ودلاليًا، يظهر أثره في المتلقي لتقبل النتائج.

ومن نماذج الشرط بوصفه عاملاً حجاجياً يسهم في عملية إقناع المتلقي، يورد الباحث مثلاً من كتاب

(كليلة ودمنة) يوضح ذلك، وعلى المنوال الآتي:



ومن خلال هذا المثال يبرز الباحث المخطط العام للشرط بوصفه عاملاً حجاجياً، وفق الشكل الآتي:



وعموم القول إنّ الوسائل اللغوية بوصفها آليات إقناعية، تسهم بقدر كبير في عملية بناء

مكونات الحجاج، وترتيبها وفق منطق مقنع، يوجّه المتلقي أثناء الحجاج إلى النتائج المرجوة، مع العلم أن

هذه الوسائل اللغوية الإقناعية تأتي متضافرة، لتحقيق تلك المقاصد التأثيرية في المتلقي أثناء الحجاج.

خلاصة الفصل:

لعلّ أهم ما يسجّله الباحث في هذا الفصل، من خلال دراسة الوسائل الإقناعية في كتاب (كليلة ودمنة)، ودورها الفعّال والتأثيري في المتلقي لتقبّل النتائج الحجاجية، يكمن في النقاط الآتية:

1 - وسائل الإقناع على اختلافها تشكّل بنية الحجاج، وتبرز مكوناته للمتلقى، سواء تعلق الأمر بالقياس، أو بالوسائل اللسانية، أو بالوسائل اللغوية.

2 - القياس بأنواعه يعتمد إلى استدراج المتلقي إلى مقاصد الحجاج، انطلاقاً من بنية شكلية تعتمد الربط المنطقي والدلالي بين مكونات الحجاج، إذ يستغل القياس بأنواعه معطيات الواقع ومسلماته ليشكّل منها النتيجة المقصودة.

3 - استعمال القياس يرتبط بإشراك ذهن المتلقي لتحديد مكونات الحجاج، وبخاصة في القياس المضمّر والقياس المتدرّج، بحكم مبدأ التقدير لما يتمّ حذفه فيهما عند استعمالهما في الحجاج.

4 - الروابط الحجاجية بوصفها وسيلة إقناعية، تستعمل أدوات لها بعد نحوي تركيبى، وآخر دلالي حجاجي، فهي لا تقتصر عند الاستعمال على ربط مكونات بنية الحجاج، وإنّما تسهم أيضاً في الإحالة والإشارة إلى النتيجة المقصودة، من خلال تحديد موقعها، تبعاً لتوظيف هذه الروابط الحجاجية.

5 - العوامل الحجاجية تؤدي في عملية الإقناع وظيفته الربط بين مكونات بنية الحجاج، وحصر وتقييد هذه المكونات، كما تسهم أيضاً في توجيه المتلقي إلى المقاصد الحجاجية، وذلك حينما يعتقد المتلقي خلاف تلك النتائج المرجوة في الحجاج.

6 - وسائل الإقناع على اختلافها تأتي متضافرة في الحجاج، من أجل تقوية وتدعيم عملية الإقناع، وتكثيفها في المثال الواحد كفيل بالتأثير في المتلقي واستمالته إلى تقبّل نتائج الحجاج.

خاتمة

لقد وصل الباحث من خلال دراسة بنية الخطاب الحجاجي، وتحديد معالم استراتيجيته الإقناعية في

كتاب (كليلة ودمنة) إلى جملة من النتائج، أهمها:

✓ كتاب (كليلة ودمنة) يمثل معارضة سياسية، لنظام حكم غلب عليه طابع الظلم والاستبداد، إلا أن هذه

المعارضة السياسية تقاس بذلك الزمان الذي أُلّف فيه الكتاب أو تُرجم إلى العربية. فهي لا تتجسد في شكل

حزب سياسي وفق مقتضيات عصرنا هذا، وإنما هي شكل من أشكال الحياة السائدة آنذاك، يعبر بمقتضاها

عن الرأي في مقابل الرأي الآخر، بالرغم من أن هذه المعارضة قد اكتست حلّة أدبية فنية، ساهمت في بلورة

محتواها الحجاجي.

✓ يبنى الخطاب عموماً وبخاصة الحجاجي منه، وفق استراتيجية محدّدة سلفاً، تستمد معطياتها من مضمون

الحجاج، ومن مقاصده وغاياته، ومن طبيعة المتلقي، دون إغفال السياق المحيط بين طرفي الحجاج. فهذه

المعطيات متضاربة تشكّل نواة بناء الحجاج في كتاب (كليلة ودمنة)، قصد التأثير في المتلقي واستمالته إلى

فعل معيّن.

✓ منطلقات الحجاج غالباً ما تكون قضايا خلافية بين طرفيه (المتكلم والمتلقي)، وهذا ما يدفع بالمتكلم

إلى بناء حججه انطلاقاً من بديهيات ومسلّمات مستمدة من الواقع، لا يختلف حولها مع المتلقي، لضمان

استمرارية الخطاب الحجاجي، وقصد الوصول بالمتلقي إلى الغايات المقصودة.

- ✓ لا يهدف الحجاج في كتاب (كليلة ودمنة) إلى إجبار وإكراه المتلقي لتقبّل نتائجه، وإنّما يعتمد آليات الإقناع والاقتناع لتحقيق الأهداف. فنتائج الحجاج ليست ملزمة في كلّ الأحوال، لأنّ المتلقي له حقّ الرفض وحتىّ الردّ بحجاج عكسي، وهذا ما يسمح لعملية الإقناع بالتّموضّع داخل بنية الحجاج.
- ✓ اتّجاه سلام الحجاج يكون تصاعدياً ليحقق النتائج المرجوة؛ فكّلما استمر المتكلم في حججه وإقناعه للمتلقي كلّما زاد من قوة وشمولية الحجة، فتكون الحجة التالية أقوى وأنفذ من السابقة، حتىّ يحدث الفعل التأثيري في المتلقي من خلال كتاب (كليلة ودمنة). أمّا إذا اتّجه سلم الحجاج تنازلياً، ولم تُرتّب فيه الحجج وفق قاعدة القوة والشمولية، فإنّ الحجاج لا يستمر، وعملية الإقناع لا تؤتي نتائجها في المتلقي.
- ✓ تحديد قدرة الحجة على التأثير في المتلقي راجع إلى معايير تتحكم في هذه الحجة، وهذه المعايير تتعلق بمرتبة الحجة داخل سلم الحجاج، ثمّ بمدى قوة وضعف هذه الحجة قياساً بطبيعة المتلقي ومستواه العقلي، والمعيّار الثالث مرتبط بنوع الحجة المستعملة، لأنّ تحديد النوع يسهم بقدر كبير في تحقيق المقاصد الحجاجية، واستمالة المتلقي إليها لتظهر في واقعه بالنظر إلى محتوى كتاب (كليلة ودمنة).
- ✓ تنوّع الحجج وتعدّدها في كتاب (كليلة ودمنة) خاضع لطبيعة المتلقي، وللموضوع المدرج فيه، إلى جانب ما يفرزه ويقرّه السياق المحيط بالحجاج في هذا الكتاب. فكلّ هذه المقتضيات توفر إمكانيات للمتكلم من شأنها أن تساعد على توظيف القدر اللازم والكافي من الحجج بأنواعها أثناء الحجاج.

✓ الحجج المؤسّسة على بنية الواقع أكثر وأقوى تأثيراً في المتلقي من بقية الأنواع الأخرى للحجج في

كتاب (كليّة ودمنة)، ويعود سبب ذلك إلى محتواها المستمدّ من الواقع المعيش للمتلقي، إذ لا يجد فيها

صعوبة للإدراك والفهم. وهذا ما يوصله إلى معرفة النتائج المقصودة وفهمها، على اعتبار أنّها قد بُنيتْ

على هذه الحجج الواقعية.

✓ الحجج المؤسّسة لبنية الواقع في كتاب (كليّة ودمنة) تعتمد على تقديم عالين متقاربين في ذهن المتلقي؛

عالم الموجود المأخوذ من الواقع المعيش الذي يمثل خلاصة التجارب والوقائع، وثاني عالين هو العالم

المقصود إنشأؤه وتكوينه في ذهن المتلقي. وهذا التقارب بين العالين كفيل بالتأثير في المتلقي واستمالته إلى

المقاصد المرجوة من الحجج.

✓ الحجج شبه المنطقية في كتاب (كليّة ودمنة) تسعى إلى إشراك المتلقي في بناء الحجج، وهذا من خلال

إعمال فكره ونظره فيما يُعرّض عليه أثناء الحجج. واعتماد المتكلم على هذا النوع من الحجج رهين

بمستوى وطبيعة المتلقي، إلى جانب كفاءته الذهنية وقدراته الاستنتاجية.

✓ تقديم النتيجة على الحجة أو العكس في كتاب (كليّة ودمنة)، خاضع لإرادة ومقاصد المتكلم أثناء

الحجج، كما يخضع أيضاً هذا التقديم أو التأخير إلى طبيعة المتلقي وقدرته على استيعاب ما يُعرّض عليه،

وإلى كفاءته في تحديد مكونات الحجج، دون إغفال ما يفرزه الموضوع المعالج من مقتضيات.

✓ الإقناع عملية تأثيرية في المتلقي، وتتحقق هذه العملية بواسطة جملة من الآليات والوسائل التي لا بدّ لها

أن تتضافر مجتمعة داخل الحجاج، لتبرز مكوناته، وتوجّه المتلقي إلى مقاصده ونتائجه، سواء كانت هذه

الوسائل الإقناعية منطقية أو لسانية أو لغوية في كتاب (كليلة ودمنة).

✓ القياس بوصفه وسيلة إقناعية يهدف إلى استدراج المتلقي للنتائج المقصودة من كتاب (كليلة ودمنة)،

فعلى الرغم من شكله الرياضي المنطقي الذي يخاطب عقل المتلقي، إلا أنّ عملية الاستدراج ممكنة وواردة

فيه، فالحجاج يخاطب عقل ووجدان المتلقي، والاستدراج في الحجاج آلية تتعلق بالوجدان أكثر من العقل.

✓ الوظيفة التأثيرية الإقناعية للوسائل اللسانية واللغوية تكمن في ربط مكونات الحجاج. وتحديد مكوّن

منها راجع إلى طبيعة الوسيلة الإقناعية المعتمدة، وما تؤدّيه من وظيفة دلالية تداولية على غرار الوظيفة

النحوية التركيبية داخل بنية الخطاب الحجاجي في كتاب (كليلة ودمنة).

وفي الأخير، يأمل الباحث أن يكون ما قدّمه بمثابة إضاءة تكشف عن خفايا البحث في بنية

الخطاب الحجاجي وآلياته، وتقنياته الإقناعية التأثيرية في المتلقي، من خلال دراسة كتاب (كليلة ودمنة).

كما يأمل الباحث أن يقدّم من خلال هذه الدراسة قراءة جديدة لذلك الكتاب، وما يزرع به من حكم

وتجارب تمدّ العام والخاص بنيراس يلهمه السّداد والتوفيق في حياته وداخل مجتمعه.

قائمة

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم، مكتبة ومطبعة الشيرنجي، دمشق، سوريا، ط02، 1996.

أ / المصادر:

- عبد الله بن المقفع: كليله ودمنة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007.

ب / المراجع العربية:

- الآمدي علي بن محمد (أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، ت 712هـ):
01- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 02،
1986.

- الإبراهيمي خولة طالب:

- 02- مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

- أحمد المتوكل:

- 03- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان،

الرباط، المغرب، 1995.

- أحمد مختار عمر:

- 04- علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط02، 1988.

- إدريس مقبول:

- 05- الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيويه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،

الأردن، ط01، 2006.

- الأستراباذي الرضي (محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي نجم الدين، ت 686هـ):
- 06- شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1998.
- بلخير عمر:
- 07- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2003.
- بلعيد صالح:
- 08- نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكنايني البصري، ت 255هـ):
- 09- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط02، 1992.
- الجرجاني عبد القاهر (ت 471هـ):
- 10- دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1990.
- جميل عبد المجيد:
- 11- البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000.
- ابن جني عثمان أبو الفتح (ت 392هـ):
- 12- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1952.
- أبو الحسن حازم القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني، ت 684هـ):
- 13- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 1981.

- هو النقاري:
14- التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006.
- خان محمد:
15- لغة القرآن الكريم دراسة لسانية تطبيقية للحملة في سورة البقرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين أمليّة، الجزائر، ط01، 2004.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحصريّ الإشبيلي، ت 808هـ):
16- المقدمة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط02، 1961.
- سامي أدهم:
17- فلسفة اللغة (تفكيك العقل اللغوي - بحث ابستمولوجي وانطولوجي)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1993.
- السدّ نور الدين:
18- الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، 1997.
- ابن السّراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، ت 316هـ):
19- الأصول في النحو، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط04، 1999.
- سعيد حسين يعري:
20- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط01، 1997.
- سعيد يقطين:
21- انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1989.
- 22- تحليل الخطاب الروائي، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1989.

- السكاكي (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي، ت 626هـ):
23- مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1987.
- سامية الدريدي:
24- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة (بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2008.
- ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، ت 466هـ):
25- سرّ الفصاحة، تحقيق على فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1994.
- سليم بابا عمر و باي عميري:
26- اللسانيات العامة الميسرة، أنوار، الجزائر، 1990.
- السيوطي جلال الدين (عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضير الأسيوطي، ت 911هـ):
27- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1986.
- صبحي إبراهيم الفقي:
28- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2000.
- صبحي الصالح:
29- دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط08، 1980.
- صحراوي مسعود:
30- التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2005.

- صلاح فضل:
31- بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ع164.
- صولة عبد الله:
32- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، 2001.
- طه عبد الرحمان:
33- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1998.
- 34- في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط02، 2000.
- عبد الرحمان حسن حنيفة الميداني:
35- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط06، 2002.
- عبد العزيز عتيق:
36- علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري:
37- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2004.
- محمد أسعد النادري:
38- نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2002.
- محمد خطاي:
39- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1991.
- محمد داود:
40- العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001.

- محمود السعران:
41- علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربي)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992.
- محمد سليمان ياقوت:
42- فقه اللغة وعلم اللغة (نصوص ودراسات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1991.
- محمد العمري:
43- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
- 44- في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، لبنان، ط02، 2002.
- محمد كرد علي:
45- رسائل البلغاء، دار الكتب العلمية الكبرى، مصر، ط02، 1993.
- محمد مفتاح:
46- تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1985.
- 47- مجهول البيان، دار طوبقال للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1990.
- منذر عياشي:
48- اللسانيات و الدلالة "الكلمة"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط01، 1996.
- ميشال زكريا:
49- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط01، 1983.

50- الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1985.

• ناصيف نصار:

51- منطق السلطنة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج، بيروت، لبنان، ط01، 1995.

• ابن وهب (أبو حسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، ت 197هـ):

52- البرهان في وجوه البيان، تحقيق د/ أحمد مطلوب و د/ خديجة الحديثي، جامعة بغداد، العراق، 1967.

• ابن هشام الأنصاري (جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، ت 218هـ):

53- شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة، مصر، ط11، 1983.

54- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق د/ مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط06، 1985.

• أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت 395هـ):

55- الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق علي محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1952.

• ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء الأسدي الموصلية، ت 643هـ):

56- شرح المفصل، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2001.

• يوسف نور عوض:

57- نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة، مصر، ط01، 1994.

ثانياً: المراجع المترجمة إلى اللغة العربية:

- أرسطو طاليس:
 - 58- كتاب الخطابة، ترجمة إبراهيم سلامة، المكتبة الأنجلومصرية، مصر، ط2، 02، 1953.
- أوبيير دريفوس و بول راينوف:
 - 59- ميشال فوكو (مسيرة فلسفية)، ترجمة جورج أبو صالح ومراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د ، ت).
- بليث هنريش:
 - 60- البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، دراسات (سال)، بيروت، لبنان، ط01، 1989.
- ج. ب. براون و ج. يول:
 - 61- تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، السعودية، 1997.
- جوليا كريستيفا:
 - 62- علم النص، ترجمة فريد الزاهي ومراجعة عبد الجليل ناظم، دار طوبقال للنشر، المغرب، ط 02، 1997.
- دومنيك مانقونو:
 - 63- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2008.

• روبرت دي بوجراند:

64- النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 1998.

• رولان بارث:

65- قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، ط01، 1994.

• ك.م نيوتن:

66- نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي الكاعوب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية

والاجتماعية، مصر، ط01، 1996.

• كاترين فوك:

67- مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

1984.

• ميلكا إيفيتش:

68- اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة،

السعودية، ط02، 2000.

ثالثاً: المعاجم والقواميس:

أ / باللغة العربية:

• الفيروز آبادي (أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، ت 817هـ):

69- القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،

لبنان، ط08، 2005.

• ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي، ت 711هـ):

70- لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 1994.

ب / باللغة الفرنسية:

71- Le grand Robert, Dictionnaire de la Langue Française, Paris, 1989.

مراجعا: المجلات والدوريات والملتقيات:

• أوليفي روبول:

72- " طبيعة البلاغة ووظيفتها "، ترجمة الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجدة، المملكة العربية

السعودية، 2001، عدد16.

• جميل عبد المجيد حسين:

73- " علم النص أسسه المعرفية وتحليلاته النقدية "، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت، أكتوبر- ديسمبر2003، عدد02، مجلد32.

• حبيب أعراب:

74- " الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري "، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر2001، عدد01، مجلد30.

• رضوان الرقي:

75- " الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله "، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب،

الكويت، أكتوبر - ديسمبر2011، عدد02، مجلد40.

• صولة عبد الله:

76- " الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج - الخطاب الجديدة لبرلمان

وتيتيكاه"، كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة

والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس،

مجلد XXXIX.

• بن طالب عثمان:

77- " البراغمية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية "، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة

التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1985.

• عبد الرحمان الحاج صالح:

78- " التحليل العلمي للنصوص بين علم الدلالة وعلم الأسلوب والبلاغة العربية "، مجلة المبرز، الجزائر،

1996، عدد 06.

79- "الجملة في كتاب سيويه"، مجلة المبرز، الجزائر، 1993، عدد 02.

80- "مدخل إلى علم اللسان الحديث"، مجلة اللسانيات، الجزائر، 1972، مجلد 02، عدد 01.

• عبد الرحمان العبدان و راشد الدويش:

81- "استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية"، مجلة جامعة أم القرى (اللغة العربية وآدابها)،

السعودية، 1997، السنة 10، عدد 16.

• عز الدين المناصرة:

82- "شهادة في شعرية الأمكنة"، مجلة التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1990، عدد 01.

• محمد العبد:

83- " النص الحجاجي العربي - دراسة في وسائل الإقناع "، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف - خريف، 2002، عدد 60.

• محمد سالم ولد محمد الأمين:

84- " مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصر "، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جانفي - مارس 2000، عدد 02.

• مسعودي الحواس:

85- " البنية الحجاجية في القرآن الكريم (سورة النحل نموذجاً) "، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ديسمبر 1997، عدد 12.

• يحياتن محمد:

86- " مفهوم الأصالة من وجهة نظر تحليل الخطاب "، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ديسمبر 1999، عدد 14.

خامساً: مراجع باللغة الأجنبية:

• **C. K. Orecchioni:**

87- L'Implicité, Armand Colin, Paris, 1986.

• **Chaim. Perelman et O. Tyteca:**

88- Traité de L'Argumentation, Edition de l'Université de Bruscelles, 5^{ème} Edition, 1992.

- **Clark Herbert H:**

89- Arenas of Language use, the university of Chicago press, 1992.

- **Deborah Tannen:**

90- That's not what I meant, Ballantine Books, New York,1992.

- **E. Benveniste:**

91- Problèmes de linguistique Général, Edition Gallimard, 1966.

- **Geoffrey Leech:**

92- Principles of Pragmatics, Longman , New York, 1983.

- **Halliday M.A.K and Ruqaiya Hassan:**

93- Language Context and Text, Aspect of Language in A Semiotic perspective, Oxford university press, Oxford, 1989.

- **J. C. Anscombe et O. Ducrot:**

94- l'Argumentation dans la Langue, Edition Mardage, liège- Bruscelles, 2^{ème} édition, 1988.

- **Jean Michel Adam:**

95- les Textes: Types et Prototypes, NATHAN, Paris, 1992.

- **Julie Diamond:**

96- Status and Power in Verbal Interaction, John Benjamin's Company, U.S.A, 1996.

- **Michel Meyer:**

97- Logique: Langage et Argumentation, Edition Hachette université, Paris, 2^{ème} édition, 1982.

- **O. Ducrot:**

98- Dire et ne pas Dire, Hermann, Paris, 1980.

- **R .Escarpit:**

99- L'écrit et la Communication , Paris ; Puf (coll que sais- je ?), 1978.

- **Robin Lakoff:**

100- Talking Power " The Language of Politics in Our Lives ", Basic Books,
New York, 1990.

- **William Bright:**

101- International Encyclopedia of Linguistics, Oxford University Press,
New York, 1992.

معجم

المصطلحات

قاموس المصطلحات:

أولاً: عربي --- فرنسي

حرف الألف

Créativité	إبداعية
Direction	اتجاه
Synchrone	اتجاه آني
Diachronique	اتجاه تاريخي
Référence	إحالة
Exophora	إحالة خارجية
Endophora	إحالة داخلية
Cataphora	إحالة داخلية بعدية
Anaphora	إحالة داخلية قبلية
Probable	احتمال
Réponse	استجابة
Inclusion	اشتمال / إدماج
Présupposition	افتراض مسبق
Persuasion	إقناع

Productivités إنتاجية النص

حرف التاء

Gaspillage تبذير

Syntagme prédicatif تركيب إسنادي

Transitivité تعدية

Récurrence تكرار

Enonciation تلفظ

Identité تماثل / حدّ في الحجاج

Analogie تمثيل

Intertextualité تناص

Incompatibilité تناقض / عدم اتفاق

Balance توازن / ازدواج

حرف الجيم

Phrase جملة

حرف الحاء

Argumentation حجاج

Argument حجة

Qualité	حكم الصدق
Manière	حكم الطريقة
Quantité	حكم الكمية
Relation	حكم المناسبة
	<u>حرف الحاء</u>
Discours	خطاب
	<u>حرف الدال</u>
Signifiant	دال
	<u>حرف الراء</u>
Réaction	ردّ فعل
Connecteurs Argumentatifs	روابط حجائية
	<u>حرف السين</u>
Cause	سببية
Autorité	سلطة
Contexte	سياق
	<u>حرف العين</u>
Réciprocité	علاقة تبادلية

Grammaire de texte	علم النص
Behaviorisme	علم النفس السلوكي
Opérateurs Argumentatifs	عوامل حجائية
	<u>حرف الفاء</u>
Expansion	فضلة
	<u>حرف القاف</u>
Loi d'Informativité	قانون الإخبارية
Loi de Pertinence	قانون الإفادة
Loi d'Exhaustivité	قانون الشمولية
Loi de Sincérité	قانون الصدق
lois du Discours	قواعد التخاطب / قوانين الخطاب
Sous-entendu	قول مضمّر
Syllogisme	قياس
Syllogisme Progressif	قياس متدرج
Syllogisme Implicite	قياس مضمّر
Syllogisme logique	قياس منطقي

حرف الكاف

Compétence Persuative	كفاءة إقناعية
Parole	كلام

حرف اللام

langue	لسان
linguistique de texte	لسانيات النص
linguistique Structurale	لسانيات بنوية
linguistique Distributionnelle	لسانيات توزيعية
linguistique Générative et Transformationnelle	لسانيات توليدية تحويلية
linguistique Générale	لسانيات عامة
linguistique Fonctionnelle	لسانيات وظيفية
langage	لغة

حرف الميم

Implicités	متضمنات القول
locuteur	متكلم/مخاطب
Récepteur	مخاطب
Signifie	مدلول

Corpus	مدونة كلامية
Composante Syntascique	مركب تركيبى
Auditeur	مستمع
Prédicat	مسند
Sujet	مسند إليه
Enoncé	ملفوظ
Compétence	ملكة / كفاءة
Stimulus	منبه

حرف النون

Grammaire fonctionnelle	نحو وظيفي
Texte	نص
Système	نظام
Nayau	نواة

حرف الواو

Fonctions de la Langue	وظائف الكلام
Fonction Conative	وظيفة إفهامية
Fonction Phatique	وظيفة انتباهية

Fonction Expressive

وظيفة تعبيرية (انفعالية)

Fonction Poétique

وظيفة شعرية (إنشائية)

Fonction Meta –Linguistique

وظيفة ما وراء لغوية

Fonction Référentielle

وظيفة مرجعية (سياقية)

ثانياً: فرنسي --- عربي

A

Analogie	تمثيل
Anaphora	إحالة داخلية قبلية
Argument	حجة
Argumentation	حجاج
Auditeur	مستمع
Autorité	سلطة

B

Balance	توازن / ازدواج
Behaviorisme	علم النفس السلوكي

C

Cataphora	إحالة داخلية بعدية
Cause	سببية
Compétence	ملكة / كفاءة
Compétence Persuative	كفاءة إقناعية
Composante Syntascique	مركب تركيب

Connecteurs Argumentatifs روابط حجائية

Contexte سياق

Corpus مدونة كلامية

Créativité إبداعية

D

Diachronique اتجاه تاريخي

Direction اتجاه

Discours خطاب

E

Endophora إحالة داخلية

Enoncé ملفوظ

Enonciation تلفظ

Exophora إحالة خارجية

Expansion فضلة

F

Fonction Conative وظيفة إفهامية

Fonction Expressive وظيفة تعبيرية (انفعالية)

Fonction Meta –Linguistique	وظيفة ما وراء لغوية
Fonction Phatique	وظيفة انتباهية
Fonction Poétique	وظيفة شعرية (إنشائية)
Fonction Référentielle	وظيفة مرجعية (سياقية)
Fonctions de la Langue	وظائف الكلام

G

Gaspillage	تبذير
Grammaire de texte	علم النص
Grammaire fonctionnelle	نحو وظيفي

I

Identité	تماثل / حدّ في الحجاج
Implicités	متضمّنات القول
Inclusion	اشتمال / إدماج
Incompatibilité	تناقض / عدم اتفاق
Intertextualité	تناص

L

langage	لغة
---------	-----

langue	لسان
linguistique de texte	لسانيات النص
linguistique Distributionnelle	لسانيات توزيعية
linguistique Fonctionnelle	لسانيات وظيفة
linguistique Générale	لسانيات عامة
linguistique Générative et Transformationnelle	لسانيات توليدية تحويلية
linguistique Structurale	لسانيات بنوية
locuteur	متكلم/مخاطب
Loi d'Informativité	قانون الإخبارية
Loi de Pertinence	قانون الإفادة
Loi de Sincérité	قانون الصدق
Loi d'Exhaustivité	قانون الشمولية
lois du Discours	قواعد التخاطب / قوانين الخطاب

M

Manière	حكم الطريقة
---------	-------------

N

Nayau	نواة
-------	------

O

Opérateurs Argumentatifs

عوامل حجائية

P

Parole

كلام

Persuasion

إقناع

Phrase

جملة

Prédicat

مسند

Présupposition

افتراض مسبق

Probable

احتمال

Productivités

إنتاجية النص

Q

Qualité

حكم الصدق

Quantité

حكم الكمية

R

Réaction

ردّ فعل

Récepteur

مخاطب

Réciprocité

علاقة تبادلية

Récurrence	تكرار
Référence	إحالة
Relation	حكم المناسبة
Réponse	استجابة

S

Signifiant	دال
Signifie	مدلول
Sous-entendu	قول مضمّر
Stimulus	منبه
Sujet	مسند إليه
Syllogisme	قياس
Syllogisme Implicite	قياس مضمّر
Syllogisme logique	قياس منطقي
Syllogisme Progressif	قياس متدرج
Synchronique	اتجاه آني
Syntagme prédicatif	تركيب إسنادي

Systeme

نظام

T

Texte

نص

Transitivité

تعديّة



فهرس الموضوعات

68-08

الفصل الأول: استراتيجية الخطاب

09

1-الخطاب بين المصطلح والمفهوم:

10

1-1- مفهوم الجملة:

10

1-1-1- عند العرب

12

1-1-2- عند الغرب

15

1-2- التلفظ والمفروض

17

1-3- النص:

22

1-4- الخطاب:

27

2-السياق:

27

1-2- مفهومه

30

2-2- عناصر السياق:

31

2-2-أ- المتكلم (المخاطب)

32

2-2-ب- المتلقي (المخاطب)

32

2-2-ج- العلاقة بين طرفي الخطاب

34

3-استراتيجية الخطاب:

34

1-3- مفهوم الاستراتيجية

35

2-3- عناصر بناء استراتيجية الخطاب:

<u>36</u>	3-2-1-الكفاءة التداولية
<u>39</u>	3-2-2-مستويات اللغة
<u>44</u>	3-2-3-السياق غير اللغوي
<u>44</u>	3-2-4-القصد
<u>45</u>	3-2-5-سلطة الخطاب
<u>48</u>	3-2-6-الإشارات
<u>50</u>	4-أنواع استراتيجيات الخطاب:
<u>51</u>	4-1-الاستراتيجية التضامنية:
<u>51</u>	4-1-1-منطلقات التضامن وغاياته
<u>53</u>	4-1-2-الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التضامنية
<u>56</u>	4-2-الاستراتيجية التوجيهية:
<u>56</u>	4-2-1-منطلقات التوجيه وغاياته
<u>58</u>	4-2-2-الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية
<u>60</u>	4-3-الاستراتيجية التلميحية:
<u>60</u>	4-3-1-منطلقات التلميح وغاياته
<u>62</u>	4-3-2-الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية
<u>64</u>	4-4-الاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية):
<u>64</u>	4-4-1-منطلقات الإقناع وغاياته
<u>66</u>	4-4-2-الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية الإقناعية الحجاجية
<u>68</u>	خلاصة الفصل

129 - 69

الفصل الثاني: الحجاج والإقناع

70

1- مفهوم الحجاج:

71

1-أ- المعنى اللغوي للحجاج

71

1-ب- المعنى الاصطلاحي للحجاج:

71

1-ب-1- عند العرب

79

1-ب-2- عند الغرب

84

1-ج- تعريف الحجاج

87

2- مفهوم الإقناع وعلاقته بالحجاج

91

3- السلم الحجائية:

91

3-1- مفهوم السلم الحجائي وقوانينه

97

3-2- السلم الحجائي وقوانين الخطاب

101

4- بنية الحجاج:

101

4-1- مكونات الحجاج

103

4-2- أنواع الحجج:

103

4-2-1- الحجج شبه المنطقية

108

4-2-2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع

112

4-2-3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع

116

5- الوسائل الإقناعية:

117

5-1- الوسائل المنطقية (القياس وأنواعه)

120

5-2- الوسائل اللسانية

<u>124</u>	3-5-الوسائل اللغوية
<u>128</u>	خلاصة الفصل
<u>178</u> - <u>130</u>	الفصل الثالث: السلام الحجاجية في كلية ودمنة
<u>131</u>	1-1-كتاب كلية ودمنة:
<u>131</u>	1-1-عبد الله بن المقفع
<u>132</u>	1-2-أصل كتاب كلية ودمنة
<u>133</u>	1-3-محتوى كتاب كلية ودمنة
<u>136</u>	1-4-سرّ تأليف كلية ودمنة على ألسن الحيوان
<u>138</u>	2-السلام الحجاجية في كلية ودمنة:
<u>138</u>	1-2-السلام الحجاجي العام في كلية ودمنة
<u>144</u>	2-2-السلام الحجاجية الجزئية في كلية ودمنة
<u>177</u>	خلاصة الفصل
<u>225</u> - <u>179</u>	الفصل الرابع: أنواع الحجج في كلية ودمنة
<u>180</u>	تمهيد
<u>182</u>	1-الحجج شبه المنطقية:
<u>182</u>	1-1-حجة التناقض وعدم الاتفاق
<u>186</u>	1-2-حجة التماثل والحدّ في الحجج
<u>188</u>	1-3-الحجة القائمة على العلاقة التبادلية

<u>191</u>	4-1- حجة التعدية
<u>194</u>	1-5- حجة الاشتمال (إدماج الجزء في الكل)
<u>196</u>	1-6- حجة الاحتمال
<u>199</u>	2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:
<u>200</u>	2-1- الحجة السببية
<u>204</u>	2-2- حجة التبذير
<u>208</u>	2-3- حجة الاتجاه
<u>212</u>	2-4- حجة السلطة
<u>216</u>	3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع:
<u>216</u>	3-1- الحجج المؤسسة بواسطة الحالات الخاصة
<u>218</u>	3-2- الحجج المؤسسة بواسطة التمثيل
<u>224</u>	خلاصة الفصل
<u>226 - 275</u>	الفصل الخامس: الوسائل الإقناعية في كلية ودمنة
<u>227</u>	تمهيد
<u>228</u>	1- القياس وأنواعه في كلية ودمنة:
<u>228</u>	1-1- القياس المنطقي
<u>232</u>	1-2- القياس المضمّر
<u>235</u>	1-3- القياس المتدرّج
<u>240</u>	2- الوسائل اللسانية في كلية ودمنة:

<u>240</u>	1-2-الإحالة
<u>251</u>	2-2-التكرار
<u>256</u>	3-2-التوازن (الازدواج)
<u>259</u>	3-الوسائل اللغوية في كلية دمنة:
<u>259</u>	1-3-الروابط الحجاجية
<u>270</u>	2-3-العوامل الحجاجية
<u>275</u>	خلاصة الفصل
<u>280</u> - <u>276</u>	الخاتمة
<u>295</u> - <u>281</u>	قائمة المصادر والمراجع
<u>310</u> - <u>296</u>	معجم المصطلحات
<u>317</u> - <u>311</u>	فهرس الموضوعات